

الاتجاه التداولي و الوسيط

في الدرس اللغوي

الإهداء النبأ الأول والوضوح

في المطر اللغوي

أ.د. نادية رمضان النجار

أستاذ العلوم اللغوية

كلية الآداب - جامعة حلوان

الطبعة الأولى

٢٠١٣ م - ١٤٣٤ هـ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تعالى، ونستعينه، ونستعينه، ونصلّي ونسلم ونبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

لقد شهدت الدراسات اللغوية في الثلث الثاني من القرن العشرين تطوراً ملحوظاً على يد بعض الفلاسفة والمنطقيين وعلماء الأنثروبولوجيا، وذلك في الفترة الواقعة بين دروس "دي سوسير"، وما أحدثته النظرية التوليدية التحليلية على يد "تومسكي". فقد استعان الدرس اللغوي بمعارف كثيرة من العلوم الإنسانية، ففتح عن ذلك اتجاه عُرف بالتداولية، وهو يُعنى باللغة في التواصل أو بالرموز اللغوية وفنائها على نقل رسالة ما من المتكلم إلى المتلقي مع الإحاطة بالظروف السياقية، والمقامية، وحال المتكلم والمتلقي، وتفاعلهما إلى غير ذلك من العوامل المؤثرة في إقامة التواصل. إنها بالأحرى مقاربة جديدة ملموحة في حقل علوم الإنسان.

وقد نشأت التداولية في أحضان الثقافة الأنجلوسكسونية؛ حيث وكّدت وتطورت في الولايات المتحدة وإنجلترا بسبب الدور الذي قامت به الاتجاهات التحليلية في الفلسفة، ومن جهة أخرى بسبب ما خلفته النظرية التوليدية في نموذجها الأول من إخفاقات نتيجة تمسكها باستقلالية التركيب، مما أدى إلى التفكير بجد في البعدين الدلالي ثم التداولي. وقد تبلورت النواة الأولى للتداولية على يد العالم الأمريكي "تشارلز موريس" (1928م)، الذي صيغ علم السيميائيات Semiotics إلى ثلاثة فروع: (علم التركيب Syntax، وعلم الدلالة Semantics، وعلم التداولية Pragmatics)، فلماذا يتصل بالتحور، وثليها يتصل بالمعنى، وثليها يتصل بالوظيفة التي تؤديها للعلامة.

ولما كانت للتداولية معنية باللغة للتواصل مع الغير غدت الوظيفة التواصلية من أهم أوضاعها؛ ومن ثم أدى ذلك إلى القترن الاتجاهين للتداولي واللغوي معاً، كما انقسم الاتجاه اللغوي إلى وظيفة بنوية، ووظيفة تداولية، والاتجاه اللغوي البنوي هو الذي يركز على وظيفة البنويات اللغوية، وهو ما نحن بصدد الحديث عنه في هذه الدراسة.

وقد جاء الكتاب في بابين: الباب الأول عنوانه (الاتجاه للتداولي)، ويشتمل على أربعة فصول هي:

- الفصل الأول: تاريخ التداولية وأهم أعلامها.
 - الفصل الثاني: الأعمال الكلامية.
 - الفصل الثالث: عناصر التداولية.
 - الفصل الرابع: معايير تصنيف لستراتيجيات الخطاب.
- لما لبث الثاني لعنوانه (الاتجاه للوظيفة)، ويشتمل على ثلاثة فصول هي:
- الفصل الأول: تاريخ الوظيفة وأهم أعلامها.

- الفصل الثاني: تصنيف الوظائف اللغوية.
 - الفصل الثالث: الوظيفة التواصلية وأهم عناصرها.
- ثم ختمت الدراسة بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها مع فهرست للكتاب.
- ولقد حاولت جهدي أن أيسر عرض هذه الاتجاهات؛ مدينة نشأة كل اتجاه وتطوره عند الغربيين؛ مدونة بملامحه عند العرب؛ لتيسير للمرض والإفادة للمتلقى راسية من وراء ذلك كله أن يلقى قبولاً لدى القارئ.

والله ولي التوفيق
أ.د. نادية رمضان النجار

٢٠١٢ / ٢ / ٧

الباب الأول

الاتجاه التداولي

الفصل الأول

تاريخ التداولية وأهم أعلامها

مفهوم التداولية :

التداول لغة : مصدر تداول، يقال: دال يتداول دولاً: تنتقل من حال إلى حال، ودال الشيء: جعله متداولاً، وتداولت الأيدي الشيء: أخذته هذه مرة وتلك مرة^(١).

لما اصطلاحاً : فهو فرع لساني يُعنى بدراسة التواصل Communication بين المتكلم والمتلقي، أو بمعنى آخر يُعنى بدراسة الرموز التي يستخدمها المتكلم في عملية التواصل، والعوامل المؤثرة في اختيار رموز معينة دون أخرى، والعلاقة بين الكلام وسياق حاله، ولتر العلاقة بين المتكلم والمتغلب على الكلام، وهذا الفرع يُعرف بـ (Pragmatics)^(٢) البراغماتية أو للتداولية.

وقد عُيّن "د.مسعود مسحراوي" تعريفاً إجرائياً للتداولية؛ إذ يربطها بالتواصل على نحو يجعلها شديدي الاتصال، فهو يحذاها بأنها ((إيجاد للتوازن الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، ولصير "التداولية" من ثم جذيرة بأن تسمى علم "الاستعمال اللغوي"))^(٣).

وقد عرفها " فليب بلانشيه " بأنها الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة ، وتهتم بتسمية التلازم بين التعبير الرمزية والسياقات المرجعية والمقالية والحيثية^(٤).

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط ١، ٢٠٠٠، ص: ١٢٤٠، قول:

(٢) د. رمزي حور السنيكي، مفهوم الاستدلالات اللغوية ط ١، دار العلم للطباعة، ١٩٩٠، ص: ٣٩.

(٣) د. مسعود مسحراوي، التداولية عند علماء العرب ط ١، دار الطليعة، بيروت، دت، ص: ١٧، ١٩.

(٤) فليب بلانشيه، التداولية من أرسطو إلى جومسك، ط ١، صدار الحاشية، دار المعارف، سوريا، ٢٠٠٧، ص: ١٨.

ومن ثم فهي تُبنى بدراسة :

أ- كيفية تفسير الأقوال المستعملة، أو اعتمادها على المعرفة بالمعالم الواقعي المحيط بالمتكلم .

ب- كيفية فهم المتحدثين للأحداث الكلامية Speech acts.

ج- كيفية تكرر تركيب الجمل بالملاكمة بين المتحدث والسامع^(١).

وقد تحدثت تعريفات المتحدثين للتداولية، واختلف بعضها مع بعض لدرجة الالتباس والتضاد أحياناً، وقد فُهم در "محمود نحلة" بعض هذه التعريفات، موضعاً ما يؤخذ على كل تعريف، مستخلصاً تعريفاً جامعاً مانعاً، متجنباً فيه - بقدر الإمكان - ما أخذ على التعريفات الأخرى، فيقول: «من هنا أوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القول هو: دراسة للغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة للمعنى تتمثل في تداول negotiation للغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، ولغوي، واجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى للكلمة في كلام ما»، فإذا قال شخص ما: «لنا عطشان» فقد يكون المراد (أحضري لي كوباً من الماء)، وليس المراد إخبار المتكلم بالسماع بأنه عطشان، فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما يقوله كلماته، ومن ثم كانت التداولية تبحث في كيفية اكتشاف السامع لمقاصد المتكلم Speaker intentions^(٢).

نشأة التداولية وتاريخها:

وإذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى «التداولية»، فيمكن تلخيصها في الاتجاه التحليلي في «الفلسفة التحليلية»، وهو الاتجاه الرئيس في فلسفة اللغة، أو

(١) د. سعيد حسن بحوي، علم لغة النص - المفاهيم والابتداءات: الطريقة المنهجية العلمية، ط ١، لوزنجان، الصادر ١٩٩٧، ص ١٠٠، ودر معنى برنامجي، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ط ١، ط ١، الصادر ٢٠٠٠، ص ١٢/١.

(٢) د. محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في فهم لغوي، المفكر، ط ١، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦، ص ١٢، ص ١٤.

التأثر للذئاب في الفلسفة المعاصرة الذي ركز على موضوع اللغة، وحاول تغيير مهمة الفلسفة وموضوعها وممارستها.

وقد تكرر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به "البرجزة" عدد من للفلسفة منهم "هوسرل" و "كارناب" و "فيتجنشتاين" و "أوستن" و "ميرل"، وتجمع بين هؤلاء الفلسفة مسئلة عامة مشتركة، مفادها: أن فهم الإنسان لنفسه وعالمه يركز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر له عن هذا الفهم، وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية واتجاهاتها، ويمكن إجمال سمات الاتجاه التحليلي فيما يلي:

١. ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي للتقديم ولأسماء جاتبه الميتافيزيقي.
٢. تغير بؤرة الاهتمام للفلسفي من موضوع "نظرية للمعرفة" إلى "التحليل اللغوي".
٣. تجديد بعض المباحث اللغوية وتسميتها، لاسيما مبحث الدلالة، والظواهر اللغوية المقترعة منه^(١).

ويتكون الاتجاه التحليلي من تيارات فرعية أهمها: تيار اللغة الطبيعية عند "مور ورسل وفيتجنشتاين"، وتيار اللغة الصورية الذي يدرس اللغة الشكبية، وهو الاتجاه الذي تمثله اللغوية المنطقية بزعامة "كارناب وأير"، ونقوم على التحليل المنطقي للجميل والتضاد اللغوية، وتيار لعمال اللغة بزعامة "أوستن وميرل" ضمن مدرسة لكسفورد^(٢). ولم يكن المنهج الوظيفي التداولي محط اشتغال هذه التيارات كلها، فقد اهتم منهج اللغوية للمنطقية بالانفصال الصورية المصطنعة، ونهض منهج "دقيوس" بشروط الصدق؛ وبذلك خرجت من الاهتمام للتداولي، فلم يبق ضمن الاهتمامات التداولية إلا تياران هما: "التأثر الفلسفي الطبيعي"، و"تأثر لعمال اللغة". ويرى بعض الباحثين أن بدليلات للتداولية - لاسيما نظرية لعمال اللغة - زابت نشأة العلوم المعرفية، فقد جرى

(١) د. سميرة صحراني، تداولية عند الفلاسفة العرب ص ٢٢.

(٢) د. أسعد الشوكلا، الصلابة فرطها، مدخل لتأري، منشورات كلية، بيروت ١٩٨٩، ص ٢٦.

التفكير في معالمها في سياق عقلية جديدة، هي العقلية التي مكنت من ظهور العلوم المعرفية^(١).

وفي أواخر الستينيات بُني مفهوم "كارناب" للذي ساول بين التداولية والسمياء الوصفية، وأدخل "كارناب" مفهوم السياق المتضمن هويات المشاركين في الحدث الكلامي، والمحددات الزمانية والمكانية، والمعتقدات ومقاصد المشاركين^(٢).

وقد تطور في السبعينيات من القرن العشرين علم التداولية، الذي شاركه في تنمية بحثه دارسون تجاوزوا بعض المفاهيم اللغوية التي سادت في الفترة الواقعة بين دروس "دي سوسير" وكتابات "تشومسكي"؛ ذلك أنهم فكروا على دراسة الأشكال الدلالية، لا الدلالة.

واعتمدوا بالمقام اللغوي، وأصبحوا ينظرون في القول، ويشاملون عن علاقة اللغة بالكلام، وجدوى للتفريق بينهما^(٣). وأُصِّلَفَ للتدائيات التداولية داخل نظام علامتي علم، له جذوره في مشروع "بيرس" وبعض اللغويين أمثال: "موريس"، و"كارناب"^(٤). فـ"بيرس" هو مؤسس حركة البراجماتية، واقتربت في الأذهان باسم "وليم جيمس"، بوصفها نظرية فلسفية أكثر منها قاعدة منطقية، وقد مرت التداولية بمراحل سنجملها فيما يلي :

١. تُعد نقطة الانطلاق في التداولية لدى الفلاسفة اللغويين البريطانيين، ولاسيما مناقشات "ميرل" و"جون لوستن" ١٩٥٠م، وكذلك محاضرات "بول جرابس" ١٩٦٧م، هذه المحاضرات التي أدت إلى الاهتمام بمستوى المعرفة في اللغة الطبيعية، وكما تُنْهت بدراسة ما يحيط بالحدث اللغوي، من ظواهر غير لغوية كـ(السياق، والمقام، والمستكلمين، ومقاصدهم،

(١) أن بول، وجاك سولتر، *تداولية اليوم* (طبعة جديدة في فرنسا)، ترجمة: ديفيد لين ديفوس، وديفيد كيتلي، ورواليم: دافيد ليفري، ط١، دار الفيلما، بيروت ٢٠٠٢م، ص١٢.

(٢) د. صلاح فضل، *بلاغة الخطب، وعلم النص، علم الصيغة، الكويت ١٩٩٢م*، ١٩٩٦م، ص ١٠٦.

(٣) د. محمد صلاح الدين القزويني، بحث تقديم علم للإتجاه البراجماتي، أمه مدارس الفلسفة، جد الفكر الشيعي، وسعد الشهاب، ط١، السعيد قزويني لطوم قزوين، تونس، ١٩٩٠م، ص ٩٥.

(٤) السليق نفسه، ص ٩١.

وحثيثات الاستعمال، والأفعال الثورية^(١). ومن المرجح أن نظرية "أوسن وسيرل" بالإضافة إلى مفهوم "ديل هايمز" عن "الكفاءة الاتصالية Communicative Competence"، أي الاستخدام المناسب للتعبير المناسب في الموقف المناسب - هما التواة الأولى لظهور علم البراجماتية الحديثة بمفهومه للنزوي^(٢).

٢. وقد ظهرت دراسات محققة لنظرية الأعمال الكلامية عند "أوسن وسيرل"، على يد "السوالد ديكرز وبروندز". أما "السوالد ديكرز" فقد بدأ بفرض الاعتقاد القائل بأن اللغة تفيد التواصل بالمفهوم الضيق للمصطلح، أي إيصال المعلومات، موضحاً أن اللغة تتكون من جداول من العلاقات التي تحدد أدوار المتخاطبين، وجهاز من التواضعات والقوانين التي تنظم النقاش بين الأشخاص، وهذا ما عُرف بالإنجازية عند "أوسن". كما تحدث "ديكرز" عن الافتراضية التي تكمن في الطريقة التي يُفرض بها على المخاطب بإطرار لاستمرار الخطاب: يجبره على الفعل، وكان محتوى الافتراض حقيقة مؤكدة لا يمكن أن يعد النظر فيها. كما تناول ما يعرف بـ "الأقوال المضروبة" وهي ما يُستنتج من المعنى (الجانبى) ومن السابق بواسطة الأسلوب الخطابي (أي من الاستدلال)، وهو نفس نمط الاستدلال الذي يسمح بتأويل: "هل بإمكانك أن تقدم لي الملح؟" كطلب، وذلك بالاستمارة بقوانين للخطاب، أهمها قانون الإخبار وقانون الشمولية^(٣).

٣. أما "بروندز" فقد توسع في الفكرة التي تُركز على الأقوال التي لا تشكل فعلاً، فالأفعال الإنشائية Acts Perforates عنده لا تُوظف لأداء الفعل الذي تدل عليه، ولكن تُوظف لعدم تأديته. فهي تسمح بالاستدلال الفعلي للكلام كقولنا: "أوصي بمكتبتك لـ(س)"، فيبقى استبدال إشارة تقديم تلك الشيء بصيغة منطوقة تصولي تلك الإشارة ومن ثمّ خلاص إلى أن: الفعل الوحيد الذي نؤديه ونحن نتكلم هو "إيماءات صوتية وإيماءة مبرزة لغاطية البنية التركيبية". وهذا المفهوم يخالف مفهوم "أوسن" عن الأقوال.

(١) د. سحر إبراهيم: فهم الخطاب عند سيري، عالم الفكر، ١٤، ٢٠٠١، ص ٢٤٨ - ٢٦٦.
(٢) د. علي عزت: الاتصالات الحديثة في علم الأساليب وتطبيقات الخطاب، دار الفيل للفكر، بيروت، ص ٩١.
(٢) جون سولوفي: فلسفات وفكرات، ترجمة: د. سماح حميد، بحث شبكة المعلومات، منتدى الفواصل العلمي.

خصائص التداولية :

- (١) التداولية تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال اللغوي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى.
- (٢) ليس للتداولية وحدات تحليل Units of Analysis خاصة بها ولا موضوعات مترابطة Correlation Topics.
- (٣) التداولية تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة (معرفة Cognitive، ولجتماعية Social، وثقافية Cultural)^(٢).
- (٤) التداولية لا تنتمي إلى أي من مستويات الدرس اللغوي (صوتية كلفت لم صرفية لم نحوية لم دلالية)، كما أنها لا تمثل مستوى يضاف إلى هذه المستويات؛ لعدم وجود لمعط تجريدية ووحدات تحليلية تمثل هذا المستوى، فهي لا تقتصر على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعاً^(٣). وهذا لا يعني أن التداولية ليس لها دور في إنتاج الكلام، بل على العكس، فهي تمثل جزءاً من القلب النحوي المندرج ضمن عناصر المقدرة الاتصالية؛ لأنه يبحث في جدوى الكلام والشروط الضرورية التي يتم بها التواصل بين المتخاطبين؛ ليقوم الكلام بالوظيفة التي وجد من أجلها. وإن كان هناك من الباحثين مثل "ميوث ١٩٩٨" من اقترح إدراج للعناصر التداولية في قلب مستقل، أسماه بـ "القلب التداولي"^(٤).
- (٥) إنَّ التداولية ينهض بها تداوليون مختلفون، يصنّون عن اختصاصات مختلفة، ويشتغلون على ظواهر متعددة. ولتُزيت التداولية ولخصبت بما

(١) جون سركاوي: اللسانيات والتداولية، ترجمة: حور الحاج دميّنة، بحث منشورة بالمطبعة العلمية، دمشق، القرواني الطلي.

(٢) د. سميرة أحمد تليق، مقال جريدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ١١، ١٥.

(٣) السالك نفسه، ص ١٠.

(٤) د. أحمد السركاوي: أفضى اللغة في اللسانيات العربية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للطباعة، ٢٠٠١، ص ٦٤.

جرى بينهم من حوارات ومناقشات واختلافات؛ ومن ثم فإن هويتها في
تعمدها^(١).

صلة التداولية بالعلوم الأخرى:

بالرغم من تفرّد التداولية في خصائصها إلا أنها متداخلة مع غيرها من
العلوم الأخرى، كـ (البنوية، والدلالة، والنحو، والأسلوب، ولسانيات
الخطاب ... إلخ) .

التداخل بين اللسانية والبنوية:

أما اتصال التداولية بالبنوية، فيتمثل في أنهما مجالان تلك المفهومات
بالتداولات ومفاهيم مستقلة من معارف مستمدة من الواقع الخارجي،
ويتوضع من أفراد المجموعات اللغوية المتواطنة على ذلك، ولكنهما يختلفان
في كون البنوية تُوصف بوصف "الشكلانية والصورية"، أي البُعد عن
(الأحداث الكلامية الحقيقية في الواقع المجرّد)؛ مما جعل جهازها الوصف
مفتقراً إلى التحيين والإحالة لاقتدادها للتواعد الإحالية التفسيرية، فالمفرد
الآتي:

(لقد زادوا في قيمة الضرب) ..

مفرد لا تقدم السانيات البنوية فيه أية قاعدة تقصر الضمير الذي أسند إليه
الفعل "زاد"، وتعين المرجع الذي يُحال إليه في الواقع الخارجي عن اللغة،
إذ ما استثنينا بعض التوجهات الساتية الوظيفية التي ظهرت في السنوات
الأخيرة، كـ "نظرية للنحو الوظيفي" "سيمون ديك" مثلاً، ولكن نظريته
ليست نظرية بنوية، بل إن نكّرها بالتداولية لشد^(٢).

أما في التداولية فتوجد كمية (أو عدة أليات) لتفسير هذا الضمير وتعيين
المرجع في الواقع الخارجي؛ وهذا ما يعزو للتداولية بعض السموات من
اللسانيات البنوية: كالاتصال المباشر، ومباشرة العالم الخارجي. ومن التواعد

(١) هليل بلتشيه، التداولية من أرسن إلى جراسن، ترجمة سائر الجليل، ص ١٨١.

(٢) ديمسود سمروري، التداولية عند الطاء العرب ص ٢٩.

المعنة التي يمتثل بها للمعلم الخارجي، أن ليس لأحد الحق في زيادة للضرائب إلا السلطات المخولة بذلك .

وتأسس الاستدلالات التداولية على أعراف اجتماعية ولذلك قد تكون نسبية، فمثلاً في المفوضين الآتين :

- هل تريد فنجاناً من القهوة ؟

- إنها تحول بيني وبين النوم .

كيف عرف السائل أن محاوره يرفض القهوة؟ وكيف عرف المضيف أن القهوة تحول بينه وبين النوم؟ وكيف تم الاتفاق وفترطوا بينهما من جهة وبين لفراد المجتمع من جهة أخرى على ذلك ؟

يتبين مما سبق أن التداولية واللسانيات البنوية ، يختلفان في المنهج والمخيلة فإذا كانت اللسانيات البنوية تهتم بالجمال، فإن التداولية تهتم بالمفوضات بالدرجة الأولى، وتبحث في الوسيلة التي تنفذ بها اللغة في مختلف المقامات الحولية .

وإذا كانت اللسانيات البنوية تهتم بالإنتاجية اللغوية في مستواها البنوي (تفكيك الآلية الإبداعية في كفاءة المتكلمين، ومحاولة التعرف على البرنامج اللغوي من الداخل) فإن للتداولية تهتم بمختلف الإسقاطات التوليفية التي يفرزها الأداء (التجويرات). وإذا كانت اللسانيات البنوية تهتم بالمرجع والأدوات التي تنتج الخبر الثابت، فإن للتداولية تهتم بالأدوات التي تنتج المقصد .

هكذا إذن سيكون مجال اللسانيات البنوية البحث في الكفاءة اللغوية، بينما يكون مجال التداولية البحث في الكفاءة التواصلية. وإذا كانت اللسانيات البنوية تبحث في المرجع الثابت المؤدي إلى خبر ثابت أيضاً، فإن للتداولية تهتم بقصد المتكلم ودرجة لفتتاعه بالمحتوى الخبري الذي تبلوره العملية التواصلية، وتمكنه مقامات تنظيمية متغيرة بطبيعتها .

وإذا كنا نحتاج في اللسانيات البنوية إلى تشويل أليات الكفاءة اللغوية الفرمزية لتحديد الخبر في اللغة، فإننا في مجال التداوليات نحتاج إلى توضيف

أليات المكون البلاغي للمعبر بشكل ثابت عن مرجع غير ثابت. وإذا كثرت التسلطات للبنىوية تهتم بالجملة في أقصى حدودها للترسمية بوصفها الوحدة الأساسية في اللغة، مقسمة لهاها إلى مسند ومسند إليه، فإن للتداولية تدخل في الاعتبار كمنشأ صوتية وتنظيمية تجعلها تتخذ الملقوظ منطلقها الأساسي في للدراسة^(١).

التدخل بين التداولية و الدلالة:

- فلما التدخل بين التداولية والدلالة فيظهر في أن كليهما يدرس المعنى، إلا أن التداولية تغطي بالمعنى والاستعمال الوظيفي للغة، ومن ثم فهي تتناول وظيفة التواصل وهدف المنتج من كلامه، الذي يريد أن يبلغه للسمع، وما يتحقق لدى المستمع، مستعينا بعوامل السياق والسقم الأخرى^(٢). على حين تركز الدلالة على دراسة المعنى من خلال مستويات الدرس الأخرى، أو بمعنى آخر الدلالة تدرس المعنى في حد ذاته، أي بمعزل عن مواقف معينة^(٣).

- ومن جانب آخر تتصل التداولية بعلم النحو، وعلم الدلالة معاً، ويتمثل ذلك في أن علم النحو يهتم بدراسة الخصائص الشكلية والبناءات اللغوية، أما علم الدلالة فهو يختص بدراسة العلاقات القائمة بين الماهيات اللغوية وللعلم الخارجي، والتداولية شأنها شأن علم الدلالة لا تتوقى عن الفوص في مذاهات المعاني؛ لأن المعنى يضطرنا في بعض الصيغ اللغوية إلى العودة لدراسة الطريقة التي قام من خلالها المتحدث ببناء للجملة، لحيثما يقوم المتحدث بالنظ جملة معينة، فإنه يحيل شئنا لم أوبنا. إلى واقع أو إلى حالة الأشياء أو الموضوعات التي يتحدث عنها، وقد لا يكون هذا الواقع ممثلاً بالضرورة في الجملة؛ زمن لم يجب أن يُؤخذ بعين الاعتبار سياق النطق والعناصر الداخلة في تركيب الجملة لكي يتم التمكن من فهم منطوق المتحدث.

(١) د. محمد الحناي، الأساس المعرفي لمجموعة الإبداع (مقاربة لسانية - تداولية)، التواصل العلمي، العدد العاشر، المجلد ٢، ٢٠٠٦، ص ٩٤، ٩٣.

(٢) د. عبد المجيد جملعة، منطلق إلى الدلالة الحديثة، دار تريبال نشر، المغرب، ٢٠٠٠، ص ١٠٧.

(٣) د. علي مزور، المباحث الحديثة في علم الأساليب، ص ١٨٠.

فمثلاً لفظة "الآن" تدل على قرب زمن وقوع الحدث، وللضمير المتصل (الثاء) في (قلت) يشير إلى الشخص الذي يقوم بعملية التلطف^(١).

ويشير "فان ذلك" إلى أن المستويين الشكلي (قصورى) والدلالي لا يكتفيان لتحديد بنية للعبارة، بل من الضروري إتمام ذلك بمستوى ثالث هو مستوى فعل الكلام . ومن ثمة تتميز ثلاثة مستويات:

١- المستوى الصرفي التركيبي (يعنى بصورة العبارة).

٢- المستوى الدلالي (يهتم بمعنى العبارة).

٣- المستوى التداولي (ينطق بوظيفة للعبارة).

غير أن "فان ذلك" يمتنع عن إعطاء حل إشكالية العلاقة بين النحو وفندولية، سواء أكلمت تلك الصلة على الاستقلالية للمعوضة لكل مستوى، أم نشأت عن فندراج أحدهما في الآخر^(٢).

ونخلص في النهاية إلى أن النحو يعنى بتوضيح الشروط المحددة، والقواعد التي تضمن صياغة الأقوال الجيدة، وتهتم للدلالة بالشروط التي تجعل الأقوال مفهومة وقابلة للتفسير، بينما تُعنى الفندولية بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال الفندوية مقبولة، وناجحة، وملانة في الموقف للتواصل الذي يتحدث فيه المتكلم .

التداخل بين الفندولية والأسلوبية:

لما تتدخل بين الفندولية والأسلوبية، فيظهر في أن الفندولية لا تقف عند حدود شرح جماليات النص من خلال خواصه الفنية، ولا تقتصر على وصف الأثر الفني (كما هو الحال في الأسلوبية)، بل تتجاوز ذلك إلى الوقوف على أهرض المتكلم، وتبين مقصده من خلال المقام، كما تهتم بالإستراتيجية

(١) هربت بريكي، مكية إلى علم دلالة الإغني، ترجمة لاسم طه، ج١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠م، ص ٣٥.

(٢) د. سفير الميلاء، فندولية والجماع (مفلك ونصوص)، ط١، صفحات فخرات والفنر، ٢٠٠٨م، ص ٣١.

للخطابية للنص الموجه بما هو قول^(١)؛ ويترتب على ذلك اتفاقهما في دراسة للمعنى، واختلافهما في المنهج، فالتداوليون يتناولون المعنى للمعنى، وجعلوه صفة للتفسير. على حين نجد الأسلوبيين معنيين بالمعنى اللغوي (الحرفي) فقط، فإن هذا الافتراق الجوهرى في تصور المعنى لا يسمح بتلاقي المنهجين إلا إذا حُلت كل منهما من منظوره إلى هذه المسألة المركزية. ويمكن للأسلوبية أن تستفيد من التداولية بتعديل نظرتها إلى العمل الأدبي، باعتباره واقعا تحت طائلة نظرية الأعمال اللغوية، ومن ثم للأسلوبية والتداولية كلتاهما منهج من مناهج تحليل الخطاب^(٢).

التداخل بين التداولية والتحليلية:

لما من التداخل بين التداولية والتحليلية فنلاحظ في نظرة كل منهما إلى مقدر المتكلم، للتحويليون يرون أن مقدر المتكلم تشمل قدرتين: (قدرة نحوية خالصة، وقدرة تداولية). أما التداوليون فيرونها قدرة واحدة لها جانبان (التحوي، والتداولي)، وهما مما يكرران المقدر اللغوية لدى المتكلم "ما نيك ١٩٩٧"^(٣). أما اتفاقهما فنجد في أن التحويلين لم يكتفوا بوصف وتصنيف المقولات اللغوية، بل سقوا إلى دراسة تفسير هذه المقولات بما تحتويه من نسق للمعارف اللغوية المكتسبة لدى المتكلم، وهو ما يعد ركيزة في التداولية^(٤)؛ لذلك يرى "ديل هايمز" أن القدرة التواصلية جاءت نتيجة التقاء تيارين متميزين هما (التحو التوليدي للتحويلي، ولفظة للتواصل)؛ لاشتراكهما مما في البحث عن نوع وطبيعة الطائفت التي يتوفر عليها مستعمل اللغة الطبيعية^(٥).

التداخل بين التداولية واستقالات الخطاب:

لما استقالات الخطاب لتتداخل مع التداولية في كون كليهما يُعنى بتحليل للخطاب؛ ومن ثمّ فهما يتشأن عدداً من المفاهيم الفلسفية واللغوية كالمطريقة التي توزع بها المعلومات في حمل أو نصوص، والعناصر الإشارية Deictic

(١) جريج براونيه، دراسة الأنسب والوقت، وفوات الفن الأدبي، ترجمة د. بسام بركة، مجلة الفكر العربي، معهد الإمام السعيد، بيروت، شتاء ١٩٩٨، ج ٩١، ص ٢٣١.

(٢) فليلق نفسه، ص ٢٢٥.

(٣) د. أحمد الشتران، انشبا هذا العربية في السبلات الفرنسية، ص ١٠.

(٤) د. محمد إسماعيل طري، انشبا هذا العربية في السبلات الفرنسية، علم الفكر، ج ١٢، ص ٢٢، أكتوبر - ديسمبر، ٢٠٠٤، ص ٢٠٠.

(٥) فليلق نفسه، ص ٢٠١.

وقبدي الحواريه Conversational maxims^(١).

ولذا كان من الطبيعي أن تستعين التداولية بمناهج العلوم الإنسانية الأخرى كـ (الفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، ... إلخ) وذلك بغرض التداخل بين التداولية وتلك العلوم^(٢).

أنواع التداوليات ودرجاتها :

ولما كثرت التداولية شديدة الاتساع، متداخلة مع غيرها من العلوم؛ أدى ذلك إلى تصنيفها إلى عدة تداوليات منها:

- ♦ التداولية الاجتماعية Socio pragmatics التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.
- ♦ التداولية اللغوية Linguistics pragmatics التي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية Structural.
- ♦ التداولية للتطبيق Applied pragmatics وهي تُعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة، كـ (الاستشارات الطبية، وجلسات المحكمة).
- ♦ التداولية العامة General pragmatics، وهي التي تُطوى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً لتواصلية^(٣).

وهناك من صنف التداولية إلى :

• "تداولية صغرى" (تتجه نحو السياقات الجزئية)

• "تداولية كبرى" (تتجه نحو السياقات الاجتماعية)

هكذا نتحدث عن "ما وراء التداولية" (التي تتجه نحو وهي للناس للتداولي).
فالمبدأين المنضلة لدى للتداولية هي التدريبية (حيث اللغة في الوقت ذاته وسيلة وموضوع) وفي علاقات المساعدة (الطبيب والمريض في علم

(١) د. محمود أحمد نطاش، لقاء جديداً، ص ١١.

(٢) السابق، ص ١٠ - ١١.

(٣) فرانكلين هالده، من: ديار هيلمان، مغل إلى علم اللغة النفسي، ترجمة د. فلاح بن شبيب همامي، ط ١ جامعة الملك سعود، ١٩٩٦م، ص ٥٥ - ١١، د. محمود نطاش، لقاء جديداً، ص ١٥.

للنص العلاجي... الخطابات الإعلامية والمفاوضات (السوسنة،
والإشهار، ووسائل الإعلام) وللخطابات العلمية^(١).

لما درجت للتداولية فتشمل ثلاث درجات، هي :

١- تداولية الدرجة الأولى: النظرية التلنطية (Enonciation)

٢- تداولية الدرجة الثانية: النظرية الحجلمية^(٢) (Argumentation)

٣- تداولية الدرجة الثالثة: نظرية الأعمال الكلامية (Actes du langage)^(٣)،
ويهتم هذا النوع من التداول باللغة بوصفها مظهراً فعلياً (حدثياً)، وهو يُقسم
المفروقات إلى قسمين :

١- إبتدائي خيري، مثل : سافر الرجل .

٢- إبتدائي، مثل : هل سافر الرجل ؟

وسنعرض لها في موضعها من البحث .

من مهام التداولية

يتلخص مهام التداولية في :

١- دراسة "استعمال اللغة"، التي لا تدرس "البنية اللغوية" ذاتها، ولكن تدرس
للغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، من حيث كونها "كلاماً
محدد" صادراً من "متكلم محدد"، وموجهاً إلى "مستلم محدد" بـ "لفظ
محدد"، في "مقام تواصل محدد" لتحقيق "غرض تواصل محدد" .

٢- شرح كيفية جريان الصليات الاستدلالية في معالجة المفروقات .

(١) أبواب بلاغية، تتناول من لسان إلى جرس، ترجمة سابر القبيصة، ص ١٨٩.

(٢) ينظر القليل تلك: القمحا، ص ١٠ - أو ما بعد.

(٣) د. محمد الحظان، الأسس السري لمفردمة الإباح (مطبعة أسلاف - عتاريا)، ص ٩٥ - ١٠٠.

٣- بيان أسباب لفنية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر، وعليه، فإن بعض الدارسين يقولون على التداولية في تحقيق مجموعة من الاستفسارات تعبر عنها الأسئلة الآتية :

* كيف نصف الاستدلالات في عملية التواصل، علما بأن الاستدلالات التداولية غير والحة، وربما كانت غير مقنعة في كثير من الأحيان؟
* ما هو نموذج للتواصل الأمثل؟ (أهو الترميز أم الاستدلال؟)

* ما هي العلاقة بين الأنشطة الإنسانية الآتية: اللغة والتواصل والإدراك؟ وما هي العلاقة بين الفروع المعرفية المشتملة بهذه الأنشطة (أي علم اللغة وعلم التواصل وعلم النفس المعرفي)^(١).

أعلام التداولية :

١- تشارلز موريس (١٩٣٨م) :

جاءت نقطة الانطلاق في للتداولية على يد "موريس" ١٩٣٨م، الذي صلب علم السيميوتيك Semiotics إلى ثلاثة فروع: (علم التركيب Syntax، وعلم الدلالة Semantics، وعلم التداولية Pragmatics)^(٢)، وتمثل الأولى علاقة العلامة بالموضوعات، وتمثل الثانية علاقة العلامة بالمؤاين. وتمثل الثالثة العلاقة الشكلية للعلامات فيما بينها، تتحلل العلامات في علاقات مختلفة، حيث تتشارك في البعد النحوي، وتشير وتسل في البعد الدلالي وتعبر في البعد التداولي.

ويعتبر "موريس" بأن التشكلاني يعد كل النظام القيمي للغة نوع الاختتام، إما إذا كانت اللغة مكتوبة، وكذلك للموضوعات، أن التجريبي يلح على ضرورة علاقة العلامات بالموضوعات، والتداولي يرى أن اللغة نشاط تواصلية لسلي.

(١) ر. سمود سحراري، قنولية عند العلماء العرب من ٢١، ٢٢.

(٢) زيمسلاف وروزانوف، يمثل إلى علم نفس، مشكلات بناء الفهم ترجمة د. محمد حسن محمود، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٨٦.

ولدى "موريس" أن للتداولية تمّلاج ظاهرة حياتية، وهي مجموعة المظاهر السيكولوجية والبيولوجية المرتبطة بصل للعلامات، ويميز بين التداولية المحضة والوصفية؛ فالأولى تحيل إلى إتجاز اللغة أو للكلام، والثانية تحيل إلى البعد التداولي. وعلى الرغم من هذا الاستقلال النسبي للملاحظ على التداول، إلا أنه ما يزال ينظر إليه بوصفه فرعاً من علم أشمل هو "علم السيمياء"، الذي يهتم بالعلامات أيّ كان نوعها، ومن حُسْنها الفلنة، والسبب هو أنها تبدأ وتنتهي بالمكون اللغوي الذي يعد جزءاً من المكون المعرفي لدى المتكلم^(١).

٢- لويفيج فينجنشتاين (ت ١٩٥١م):

أ. نشأته وتلقّنه ..

ولد "فينجنشتاين" في فيينا عام ١٨٨٩م، في أسرة يهودية نمسوية واسعة الثراء والثقافة، تخصص في هندسة الطيران، ثم درس للرياضيات، والمنطق، والفلسفة على يد "فريجة وراسل"، بدأ بإلقاء المحاضرات في الفلسفة في جامعة كمبريدج في عام ١٩٢٠م، ثم رقي إلى مرتبة أستاذ كرسي في عام ١٩٢٩م، وقد جذبت محاضراته ثلة من الطلبة والزملاء وقام الكثير منهم بنشر أفكار "فينجنشتاين" وطريقته إلى جمهور أوسع، والعمل الرئيس الوحيد الذي قام بنشره في أثناء حياته هو كتاب "رسالة في المنطق والفلسفة" ويمثل عصاره ما يشار إليه عادة بـ "المرحلة المبكرة" في تطوّر فكره للفلسفي. إلى أن أخرج هذا الكتاب، مثيراً ضجة معرفية أمتدّت وقتاً طويلاً، وبقي وقتاً يتردّد بين كبرى الدول بحثاً عن المعرفة إلى أن توفي عام ١٩٥١م في كمبريدج، من أشهر أعماله الطمبة السعي إلى بناء اللغة المنطقية التي يكون بوسعها وصف للواقع المعادي وصفاً دقيقاً^(٢).

ب. أهم أفكاره ..

(١) أرفستو ترينكو، المكتبة الفلسفية، ترجمة سعيد طوش، مركز إنشاء القرية، قرطاج، ١٩٨١م، ص ١٢.

(٢) جون إي جوزيف، دليل لغة، توليت جي نيلز، أعمال فكر الفيلسوف، ترجمة: د. أسد شقر عكالي، ط ١، دار الكتاب الجديد، طرابلس، ٢٠٠٦م، ص ١٢٣.

١- كرّس جهوده في دراسة اللغة المثلى لوصف العالم، ثم انضم إلى فلاسفة إكسفورد بقصد دراسة اللغة الطبيعية، وتعتمد هذه الفلسفة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: **الدلالة، والقاعدة، وألعاب اللغة**.

أ. الدلالة :

أفاد "فيتجنشتاين" أنه لا يجب الخلط بين المعنى المحصل والمعنى المقدر لأن هذا يعني الخلط بين الجملة والقول، كما حدد معنى الجملة الحقيقي الذي يمكن مشاهدته والتحقق منه في صلب الممارسة اليومية لألعاب اللغة. وتتجلى السمة الأساسية للجملة -حسب آراء "فيتجنشتاين"- المبكّرة في قدرتها على نقل المعنى للذي لم نمنح النظر فيه بعد. وتستخدم العبارات للتعبير (الخدبة) لتوصيل معنى (جدوة). وبمعنى آخر، فإنّ البنية اللغوية بنية خلقة؛ إذ تسمح لاستخدام اللغة ببناء للجمال المفيدة وفهمها، وإن لم يحقّ له أن صادقها.

وأصبحت هذه السمة في الإبداع اللغوي -أو فنونيد اللغوي- سمة مهمة في النظرية التوليدية في اللغة التي طورها "تشومسكي"^(١).

ب. القاعدة :

يري "فيتجنشتاين" أنه يجب للنظر في هذا المفهوم من حيث وجوهه الاجتماعية، والاستبدالية، والنفعية، فوجه القاعدة الاجتماعية يكمن في أنها تستدرج إلى التواضع والإصطلاح؛ أي أن استخدام الأدلة يمثل إلى القاعدة، حين اتباع قاعدة ما وإعطاء معلومة وأمر ولعب للشطرنج؛ كلها ممارسات؛ أي تقاليد ومؤسسات^(٢). ونفهم من قول "فيتجنشتاين" هذا أنه يجب على كل من يشارك في لعبة اللغة، أن يمثل للقواعد الأساسية أي الإصطلاحات الاجتماعية، كما لا يجب أن يجهل بعض القواعد غير الأساسية -القواعد الفردية- فهي نماذج ومثل صالحة لعدد كبير من الأحوال والمتكلمين تسمح بتلخيص النشاط اللغوي.

(١) أعلام الفكر الغربي، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٢) جاكوبي لافاي، يمثل إلى القواعد التوليدية ترجمة محمد يمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢، ص ١٨، ١٩.

ج- ألعاب اللغة :

يبين الفيلسوف "فوتجنشتاين" أن لثقتك غير واردة في ألعاب اللغة، والأهم هو أن لا تثبت التجربة لعكس فيما بعده يقول: « تصور اللعبة اللغوية لتتألف: عندما أنتبهك: تدخل من ألعاب، ففي جميع أحوال الحياة المعقدة، يبدو الإقدام على لثقتك بأن هناك باب حقا ضاربا من المستحبات» .

ففي نظر "فوتجنشتاين" أن اللعبة اللغوية تشبه شكلا من أشكال الحياة، أي أنه لا توجد طريقة واحدة لاستعمال جملة ما، بل ثمة عدد لا حصر له من الطرق (الأمر، الوصف، التمثيل، القضاء، المزاح، الشكر، التحية، ...الخ).

ويمثل معناه في شرح كيفية اشتغال الكلمات في التجربة وتبين تطور الألعاب اللغوية بتطور الفشلفات الاجتماعية. وهكذا، تشكل هذه الألعاب طرائق يتعلم الأطفال بواسطتها لغتهم الأم، وكيفية الاندماج في المجتمع .

يضع "فوتجنشتاين" القواسم لحل استبدال التحيرية، مشددا على أهمية الاستعمال لثلا عن ذلك: «ما الذي يعطي الحياة الملائمة؟ إنها تعيش خلال الاستعمال، فهل تمتلك لنفس الحياة ذاتها أو أن: الاستعمال هو ذاتها»^(١).

ومن هنا فالأمر لا يتعلق فقط باستعمال كلمة في جملة، بل باستعمال للجمال في المؤلفات المعسوسة أي مؤلف الفعل، وهي وجهة تداولية، فليس الهدف في اللغة هو الفهم والتمثيل، بل هو ممارسة وتكرار لطبي للواحد في الآخر .

حيث يقول: «لأن لا نقول أي بدون لغة أن تتمكن فيما بيننا، والأكثر من هذا أنه بدون لغة أن تتمكن من التفكير في الآخرين بطريقة أو بأخرى»^(٢).

وقد كشف "فوتجنشتاين" للطابع الجوهري لتطبيق تدخل الفشلفات حيث يطرح موضوع تسلاو التداولية التثليلية للتعبيرية. وتبقى ألعاب اللغة عسومية.

(١) فرانسوا أرمينكو، الفكرة التداولية، ص ٢٢.

(٢) صالون غصاء، ص ٢٢.

كلية ودون تاريخية، وتظل مفاهيمها إشكالية بشكل واسع تتميز بغرابة التفاعل اللغوي في مكونات المعنى^(١).

وجه الشبه بين نظرية الألعاب اللغوية عند فيثجنشتاين، ونظرية الأفعال اللغوية عند لوسطن :

كلتا النظريتين تركز على ضرورة ربط وظائف اللغة بالسياقات الاجتماعية التي تشتغل فيها الألسنة. كما يجب ألا تقتصر في الفلسفة فقط على صنف المقولات الوصفية

وقد ركز لوسطن على أن كثيرا من الجمل التصريحية (من قبيل أسمى هذه العبارة الحرية^(٢)) تستعمل في بعض السياقات التلويحية لا لوصف حالة للأشياء توجد بمعزل عن القول. ولكنها جزء لاسمي لعمل ما ينجزه المتكلم^(٣).

٢- دور العقل في اللغة : لما في اللغة لترتبط الكلمات التي تشكل التعبير. أو الجملة ذات المعنى- بعلاقة تحديدية بمضنها مع بعض. وتمثل كل كلمة من الكلمات جزءا من الوضع القائم المصور. ويجب أن تكون العلاقات بين الكلمات في التعبير متخلطة مع العلاقات بين الأشياء التي تمثلها الكلمات في الوضع القائم المصور، بمعنى أن البنيتين-بنية العبارة وبنية الوضع القائم- يجب أن تمتلكا "صفة منطقية" مشتركة. وتكون العبارة صحيحة إذا كان الوضع القائم المصور حاصلًا بالفعل. (العبارة صورة للواقع)، ولكي نفهم العبارة يجب أن (نعرف الحالة إذا كانت صحيحة). كما عند "الرمطو" والتعويين للتأليفين. فإن العقل يمتلك دورا شغافا في حد ما في العلاقة التثنائية بين اللغة والعالم، وعلى وفق لأفروحات كلاب (رسالة في المنطق والفلسفة) فإن الفكرة صورة منطقية للوضع القائم، وهي الصورة التي تعبر عنها العبارة بطريقة (يمكن للحواس أن تفهمها)^(٤).

٣- أهمية الفلسفة في التحليل اللغوي : يؤكد "فيثجنشتاين" في كتابه (البحوث الفلسفية) أن المشاكل الفلسفية يسببها (التعسف) و(الأوهام) التي مصدرها اللغة : وهي بمثابة نتائج ما أسماه (اللابسات النظرية)، وبمعنى آخر، اعتقد

(١) فرانسواز أرنيس، الفلسفة اللغوية، ص ١٢٢، ١٢٤.

(٢) د. سابر الجبلة، اللغوية والصياح (مدخل ونسوس)، ص ٣٨.

(٣) أحلام قنوي، ص ١٢٤.

"هينجشتاين" أن المشاكل الفلسفية إرث لبعض الطرق، حيث نميل نحن مستعملي اللغة إلى استعمال المفردات عندما نتحدث ونكتب وكذلك عندما نفكر. في أنواع معينة من المواضيع: وهي المواضيع ذاتها التي تمثل أصعدة المصطلح الفلسفي. ونتيجة لذلك، فإن الطريقة الفلسفية عند "هينجشتاين" مصممة لعلاج هذه المشاكل في مستنها باستخدام الاستراتيجيات البلاغية التي أسماها (البحوث المنهجية)^(١)، وقد جاءت أفكاره معالجة لهذه الموضوعات التي تجمع بين اللغة والفلسفة مثل: (العلاقة بين الجملة والفكرة التي تدبر عنها - ووظيفة التعريف المقصود - والعلاقة بين القاعدة وصياغتها في الكلمات وسلوكها على وفق تلك القاعدة والعلاقة بين القصد المقصود والفعل الذي يؤديه - وكيفية الفهم التوحيدي - وللملازمة بين الإحساس (الدلالي)، أو للتجربة والسلوك، (الخارجي) وللتقرير اللغوي لذلك الإحساس أو تلك التجربة - وخواص المجازة (أو معنى الجملة) - ومعاني المصطلحات الذهنية - والعلاقة بين معنى الكلمة أو الجملة واستعمال تلك الكلمة أو الجملة وتكامل اللغة والأشكال الحضارية في الحياة - ومكافة عبارات (اللسان القام) ووظيفتها - وطبيعة العبارات المنطقية ووظيفتها)^(٢).

٣- جون أوستن (١٩١١-١٩٦٠) :

فيلسوف اللغة الإنجليزي الذي يُعدُّ أبًا للتداولية، وقد حصل استقلاً لفلسفة الأخلاق بجامعة أكسفورد، وهو الذي أسس تداولية الفعل للكلام، وقد خيرت أصالة مجرى الدراسات اللسانية في العشرينات الأخيرة من القرن الماضي. لم ينشر شيئاً في حياته، الكتاب الوحيد الذي نُشر له عنوانه (كيف نصنع الأشياء بالكلمات) وهو كتاب يضم اثنتي عشرة محاضرة ألقاها في جامعة هارفارد عام ١٩٥٥م وقد جُمِعت هذه المحاضرات في الكتاب المذكور بعد وفاته سنة ١٩٦٠م ونُشر في عام ١٩٦٢م^(٣). وسنقدم شرحاً تلخيصياً لأهم أفكاره في موضعه^(٤).

(١) أعلام الفكر الغربي، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) السبل نص، ص ١٢٩.

(٣) اندرو حيران، عهد تداولي في المصطلح الغربي، الجزء في بني إسرائيل، رسالة دكتوراه كلية الدراسات والأدب - جامعة الجزائر، ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ص ٥١.

(٤) يُنشر دور أوستن في الأعمال لكتانية، ص ٤١، وما بعدها.

٤- جون سيرل (١٩٣٢):

أ- التعريف به :

هو فيلسوف أمريكي معاصر^(١)، يُصنّف كعدد أبرز الفلاسفة المحدثين الذين ينتمون إلى تيار الفلسفة الحديثة، التي طوّرها "أوسطن". كان "سيرل" يُدرّس الفلسفة في جامعة كاليفورنيا. ويطمح في مشروعه الفلسفي إلى تصحيح الكثير من المفاهيم التي سيطرت على الفلسفة في القرون الأخيرة. والفترة على تصحيح هذه المفاهيم والخروج بالتفكير من سلطتها مفتاح الفلسفة في هذا القرن الجديد.

ومن أشهر أصالي "جون سيرل": "الفعال للكلام"، و"التحوير والتمني"، و"القصدية"، و"المقول والأمنمة والعلم"، و"إضافة لاكتشاف للعقل"، و"بناء الواقع الاجتماعي"، و"الخز للشعور".

ب- أهم أفكاره :

تتميز الحقيقة الزمنية للممارسة "سيرل" بنمو للمعرفة بشكل مذهب. هذه حقيقة لا يمكن إنكارها؛ ومن هنا يستنتج "سيرل" تصوّره لدور الفلسفة في القرن الجديد، وتتمثل أهم أفكاره فيما يلي :

١. مفهوم القصد :

وكان اهتمام "سيرل" بالقصد، ويشمل هذه للحالات الشعورية الاعتقادات والارتيادات، والمقاصد والإدراكات، وكذلك مشروب الحب والمكره، والمخاوف والأمل. فـ"القصد" هنا هو المصطلح العام لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجه بها العقل، أو يتعلق نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم^(٢).

٢. رغبته في معنى التمتكلم :

(١) جون سيرل: عقل والفئة والتمني (عقلية في العلم فريقي)، ترجمة سعيد الفاسي، ط١: دار الحرية للطباعة بيروت ٢٠٠٦، ص٥.

(٢) السابق، ص١٢٨، وينظر: مبدأ القصد، ص١٤١.

المعنى هو شكل قسدية مشتقة، والقسدية الأصلية أو للدعالية في فكر المتكلم تتحول إلى كلمات وجمل وعلامات ورموز... إلخ. إذا ما أحسن النطق بهذه الكلمات والجمل والعلامات والرموز؛ بحيث تكون ذات معنى، ففيها تنطوي على قسدية مشتقة من أفكار المتكلم، فهي لا تنطوي على مجرد معنى لغوي تقديدي فحسب، بل على معنى يقسده المتكلم أيضاً. ويمكن للمتكلم أن يستعمل للقسدية التقديرية للكلمات والجمل في اللغة لتأدية فعل كلامي. وحين يؤدي المتكلم فعلاً كلامياً، ففيه يفرض قسديته على هذه الرموز. كيف يمكن التكلم بذلك بالضبط؟ قد تبين أن شروط الإشباع، بالمعنى الذي حاولت تفسيره، هي المتاح لفهم القسدية. من هنا، فعين يقول المتكلم شيئاً ويعني آخر، ففيه يؤدي فعلاً قسدياً، ويكون إنتاجه الأصوات جزءاً من شروط إشباع هذا القصد في صنع المنطوق. ولكن حين يخلق منطوقاً ذا معنى، فهو يفرض شروط الإشباع على هذه الأصوات والعلامات. وهكذا فهو يخلق منطوقاً ذا معنى، يفرض شروط إشباع على شروط الإشباع^(٢).

٣. نقده لفكرة الألعاب اللغوية عند فيجنتشتاين :

حيث يقول "ميول" في نقده لـ "فيجنتشتاين": "ولا يوجد حد لا نهائي أو غير محدد لألعاب اللغة أو استعمالها، إلا أن وهم اللطيف غير المحدود، كما يُؤخذ عليه أنه غير تنبؤي أو غير حواري بما فيه الكفاية"^(٣).

٤. إيرلنج جوفمان (١٩٢٢-١٩٨٢):

١. نشأته وثقافته :

وُلد "جوفمان" في كندا في عام ١٩٢٢م، وعمل بتدريس علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، ثم عمل في جامعة بنسلفانيا، وهو المراد المؤسسة للدراسة الأكاديمية للتفاعل من خلال المحادثة، وهو موضوع أسماه (ب)سلطة الحديث). ومثل ذلك الوقت فإن الفصل الذي تصوره "جوفمان" أول مرة. وكان

(١) ميول، فصل اللغة والتمتع، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) فرانسواز أرمينغر، اللعبة اللغوية، ص ٢٣.

أول من اقترح الاهتمام به- قد نما بشكل مستمر ليصبح واحداً من أكثر المواضيع حيوية في النظرية اللغوية الغربية^(١).

أهم أفكاره :

١- أفكار بولم الاجتماع في الدراسة اللغوية :

اعتد "جوفمان" بعلم الاجتماع من خلال دراسة للغة، وكان اهتمامه أكبر بكثير من مجرد الحصول على المعلومات عن الخصائص المميزة للغة ذاتها. ومنذ بدايات الفكر اللغوي الغربي، جادل المنظرون في أنه بدراسة اللغة يستطيع المرء أن يتعلم بعض المواضيع غير اللغوية، مثل للعقل الإنساني، ومشينة الله، وأصول الإنسان وتطوره، وجوهر النسيب، وتاريخ الأعراف، والفروق بين البشر والحيوانات. وبطريقة نفسها، لاهي "جوفمان" أن للكثير من الاهتمامات التقليدية (الكلية) لعلم الاجتماع- مثل الهرم الاجتماعي، والبنية، والسلطة، والتغيير، وما إلى ذلك- يمكن دراستها على أفضل وجه من خلال الإدراك (الجزئي) لها في التفاعلات وجهاً لوجه بين الوسطاء الاجتماعيين الأفراد، وأن معظم هذه التفاعلات هي تفاعلات للنتيجة^(٢).

٢- العناصر التواصلية للمنطوقة :

اعتنى "جوفمان" بالتواصل اللفظي؛ لكونه شكلاً من أشكال التخلط؛ أي كونه وسيلة لنقل المحتوى الذهني للمتكلم إلى سامعيه، وأفكاره، ومشاعره، وموقفه، وتصوريته وما إلى ذلك. ويؤكد "جوفمان" ولوك" كلاهما أن المتكلمين والسامعين يفترضون عادة أن التواصل يصل، أي أنهم يفهمون ما يقول بعضهم لبعض. على أية حال، ففي حين نجد أن وسائل التواصل الوحيدة التي يهتم بها "لوك" هي للكلام والكتابة، يتوسع "جوفمان" في هذه الفاتحة لتشمل الإيماءات اليدوية، وتعبير الوجه، وطريقة الوقوف، أو الجلوس، والنظرات، ونبرة الصوت، وسمات (لغوية- لغوية) مثل الوقفات

(١) أعلام الفكر لغوي، ص ٢٤٨.

(٢) السجل، ص ٢٢٩، ينسحب.

للمعلومة، والمصلحة، واستجابات للتنفيذ الراجعة، والمنحك وكلمات التعجب مثل (اه) ووسائل تواصلية أخرى شائعة ولو أنها ليست لغوية^(١).

٣- العناصر المكونة للمحادثة التواصلية :

إذا أخذنا في الاعتبار حاجة المتكلم ليعرف إذا تسلمت رسالته سواء حصل ذلك أمهت بسهولة أم لا، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار حاجة المتكلم ليعين أنه قد استلم الرسالة وبشكل صحيح إذا أخذنا هذه المتطلبات الأساسية للحديث كونه نظامًا تواصليًا بنظر الاعتبار- يصبح لدينا النموذج المنطقي الأساسي لتنظيم الحديث في حوار ذي جزئين.

إن بنية الحديث من حيث كونه نظامًا لحوار ذي جزئين، تمثل المصدر التنظيمي الذي يسمح للمتحدثين أن يقرروا فيما إذا كان ما يقولونه يفهم بشكل صحيح لدى سامعيهم، وفيما إذا كان المعنى الذي يعزوه السامعون إلى عبارة المتكلم هو ما يقصده المتكلم، ومنعهم هذه البنية -مساعدة الحوارات للمعالجة الوسيطة لإصلاح حالات سوء الفهم عند اكتشافها، وتنظيم محادثات نظام المحادثة بطريقة تسهل ليس فقط الوصول إلى فهم مشترك، بل إلى الإدراك المتبادل للفهم المشترك^(٢).

٤- الأهداف الأسلمية والإضافية للتواصل :

يوضح "جوفمان" أننا يجب أن لا نفترض أن شخصين منفيين في حديث، يتفانان فقط بمهمة نقل المحتوى الذهني لغيرهما أو لفكرهما من واحد لآخر، إن الحوارات التواصلية أكثر بكثير من كونه وسيلة للتعبير عن الأفكار وفهمها. وهو كذلك صيغة من صيغ التفاعل للشخصي- لقاء بين شخصين اثنين أو أكثر. فضلاً عن ذلك، فإن المتحدثين ينفون قيمة عظيمة على تصورات الذات، وهي ما يسميه "جوفمان" (وجوههم) التي يبدونها في تفاعلهم، وإلى حد ما قيمة أكبر من تلك التي ينفونها على التبادل الدقيق للمعاني على أية حال، فإن كل تفاعل يشكل خطراً على إدامة اعتبار المرء. والمصادر التي يمكن

(١) لحكم الفكر الفكري - من ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥

برسالتها تجنب هذه المخاطر -و غالبًا ما يحصل ذلك إذا لم نقل دائمًا- بمسئها
 "جوفمان" (محدثات الطقوس)^(١).

(أ) محدثات طقوس التواصل :

يُبين "جوفمان" بعض طقوس التواصل في هذه الطبيعة الخاصة تجد
 للمفاهيم مصدرها مثل: احترام الآخرين، وحسن السلوك، والأدب، واللباقة،
 ومراعاة مشاعر الآخرين، والشرف، والكرامة، واحترام الذات، والبراعة،
 وغيرها. ويكرس "جوفمان" معظم أصله لتحليل الطرق التي تسهم من خلالها
 هذه المفاهيم في بناء مناسبات خاصة للحديث. ونتيجة لذلك؛ فإن نظرية
 "جوفمان" عن الحديث ليست نظرية عن بنية للمحادثة وحسب، بل عن بنية
 الذات التواصلية ككلها^(٢).

إن الإشكالية التبادلية تُفهمُ (conceptualize) للسان واستعماله غير
 الأحسية، التي تطلقها بالتفاعل بين المتخاطبين في "أن من يُخبر يلزم عليه أن
 يحرس على ألا يستتبعه الناس مجتوئا، ومن يُسلم عليه أن يلمل في أن يكون
 تسليمه مرغوبًا فيه، ومن يظفر، عليه أن يتوقع قبول اعتذاره، والذي يعترف
 بحقيقة مشاعره (...). يلمل أن يكون محل ثقة، (...) والذي يقدم عرضًا غير
 مُخر، يتوقع ألا يستحصله الناس، (...) ومن يقول عن نفسه شيئًا يتوقع أن يقول
 الناس عنها للعكس. وتصبح الوقفة التي تلي محادثة (...) ممكنة إذن، في جزء
 منها؛ لأن المتحاورين قد وصلوا إلى نقطة يرى كل واحد منهم أنها قوية، ولأنهم
 يتمتعون بقدر محترم من ضبط للنفس، ومن لطراف الآخرين. (جوفمان، طرق
 الكلام، ص: ٢٦٣)^(٣). ويلح "جوفمان" على هذا الأمر تحديدًا :

"مقدر ما يمكننا تبين أن للتعود الفلمية هي تعاقبة كلها، بقدر ما نلاحظ أن
 هذه الاعتمادات الطقوسية تعتمد بشكل ظاهر على اعتمادات ثقافية، حتى وإن
 توقعنا أن نراها تتغير من مجتمع إلى آخر تغيرًا مطلقًا. (...) إضافة إلى ذلك،
 فبقدر ما يلتزم المتحدثون أخلاقيًا بالمحافظة على التقويات للمحادثات مقروعة
 وصالحة للاتصال، فإن كل ما يصل بين المتحدثين أخلاقيًا بالمحافظة على

(١) احترام الفكر الغربي، ص: ٢٥١.

(٢) سلفان، نفسه، ص: ٢٥٢.

(٣) غلوب، بكتشيه، التبادلية من لوس أنجلوس إلى جوفمان، نشر: مطبعته، ص: ٨٨.

القنوات المحادثة مقترحة وصالحة للاستعمال، فإن كل ما يصل بين المتحدثين
بلسم التتويج التنظيمية، سيصل بينهم أيضًا بلسم للتتويج الطوقية. وإن تلبية
حاجات هذه الأخيرة (...) يعني (...) التواصل". (طريق الكلام، ص: ٢٣،
١٩٤)^(١).

ب) عوائق التواصل :

يلفت "جوفمان" إلى وجود عوائق للتواصل تفرضها طبيعة القموض
والحجاب الحرفية والحنف في الحديث. كما يلفت "جوفمان" انتباهنا أيضًا إلى
عوائق أخرى كثيرة، تلك التي تهدد إنجاز الحوار التواصلية الفاعل، وتشمل
تلك العوائق التي يمكن مصدرها في حقيقة أن التواصل هو تفاعل بين الطرفين،
وإننا أردنا أن نفهم نوع الآلية التي يستند إليها الحديث، علينا أن نفهم الأنواع
المختلفة في التحديثات التي يُراد من الحديث التثلب عليها^(٢).

٥. رأي جوفمان في تكاثرية التواصل للجديد :

ولنشر "جوفمان" إلى أن المقاربة التداولية تركّز نظرها على القول بما هو
فعل (الأفعال اللغوية)، وعلى الفعل مع القول (الحركات والإشارات التي
تصاحب الكلام، وهي الملابس التي تحفّ بصل القول) كما تركّز أيضًا على
الفعل دون القول (التصرفات والسلوكيات غير القولية). إنها في الحقيق نظرية
السلوك البشري بوصفه توصفًا. وعلى النقيض من أساليب التثلب التي كانت
تطورًا مطردًا نحو الخارج بالمقارنة مع البنيوية، فإن التداولية لا تتوقف عند
العلاقات التي تربط المتكلمين بالعلامات، بل إنها تهتم خاصة (...) "بالمعللة
التي توحد البعث والمتقبل، مادام التواصل يتخذ تلك المعللة واسطة بينهما".

ونذك أن (...) حدثًا ما يظلّ غير قابل الفهم مادام حقل الملاحظة لا يتسع
بما فيه الكفاية ليشمل السياق الذي نشأ فيه ما سمي حدثًا^(٣).

(١) أحلام قنار القوي، ص: ٩٠.

(٢) السابق نفسه، ص: ٢٥٥.

(٣) غلوب بالشتا، تداولية من لوس أنجلوس إلى جوفمان، دار سفر الفيلسوف، ص: ١١٠.

٦- أهمية منهج جوفمان في التحليل التواصلية :

فلن نفضل "جوفمان" يتمثل في لفت انتباه منظري اللغة إلى اقراء المتنوع في الحديث، وكونه مجالاً للبحث، في الوقت الذي يشير فيه إلى علاقة دراسته بعلم الاجتماع، والاثربولوجيا، وعلم اللغة، وعلم النفس. وما زالت أفكاره تمثل القوة الدافعة في دراسة التفاعل من خلال المحادثة إلى يومنا هذا.

لو أخذنا بنظر الاعتبار أن لذلك شيئاً ما ترهب في قوله لشخص آخر بعينه، كيف تتصرف لكي تلج إلى الظروف التي تسمح لك بعمل ذلك بشكل مناسب؟ وهنا يبدو واضحاً أن النغمة وعلم اللغة يجب أن تفسر المجال أمام علم الاجتماع^(١).

٧- أثر السياق في فهم النصوص تداولياً

يوضح "جوفمان" أن استعمال المتكلمين/ المخاطبين علامات لفظية وغير لفظية تربط بين ما يقال في ظرف مكاني وزماني محدد وبين معرفتهم بالمعالم هو ما يُعرف بالسياق (...). إن مفهوم الوضع السياقي يجب أن يُفهم بالرجوع إلى نظرية في التداول ترتكز على الافتراضين الأساسيين التاليين :

١. التداول في وضعية كل ملفوظ يتعلق دائماً بالاستدلال. ويقوم الاستدلال (...) على مقدمات. فهو إذن تخميني وليس إخبارياً، أي أنه يقتضي محاولات تقويم (...) كما يقتضي قصد التواصل، وهو قصد لا يصدّق إلا بالعلاقة مع الافتراضات الأساسية أخرى لا بقيمة الحقيقة المطلقة.

٢. هذه الافتراضات الأساسية هي (...) في الواقع ثمرة للتعاون وتطور هذه المؤشرات حول ثلاثة وجوه أساسية وهي: النظم (اللتخمين، الإيقاع، تدخل لادور للكلام) واختيار الستة من بين الممكنات المتصلة ضمن القائمة اللغوية، وهي ممكنات متغيرة صوتياً وصرفياً وتركيبياً ومعجمياً واختيار التمايز المجازية وأعراف المحادثة (ملفوظات طوقسية، خلاصة عند بدء المحادثة وختمها). إنها تثير استدلالات عبر مسار "إتمام" يتمثل بوحدة الخطاب، خصوصاً عند تولد مؤشرات جديدة^(٢).

(١) أعلام فكر القوي من ٢٠٠٦.

(٢) غلب بلاشيف، فتاوية من لوسن إلى جوفمان، ب.، سفر المحادثة من ١٠٠٤ إلى ٢٠٠٥.

٦- مدرسة بالو ألتو :

أ- نشأتها وأهم أعلامها :

(هي اتجاه جديد في التواصل، ظهر على يد فريق بحثي اهتم بعلاقات التواصل، في ضلحية من ضلحي "سان فرانسيسكو" تعرف ببالو ألتو) لقد أنشئت مدرسة "بالو ألتو" بذلك نظرية نسقية في التواصل، تصدر عنها منهجية للتبدل المطبقة في شكل علاج لأمراض نفسية عائلية. وقد اكتشف "مقزن" مؤسس هذا الفريق، وهو عالم لثنويولوجي إنجليزي (١٩٠٤ - ١٩٨٠)، المقاربة النسقية لدى خبراء السيبرنوطيقا (cyberneticiens)، [السيبرنوطيقا هي دراسة أنماط التحكم والتواصل ولاسيما الأنظمة الاصطناعية للمعلوماتية، الروبوتية (الرجال الآليون)...] سنة ١٩٤٢م.

ويتطبيق هذه المنهجية على العلوم الاجتماعية، يكون قد طور نظرية للتواصل لفاته نحو علم نفس المجموعة .

إثر يقزن، أصبح "بول واتسلافيك" (Paul Watzlawick) أبرز ممثل لمدرسة بالو ألتو. وهو نمساوي ولد سنة ١٩٢١، فيلسوف لغوي تلقى تعليمه في إيطاليا، وتخصص في التحليل النفسي في ألمانيا، والتحق ببالو ألتو سنة ١٩٦٠^(١).

ب- أهم أفكارها :

١. ترى "بالو ألتو" أن العلاقات البشرية هي نسق يشمل الأفراد متقاطعين هو تصرفاتهم (والأفعال اللغوية هي تصرفات ضمن تصرفات أخرى). ومحيط النسق هو سياق للتفاعل (اللفظي أو غير اللفظي). هكذا تعرف مدرسة بالو ألتو بعض المبادئ المتميزة "النسق المفتوح" (على محيطه). الذي تشكله التفاعلات البشرية .

٢. مبدأ الكلية: المجموعة البشرية ليست جمعا بين أفراد معزولين، بل ثمة حركة خاصة. وتقف هنا على مبدأ في العلوم الاجتماعية: "الكل هو

(١) غلاب، بلاشيد، التنشئة من أرساق إلى جوامع، دار سحر الحياة، ص ١٠٦، ١٠٧.

لكثر من حاصل الجمع بين الأجزاء". فالكلمة (التفاعل) هي التي تسمح بتفسير تصرفات عناصرها (الأفراد ولقوالهم) لا العكس.

٣. مبدأ التغذية الراجعة (feed-back): العلاقة بين السبب والنتيجة ليست موحدة الاتجاه، ولكنها دائرية. فسا بهم هي العلاقة المتبادلة بالضرورة، الموجودة بين الأفراد، وليس صلاً معزولاً بوصفه سبباً لإجابة معينة (مبدأ التشاور التلقائي). ويمكن أن تكون التغذية الراجعة إيجابية (تشدد على الظاهرة) أو سلبية (تخفف الظاهرة). وهنا نقب على مفهوم "دور الكلام" الجوسمان (E. Goffman) ^(١).

٤. مبدأ المقابلة: (يحاول كل نسق المحافظة على هويته وتوازنه وثباته. مبدأ التديومة هذا يصحبه بالضرورة مبدأ التوافق مع المحيط وإلا حدث التديومة بفعل تغيرات المحيط فكل نسق لتجانبه المقابلة والتحول (هذا القيد يوافق مبدأ التماثل للمحدثي).

٥. مبدأ التوازن الفعلي: توجد علاقة للنسق ألسنا في اشتغاله الحالي (الآن)، لا في أصوله التاريخية (الزمنية). فالنسق يوافر تفسيره الخاص، فلكي يفهم ينبغي إذن تحليل التفاعلات الحالية لا تحليل أصولها (أي تحليل الأكثر التداولية والدالة في السياق لا تحليل للمعنى الحرفي للكلمة). وقد تصل مصادر مختلفة إلى النتيجة ذاتها والحال أن النتيجة "الآن وهنا" هي التي تهم.

والمسألة الأولية عند مدرسة بلو لئلا أنه من المستحيل عدم التواصل. كل سلوك بشري هو تواصل وإته من المتحرر أن نعدم سلوكاً ما (فحسب عدم التسكون والصمت لهما دلالات). فكل رسالة إذن لها بعد ضمني ^(٢).

ج. أهم المفاهيم التي تعتمد عليها مدرسة بلو لئلا في التداولية:

إن المفاهيم المفتاح لتحليل التواصل البشري (التلقائي، والإشعري، والسلوكي) التي تترجمها مدرسة بلو لئلا هي التالية:

١. لرسالة نلتنا متويمان للمعنى، "المحتوى" (للمعنى الحرفي) و"العلاقة" (الدالة التداولية) ومستوى "العلاقة" أهم من مستوى "المحتوى".

(١) غلوب، بالاشتراك مع توفيل من أوستن إلى جوسمان، تاريخ سفر الجحش، ص ١٠٩.

(٢) فليلق تسمه ص ١٠٩.

٢. تتشكّل الرسائل (الخطابات) وفق شفرة "رقمية" (علامات اعتباطية) أو وفق شفرة "تمثيلية" (علامات مبررة، كتعبير الوجه وتقطيعه لمحتلًا واستياء) ويصل منظرو بالو ألتو بشكل مجمل -سوقابل للتفكير- بين العلامات الرقمية وشفرة اللغة الطبيعية، كما يجمعون بين العلامات التمثيلية والنزعة الإطنابية الماطفية. فإذا تناقض صنفان من العلامات (الأقوال والإشارات مثلاً)، فإننا نكون إزاء حيلة "لقد مضاض" يشوش التواصل. وكذلك الأمر عندما تنتج العلامات الرقمية المضطربة منطقية، تنتج ملحوظًا متناقضًا إتحو "كن حزينًا" أو "العل ما بدا لك، بيد أنك إن قلت لا، أعضيتي"، فإن التواصل يشوش أحيانًا. ومن المفيد أن نذكر بأن التناقض المنطقي إشكالي لسني قديم، ولأن نلاحظ أنه يجد فيها بحثًا مألوفًا (حسب مدرسة بالو ألتو، مثل تلك للتبويضات المتكررة، يمكن أن تحدث أحيانًا خطيرة كالتصان:

٣. يكون اللولب للانهائي للتواصل محل "تقطيع" يقوم به المتخاطبون، بالمعنى الذي استعمله الساني "ب. وورف" (B. Whorf) لفظ للتقطيع، أي أن جملة التواصل تقسم إلى مقاطع كبرى يقع تأويلها. وبذلك لكل مخاطب يقسم الفيض الإجمالي بشكل شخصي، وحسب وجهة نظره. وتتقوى الانتماسات غالبًا من التخطيحات غير المتطابقة، ومن عدم اعتبار المتخاطبين للتواصل تقولاً^(١) هم مسؤولون عنه معًا.

٤. إن "ما وراء التواصل" أو الكلام على الكلام ظاهرة أساسية متأصلة من الإمكانية التي يوفرها للسان بالحديث عن ذاته (وهي الظاهرة المسماة "اتمكسية"). إنه بفضل ما وراء التواصل يمكن للمتخاطبين تحديد تحولاتهم في تأويل الرسائل، وتصحيحهم لتلك التحولات. وبشكل ما وراء التواصل عند بالو ألتو المحرك الأساسي للتواصل "المقبول"^(٢).

(١) جاء في نهاية الأرب الفريدي: "تم تناول الأفكار وحير متفرقة أدت إلى طائفة حير ملي واسعة بمعنى"، فالتقول هو حدث أولي يكون معروفًا بسلوك أكثر تلك القول، مسبق الحيلة في ترجمته الفوقية من أوسن إلى جوسان، من ١١٢.

(٢) الجلب والانتباه الفوقية من أوسن إلى جوسان، نكر مسبق الحيلة، من ١١٠، ١١٢.

وظيفة التداولية :

١. نتم النظرية التداولية بالدور الذي يقوم به المتخاطبون في العالم الاجتماعي. فهؤلاء المتخاطبون لا يتخاطبون فيما بينهم بواسطة اللغة لمصعب، بل إلهم يقبلون ذلك التفاعل ويتعاملون طوعاً^(١).
٢. كما أن للتداولية تقوم بإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي، وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات. وهذه للتشابه ليست من اهتمامات اللسانية للصريحة، بل هي تشبه أن تكون مرحلة وسيطة بين المعارف اللغوية والمعارف الموسوعية.
٣. "دراسة استعمال اللغة" صرحنا عن "دراسة اللغة". فبالسبب، كما هو معلوم، تتفرغ للدراسة اللغوية، أي لدراسة المستويات الصوتية، التركيبية، والدلالية، قد تحولت مع البنيويين إلى علم تجريدي مطلق ذي إجراءات دلالية خالصة، يؤمن بكيفية البنية اللغوية في مسلوها الصوري المجرد، في أن دراسة استعمال اللغة لا تنحصر ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الضيق، وإنما تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المتعددة للمختلفة طبقاً لأعراض المتكلمين وأحوال المتخاطبين.
٤. دراسة الأليات المعرفية (المركزية) التي هي أصل معالجة الملفوظات وفحصها، للتداولية تقوم بربط وشيجة بين اللغة والإدراك من طريق بعض المباحث في علم النفس المعرفي.
٥. دراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل اللغوي، لتقوم من ثم بربط وشيجة بين طسّي اللغة والتواصل^(٢).
٦. تعليم اللغة الأم: وقد بين "ريان جونز" (Rhian Jones) في درسته "بعض الحوافز بين المعلم والتلاميذ" أن تصرّف المعلم اللغوي الذي يكون قليل الضمائم ولا يتسم بالصيغة الحكمية. بل يكون سلوكياً ينقل ملفوظات للتلاميذ غالباً مكان فرض ملفوظة عليهم، مما هذا للتصرّف اللغوي للمعلم

(١) فليب بليتشوف، تداولية من أوسن إلى جوفان، نشر سبار العريقة ، ص ٨١.

(٢) د. سميرة صحروري، تداولية عند العلماء العرب، ص ٢٨.

يؤدي إلى سلوك خطابي وعرفقي ناشط من قبل التلاميذ، ويكون ذلك السلوك محتوياً على نسبة عالية من المفردات الحجاجية، ومن عرض الأفكار، ومن شرح للتواصل، ومن استدلالات. وبالعكس، فإن التلاميذ يواجهون خطاب المعلم الذي لا يحتوي كثيراً من الضمائم ويكون خطباً حكماً، يواجهون ذلك بسلوك أقل نشاطاً على المستوى الخطابي والمعرفي (مفردات قائمة على العنف، قليلة للصحيح أو منحتمها، قليلة الاستدلالات/ الخ) (١).

٧. تعليم اللغة الأجنبية: وفي ما يتصل بتعليم اللغات المعاصرة "أجنبية" واكتسابها، يمثل علم المواضيع المبني بتوضيح للظواهر الموجودة بين الثقافات والمواضعات الاجتماعية، والتنسيق للتدخلات (التي ليست بالضرورة "أخطاء")، وهذا يؤدي بالتوازي مع ذلك إلى تصور جديد للترجمة: إن لفظة الترجمة أمرٌ تُستعمل للمعيار "الخارجية" التي بينت التدخلية أهميتها في إنتاج الدلالة (٢).

٨. فهم النصوص الأدبية: ويذكر "لوسن" للرواية والمطالعة الصورية مثل هذا التعريف الذي قدمه "لوسن" فتح مسلكاً لـ "ميرل" الذي أخذ عنه وعكسه. وهو تعريف يقوم على جعل تحديد المواضعات اللغوية الاعترافية للنص الخيالي تحديداً مُعلّقا تعلّقاً جزئياً. والواقع أن "ميرل" يخصص لهذا الشكل أصلاً في كتابه (المعنى والمعرفة) فيقول: «إن للكاتب ينشئ شخصيات وأحداثاً خيالية بإخفائه الإحالة إلى أناس وأحداث جرت لهم وفي خيال التنزعة الواقعية أو الطبيعية [في السرد الروائي] يمدد الكاتب إلى الإحالة إلى أمكن وظواهر واقعية ملازماً تلك الإحالات بما هو من قول الخيال [...]». ويقوم المؤلف جملة من التعديلات مع القارئ تحدد إلى أي مدى تتطوع مواضعات الخيال الألفية مع تراكبت الخطاب لاجل الصورية. [...] أما ما يتعلق بمقولاته، فنعود لسناً إلى

(١) فليب، والتعليق التوضيحي من لوسن إلى جوسلان، نشر: سير الحديقة، ص ١٨٧.

(٢) السابق، ص ١٩٩.

انسجابه [...] إن ما يُعد انسجاً يعود في جزء منه إلى التمسك بالحاصل بين الكاتب والقارئ في ما يتعلق بالمواضيع الألفية»^(١).

٩. يهتم التحليل الأدبي في إطار علم المواضيع الصيغي بالخصائص الإنشائية والروابط وحالات التبادل السنني والتصرفات في الإحالة الداخلية (دخول النص) والخارجية (خارج النص) والمشتقة^(٢).

١٠. قد اعتم النص المسرحي باستثمار التداولين والذي يُظهر أن التحويل للتداولي له مفيد. ويتم النص المسرحي في الواقع بتلفظ مزدوج ومتزامن:

الكتاب يتوجه إلى الجمهور بواسطة نصه، الشخصيات تتوجه إلى بعضها بعضاً باستخدام فنن. فضلاً عن ذلك، تتوجه للشخصيات إلى الجمهور بطريقة غير مباشرة (ويمكن أن يتوجهوا إليه بشكل مباشر)... ويقوم الضمني بدور أساسي في المسرح. ففي قاعة العرض يُفترض في المتفرج أنه يُعيد بناء هويات الشخصيات، وعلاقت بعضها ببعض، مستنداً في الاستدلال عليها على عدد قليل من القرائن المبلوثة، وعلى عدد من المعطيات الخلقية، وكثيراً ما تكون معرفة المتفرج أكبر من معرفة بعض الشخصيات: فالضمني يضطلع بدور مُضاد لما هو معروف في طبيعة الأشياء^(٣).

(١) أبواب بالتيه، كتابية من لوسن إلى جراسن، ص ١١٢، ١١٤.

(٢) صافي نصه، ص ١٢٥.

(٣) صافي نصه، ص ١١٦.

الفصل الثاني

الأفعال الكلامية

الأفعال الكلامية (speech acts) :

هي لقول يؤدي بها لفعل فيها يمكن للمرء أن يُنجز أفعالا بواسطة اللغة، نحو أزوجه أيتها ! بمجرد التلظت بالقول تصوير الإهنة زوجة ! ومن ثم يحدث فعل كلامي^(١).

نور "أوستن" في نظرية الأفعال الكلامية^(٢) :

(١) صد "أوستن" إلى تقسيم للمنطوقات إلى قسمين :

أ- إخبارية (تقريرية) constative: وهي أفعال تصف حقائق العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة، نحو قولهم: (السماء تمطر) فهي تنقل معلومة إلى المتلقي أو تقرر ولقاء، وتوصف بالصدق إذا كان المطر حائفاً، كما توصف بالكذب إذا كان المطر غير حائفاً^(٣).

ب- إتشقية (أفعلية) performative: يؤدي بها للفعل في ظروف ملائمة ولا توصف بصدق ولا كذب، بل تكون ناجحة أو غير ناجحة، طبقاً لمعيار المواءمة والمخالفة، ويكون للمتكلم مؤخلا للتعليم بالفعل^(٤)، نحو قولهم: (أوصي بساحتي لأخي) فهذا للمنطوق لا يؤدي إلى قول خصم، بل يؤدي إلى وقوع فعل هو الوصية، ويدخل فيها (التسمية، والإعذار، والفرغ، والنصح، والوعد)^(٥). إلا أن "أوستن" رأى أن هذا التقسيم ليس حاسماً

(١) بقره، شاربور، وفوميهك ملطو، صميم تطلب التطلب ترجمة عبد القادر السويدي وحسني مسعود، مؤسسة صلاح الدين للدراسات دار منقرد، تونس، ٢٠٠٨، ص ٥٠-٥١.

(٢) لم يكن أوستن أول من فكرت إلى الأفعال الكلامية وإنما سبقه فورت فيما سبق في أن لغة شغل من تطلب التطلب فورت يرى أنه حتماً قول شيئاً ما لأنه تطلب شيئاً بعينه مركزاً على دراسة قول أوستن أنه ركز على دراسة الإتيان، ينظر أجمد فكر القوي، ص ١٤٩.

(٣) فلوب بانشيه، التنويرية من أوستن إلى جوفان، دار صابر الحقيقة، ص ٢٩، ٨٠.

(٤) د. صلاح إسماعيل عبد القوي، تطلب القوي عند مدرسة لكتور، ط دار التنوير، بيروت ١٩٩٣، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٥) د. مسعود أحمد نظام، مقال مجلة في البحث القوي، ص ٤٣ - ٤٤.

للتداخل بين المنطوقات الإخبارية، والأدائية، وبعد ممارسة عدة معايير للتوصل بين المنطوقين لاحظ "أوسن" أن هناك منطوقات تكون بين بين، أي تشمل التقريرية والأدائية طبقاً لملاصفات المؤلف، ولتقارن المحيطة به إذا قيل مثلاً (التأثر على وشك للهجوم) لتحتمل التقرير إن كان المنكلم يصف مشهداً، ويحتمل أن يكون تحذيراً أو تنبيهاً^(١).

جـ- ثم قسم "أوسن" الأدائيات إلى (أدائيات أولية، أو خمنية)، وهي التي لا تحتوي على أفعال أدائية، نحو: (سأزورك هذا)، فهو يحتمل الواحد والإخبار. و(أدائيات ثانوية أو صريحة)، وهي التي تشمل على فعل أدائي في صيغة المضارع المبني للمعلوم المسند إلى المفرد المنكلم^(٢) نحو (أعذك أن لزورك هذا)، ولكنها ليست شرطاً ضرورياً ولا شرطاً كافياً للإنشقيات الصريحة. فمن جهة نجد إنشقيات صريحة من قبيل: "أرجى من المسافرين استعمال الفلن لتغيير المحطة"، حيث إن الفعل الإنشائي مبني للمجهول. وهذه، في الغالب، حالة الطلبات والأوامر التي تضعها سلطة نحو شخصية أو جماعة. ومن جهة أخرى نجد أفعالاً إنشائية مثل "رعد" يستعمل في المضارع مع فاعل مسند إلى ضمير المنكلم في أقوال تقريرية. إذ في بعض الأحوال، أعد بأن تكون هذا، يمكن أن يفهم بوصفه إخبار^(٣)، ومن ثم عدل "أوسن" عن نظرية للمنطوقات الأدائية إلى ما اشتهر عنه فيما بعد بنظرية الأفعال الكلامية.

(٢) تدور نظرية الأفعال الكلامية حول كيفية أداء الأفعال بالأقوال. فإلى "أوسن" أن للفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال^(٤):

(١) وقد طبع طاء العربية هذه الموازنة فيما عرف بنظرية القيم والإشياء، وشيخ مطير شاكبة ودالية الذين يذهبون مرجحين أن الإشياء ينقسم إلى ظلي وغير ظلي. ينظر محمد حسن عبد العزيز، حيث كيف لنوع الأفعال بالكلاميات ٢٢ د. نادر الطاهر، ١٩٦، ١٩٦١، ص ١١، ١٢ وشاكبة عليم القبطي، نظرية الأفعال الكلامية بين ثلاثة فئات المسامرين وفلاسفة العرب مطبوعات جامعة الكويت ١٩٩١، ص ٤٧ وما بعدها.

(٢) د. محمد أحمد نطاش، مقال جريدة في البيت القروي المنسفر، ص ١٧، د. سعد الجاد، النص والفن، والافانج والاتصال، ط الإكاديمية الفنية للكتاب الفخشي، ٢٠٠٥، ص ٢٨٤.

(٣) د. مطير الجاكبة، القولية والجماع (مخالف ونسوم)، ص ٧٨، ٧٩.

(٤) السبق لسان، ص ٨٠.

أ- الفعل اللفظي Locutionary Act:

وهو يتألف من أصوات لغوية تنظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.

ب- الفعل الإنجازي Illocutionary Act:

وهو ما يزيد الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي لو نُحِىَ به محاولة المتكلم إنجاز عرض أو إصلاحي معين.

ج- الفعل التأثيري Per Locutionary Act:

ويُقصَد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع. ومن ذلك قوله تعالى: (يَوْمَكَ أَعْرَضُ عَنْ هَذَا) (يوسف/ ٢٩)؛ ففعل الفعل اللفظي في الفعل الصوتي، وفي فعل التلطف بمفردات تنتمي إلى معجم بعينه، وتخضع لقواعد بعينها في اللغة، وفي فعل استعمال تلك المفردات والقواعد لإبلاغ معنى ينتج عن المفهوم Sense والمرجع Reference في لسان معاً. أما الفعل الإنجازي، فهو: أمرني (أو نصحتني أو نحو ذلك) أن أعرض عن هذا. ولما فعل التأثيري، فهو ما ينتج عن الفعل الإنجازي من إقناع المستمع بأن يعرض: أي: ألتفتني. مثلاً: بأن أعرض عن هذا^(١). وقد فطن ألوستن^(٢) إلى أن الفعل اللفظي لا يتعد للكلام إلا به، والفعل التأثيري لا يلزم الأفعال جسيماً، فمنها ما لا تأثير له في السامع؛ ومن ثم وجه اهتمامه إلى الفعل الإنجازي illocutionary act حتى هذا لب هذه النظرية؛ فلم تصبح تُعرف به لفتاً^(٣)، مشروطاً لأدائها أداءً صحيحاً تتفاهل مع الحرف، ومقصود المتكلم، بالإضافة إلى مراعاة شروط لادائها، وكون المتكلم مؤهلاً لذلك. فماد قول (المنزل يحترق) بمعنى وإحاطة ما، فإن ذلك يعد قولاً تحذيراً. ويمكن أن نستخدم الكلمات نفسها لأداء أفعال كلامية تدرجية عديدة: على سبيل المثال، لتحذير شخص ما، وحته على أن يخلو المبني أو

(١) د. محمد عبد القيس والمصطفى والإصلاحي، ص ٢٨٢، ينسرف.

(٢) د. مسعود أحمد لعل، قلق جندك، ص ١٥-١٦.

لاستعراض مهاراتي في مجال إشعال الحرائق لتدمير ممتلكات الغير. فإقناع شخص ما بأن يتفر من النافذة، أو أن يقوم بتدمير مبنى ما حرقاً تشكل للعمال غاية، وهي التي - دونما أدنى اعتبار لمقاصدي- يمكن أن تنتج أو لا تنتج عن الأفعال الكلامية للتسريعية أو الاستعراضية الإنشائية^(١).

(٢) وطبقاً لمعيار القوة الإيجازية الذي خطه "لوستن" بينه وبين الغرض الإيجازي، فقد قسم الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف :

أ- لأفعال الأحكام Verdictives، ب- لأفعال القرارات Exercitives.

ج- لأفعال التعمد Commissives، د- لأفعال السلوك Behavitives.

هـ أفعال الإيضاح^(٣) Expositives.

ويلاحظ من هذا التصنيف الذي يبدو في ظاهره محكمًا، إلا أنه في الحقيقة يوجد به كثيرٌ من جوانب النقص التي وقف عليها "لوستن" نفسه؛ للتدخل الواقع بين الأصناف بعضها مع بعض، وخطئه للوضح بين مفهوم الفعل قسمًا من أقسام الكلام (Verb) والفعل حدثًا تصاليًا (Act)، لكنه يرجع له الفضل في توضيح بعض المفاهيم المركزية في النظرية، ومن أهمها تمييزه بين محوالة أداء الفعل الإيجازي والنجاح في أداء هذا الفعل، وتمييزه بين ما تحويه الجملة وما قد يحويه المتكلم بنطقها، وتمييزه بين المصريح من الأفعال الأدائية والأولي منها، فضلًا عن تحديده للفعل الإيجازي الذي يعد مفهومًا محوريًا في هذه النظرية^(٤).

(١) بيتر رابريز، بحث نظرية فعل الكلام والقرائن الإنشائية، ترجمة محمد السيد فتح، منشور حسن كافي من تشككتها إلى ما بعد القابلية لإثراء د. جابر عصفور، ط١، فصول الأولى للكلام، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٩١٦.

(٢) بلشر تمثيل تلكه أقل جدية من ٦٩-٧٠، والتدخل الثاني حلل طريقة أكلستوف، ص ٢٢٢-٢٢١، و د. محمد حسن عبد العزيز، بحث كيف تغير الأشياء بالقرائن؟، مجلة كلية دار العلوم، ع ١٩٩٦، ص ١٩١٢.

(٣) أقل جدية من ٧٠-٧١.

(٤) شروط نجاح الأفعال الكلامية عند "لوسن":

ما يفهم "لوسن" بلغ على أن الأفعال الكلامية هي أفعال عرفية في صورة لاسمية^(١)، وبمعنى آخر، هي الفعل المؤدى وفقاً لعرف معين؛ فالأفعال (بعد، ويورت، ويراهن) تستلزم من بين شروطها التكوينية أعرافاً من هذا النوع؛ أي الأعراف التي تحدد ممارسة قواعد، والرفلن، وما شابه ذلك. هذا من جانب، ومن جانب آخر عُدَّت قوة الفعل الغرضي مرتبطة أيضاً بالعرف في كثير من الحالات؛ لأن أنواعاً كثيرة جداً من المعاملة الإنسانية تتضمن كلاماً محكوماً ومكوماً من طريق ما يمكن إدراكه بيسر على أنه أعراف رسوية، بالإضافة إلى الأعراف التي تحكم معاني منطوقاتها، فمثلاً إذا قال الحكم في المباراة للاعب (أخرج)، فإنه يؤدي بذلك فعل إخراج للاعب، ولا يستطيع اللاعب أن يشاهد أن يصبح (المخرج)^(٢). وكذلك لو قال رجل مسلم لزوجته (أنت طالق)، فإن المنطوق سجد ناجحاً بداهة، وإذا قال أحدهم لغير زوجته (أنت طالق)، فالمنطوق فشل بداهة. وكذلك إذا قال أحدهم للآخر: (بعك كذا)، فإن المنطوق سيكون ناجحاً إذا كان المنطوق ملكاً، فعلاً ذاك الذي جرى الكلام فيه، ويكون فشلاً إذا لم يكن كذلك. ومثله إذا قال أحدهم للآخر: (اذهب إلى المكان كذا وجتني منه بكذا) فإن المنطوق سيكون ناجحاً إذا كان الأمر أعلى درجة من المألوف، وفي حالة العكس فإن ملكه سيكون للفشل^(٣)؛ ومن ثم حاول لقباح "لوسن" التفرقة بين نوعين من الأفعال للفرعية، أحدهما يُعد عرفياً، والآخر غير عرفي. كما حاولوا التمييز بين أفعال غرضية تخضع لأعراف لقوية، وأخرى تخضع لأعراف غير لقوية (الاجتماعية)، ويحدد لوسن ستة شروط أساسية للجملة الإخبارية الموافقة، فوجب أن يتوفر فيها ما يلي:

- أن تكون ذات إجراء ملغوف وله تأثير محدد.

- أن تكون الأشخاص والملاسل ملائمة.

- إتجاز الإجراء بشكل سليم.

(١) - سائر المعانيات القنارية والسمياع (بندل ونسور)، ص ٨٨.

(٢) - فطيل القوي ضد بديرة كسور، ص ١٩٩.

(٣) - محمد الحنن، حيث الأسس القسري لنظومة الإذاع (نظرية لسانية قنارية)، ص ٩٢.

- إنجاز الإجراء بالكامل.

- إذا تم تصميم الإجراء ليستخدمه أشخاص ذوي أفكار أو مشاعر بعينها، فيجب على المشاركين أن تتوفر لديهم الأفكار أو المشاعر نفسها، كما أن على جميع الأطراف أن يسلوكوا في المستقبل بشكل مناسب^(١).

- والواقع أن عمل الإخبار يقتضي مثلاً أن يكون المتكلم عارفاً جيداً بما يتحدث فيه، وأن يكون نزيهاً وأن يُعرَف عنه ذلك في منصبه الاجتماعي أو المهني، وهذه شروط نجاح الفعل (الكلامي)^(٢)، وفي حالة عدم توفر أي من هذه الشروط فإن عدم التوافق في الكلام يحدث بشكل مختلف.

(٥) أهمية الأعمال الكلامية عند أرسطو :

نرى هذه النظرية أن كل ملفوظ خبري يتضمن فعلاً إنجازياً، نقول مثلاً :
الجل جحر .. يمكن تحويلها إلى ملفوظ إنجازي بالإضافة بعض المكونات الخطابية الكلامية، مثل : لقول الجل جحر .. وبما أن "قول" فعل إنجازي، فإنه ينقل الجملة من الخبر إلى الإنجاز، ويتحدد نوع الملفوظ من خلال الفعل الذي يظهر فيه على الشكل التالي :

١- لفعل إنجازية، مثل: كتب/ قرأ .

٢- لفعل إنجازية، مثل: لقول / لرفض / لقبل .

(٦) ملاحج الأعمال الكلامية عند القدماء :

تقسيم القرائي :

كان "قراي" في القرن الثامن الميلادي (ت ٣٣٩ م/ ٩٥١ م) - وهو بصدد تقسيم أنواع المخاطبات- قد صنف العبارات الكلامية الصغرى عن الإنسان إلى صنفين كبيرين هما: "عبارات القول" و"عبارات الفعل"، وقد ابتدأ

(١) جاور دايوتاز، بحث نظرية الفعل الكلامي والقرائن الألفية، ترجمة محمد السيد هاشم، ص ١١٢.
(٢) فليب بالكنو، حوارها من أرسطو إلى جوسلف، دار صغار الجديدة، ص ٧٩، ٨٠.

مما ابتدأ منه الفيلسوف "أوستن" من اعتبار (المخاطبات) نوعين: أقرأاً ولغلاً
تتم بالأكوال^(١).

الأولى تتم بمجرد تحريك الشفتين للتواصل مع الآخر والتعبير عما في
النفوس، والثانية يراد بها، إضافة إلى ذلك، حمل المخاطب على فعل شيء ما؛
يصرح الفارابي قائلًا: "... و القول الذي يقتضي به شيء ما، فهو يقتضي به إما
قول ما، وإما فعل شيء ما. والذي يقتضي به فعل شيء ما فإنه نداء، ومنه
تضرع، ومطلبة، وإذن، ومنع، ومنه حدث، وكف، وأمر، ونهي"^(٢)، ولا يفوته أن
يبين أن "الناطق بالقول هو فعل ما"^(٣)، ومن الطريف أن "الفارابي" يلتفت منذ
ذلك للعصر المبكر، إلى مفهوم "المقنوط الإنجازي" الذي يتحدث عنه "أوستن
وسبرل" في عصرنا، والذي كثيراً ما يقدم على أنه اكتشاف حديث في كل من
الفلسفة التحليلية، والأبحاث التداولية المعاصرة. ويُحير "الفارابي" عنه
بلفظ: "القوة" الذي هو من مقولات للتداولية للمعاصرة، ويقرر في وضوح أن
"قوة أحد أنواع القول (ويقصد النداء تحديداً)، قوة للمزال عن الشيء"^(٤)، أي أن
"القوة الإنجازية" المحتملة في "فعل النداء" هي نفسها المستترة في "فعل
الاستهزاء". وهذا النوع من الكلام يقتضي جواباً عند "الفارابي"، مثلما رأى
"أوستن" أن من الأفعال الكلامية نوعاً ثالثاً أسماه: "الفعل للنتج عن القول"، أو
"الفعل التكميلي"^(٥) وقد ربط "الفارابي" ذلك بأن لكل قوة كلامية جواباً معينا،
و"كل مخلفة يقتضي بها شيء ما فلها جواب، النداء إقبال أو إعراض،
وجواب التضرع والمطلبة بذل أو منع، وجواب الأمر والنهي وما شاكله طاعة،
أو معصية وجواب الشيء يجب أو سلب..."^(٦).

نور "سبرل" في نظرية الأفعال الكلامية :

بإرهم من أهمية المفاهيم التي حدها "أوستن"، إلا أن نظريته في
الأفعال الكلامية اعتراها كثير من عوامل النقص والاضطراب؛ مما دفع

(١) أو نسر الفارابي كتاب المعروف، ص ١٢٦، وقم له: حسن محيي طه، بيروت دار المشرق، ١٩٩٠، ص ١٢٦.

(٢) السابق نفسه ص ١٢٦.

(٣) الفارابي عند قطب الدين العرب ص ٨٧.

(٤) الفارابي، كتاب المعروف ص ١٢٦.

(٥) د. منصور سبرلي، الفارابي عند قطب الدين العرب ص ٨٨.

(٦) الفارابي، كتاب المعروف ص ١٢٦، ١٢٤.

"سيرل" في كتابه (ما للفعل الكلامي؟) (What is speech act) إلى إعادة النظر في تصنيف الأفعال الغرضية عند "لوسن"؛ ولأنه لا يلاحظ أن هناك عدة مستويات متعلقة بهذا التصنيف، منها: التداخل الواضح بين بعض فئات الأفعال، وأن كثيراً من الأفعال المدرجة في فئات لا تفي بشروط التعريف للمعنى للغة، وعدم وجود مبدأ متين يقوم على أساسه التصنيف، هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من الأفعال التي وسماها "لوسن" بالأفعال الغرضية ليست غرضية^(١)، ومن ثم حاول "سيرل" تعديل أو معالجة هذه الاعتراضات من خلال عدة آراء له انطلق فيها من رأي "لوسن"، وتتمثل في:

(١) لَمْ "سيرل" تصنيفاً بديلاً لما قدمه "لوسن" من تصنيف للأفعال الكلامية يقوم على شروط وهي:

أ- المحتوى القضيوي: وذلك بأن يكون للكلام معنى قضوي من خلال قضية تقوم على مرجع متخكك عنه أو متخكك به، ويكون المستوى القضوي هو المعنى الأصلي للتضنية.

ب- الشروط التصهيدية: ويتحقق إذا كان المتكلم قافراً ولو بوجه من الوجوه على إنجاز الفعل.

ج- شرط الإخلاص: ويتحقق حينما يكون للمتكلم مخلصاً في أداء الفعل.

د- الشرط الأساسي: ويتحقق حين يؤثر المتكلم في السمع^(٢).

(٢) وقد صنف سيرل الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف أيضاً مع إجراء بعض التعديلات:

أ- الأفعال الإثباتية: ويُعنى بها التعمد للمستمع بحقيقة الخبر، فهي أن تقدم الخبر بوصفه تمثيلاً لحالة موجودة في العالم ومن أمثلتها الأحكام التشريعية، والأوصاف الطبية، والتصنيفات، والتصورات. وتتطوي جميع الإثباتات على اتجاه ملازمة من الكلمة إلى العالم، وشرط الصدق في الإثباتات هو دافئ الاعتقاد، فكل إثبات هو تعبير عن اعتقاد، وليس اختبار لتحديد حرية الإثبات هو أن نسل ما إذا كان المنطوق صادقا أو

(١) ينظر لتصيل هذه الاعتراضات: الفصل الثامن عند مدرسة أكسفورد، ص ٢٢٩، ٢٢٢.

(٢) فليوب بلاشيه، التناوب من لوسن إلى جوسن، ترجمة صابر السليمان، ص ١٦، ١٦٥، د. محور حنون، فهم القول في الطلب القرآني فسرجه إلى بني إسرائيل، ص ١٥.

كأنها بالمعنى الحرفي. ولأن الإثباتات اتجاه ملامة من الكلمة إلى المعلم، فهي يمكن أن تكون صالحة أو كاذبة^(١).

ب- الأفعال التوجيهية : هي محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل تصرفه متكاملاً مع المحتوى الخبري للتوجيه. وتتوفر النماذج للتوجيهيات في الأوامر، والنواهي، والطلبات. واتجاه الملامة هو دائماً دائماً من المعلم إلى الكلمة، وشرط الصدق النفسي المحرر عنه هو دائماً للرغبة. كل توجيه هو تعبير عن رغبة بأن يقوم المستمع بالفعل للموجه به. والتوجيهيات من طراز الأوامر والطلبات لا يمكن أن تكون صالحة أو كاذبة، لكن يمكن أن تُطاع أو تُهمل، أو تُمنع لها أو تُستغنى...إلخ.

ج- الأفعال الإلزامية : وكل إلزامي هو تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل المساق في المحتوى الخبري. وتتوفر نماذج للإلزاميات في المواعيد، والظهور، والرهون، والمقود، والمنسقات. والتهديد إلزامي أيضاً. ولكنه يختلف بقية النماذج، ضد مصلحة المستمع ولا يعود عليه بالفتح. واتجاه الملامة في الإلزاميات هو دائماً من المعلم إلى الكلمة، وشرط الصدق المحرر عنه هو دائماً القصد. على سبيل المثال، كل وعد أو تهديد هو تعبير عن قصد للقيام بشيء ما. المواعيد والظهور كالأوامر والنواهي، لا يمكن أن تكون حقيقة أو كاذبة، ولكنها يمكن أن يتم تنويعها أو يحافظ عليها، أو تُحلت بها^(٢).

د- الأفعال التعهيدية : وهي التعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي. والنماذج للتعهيديات هي الاعتذرات، والتشكرات، والتهاني، والترحيبات، والتعزيت. والمحتوى الخبري في التعهيديات من الناحية المنطقية ليس له اتجاه ملامة، لأن حقيقة المحتوى الخبري يُعلم بها فمب. إذا قلت: "اعتذر لضربك"، أو "تهانينا لفوزك بالجائزة"، فلما أسلم تسليماً بأنني ضربه، أو أنه فازت بالجائزة، ولذلك أفترض قبلاً وجود افتراض بين المحتوى الخبري والواقع. بيد أن شرط الصدق في التعهيديات يتغير مع تغير نمط التعبير. وهكذا فالاعتذار صالحي إذا كان المتكلم يشعر بالأسف فعلاً عما يعتذر عنه. والتهاني صالحة إذا كان المتكلم يشعر بالبهجة حقاً لما يهنئ المستمع عليه.

(١) جون سولز، اللغة والمجتمع (مقدمة في العلم اللغوي)، ص ٢١٧، ٢١٨.

(٢) فاسكو تلم، ص ٢١٨.

ـ الأفعال التصريحية : وفي التصريح، تكون وظيفة للنقطة التمريوية أحداث تغيير في العلم بتمثيله وكلمة تغير. فتخلق الأفعال الأدائية، وكذلك التصريحات الأخرى، حالة فقط من خلال تمثيله وكلمة قد تغير. ونفسد الأمثلة على ذلك: "أعلن أنكما زوج وزوجة"، "لذلك أعلن اندلاع الحرب"، "أنت مطرود"، "أنا مستقيل". في هذه الحالات، لدينا اتجاه ملاممة مزوج لأننا نغير العلم، وهكذا نحقق اتجاه ملاممة من العلم إلى الكلمة بتمثيله وكلمة تغير، ويكون اتجاه ملاممة من الكلمة إلى العلم. وتتفرد التصريحات بين الأفعال للكلامية بكونها تحدث للتغيرات في العلم فقط بفضل الأداء الناتج للعمل الكلامي. إذا نجحت في إشهاركما زوجاً وزوجة، أو أعلنت للحرب، فإن حالة فعلية توجد في العلم لم توجد من قبل. وعلى العموم، لا تكون هذه التصريحات ممكنة إلا بسبب وجود مؤسسات خارج اللغة^(١).

وبمعيار "سول" يكون "الخبر" متدرجاً ضمن صنف "الإنقيبات"، أو هو "إبراج موزونة للتكلم من صحة ما يلقط به". والشرط الافتراضي الذي تقوم عليه الإنقيبات هو امتلاك الأسس للقانونية أو الأخلاقية التي تزيد صحة محتواها. أما "الإششاء" فمتدرج ضمن الأصناف الكلامية الأخرى التي بحثها "سول"، وهي كثيرة ومتشعبة فمن الإششاء ما يتدرج ضمن "الأمريقات" كالأمر، والتهيء والاستفهام...ومنه ما يتدرج ضمن "الإقاعات" كالتلفظ المقود...ومنه ما يتدرج ضمن "التصريحات" كالمدح والذم والتمني...إلخ^(٢).

(٣) وقد تطلق بعض الباحثين المحققين من هذا للتصنيف الخماسي إلى وضع تصور في تصنيف الأفعال في العربية؛ فقسّموها إلى: (الإقاعات، والطلبات، والإخباريات، والانتزاعات، والتعجيرات). وللملاحظ أنهم قد ذهبوا إلى تقسيم تلك الدلالات أو الأفعال للكلامية وتجميعها انطلاقاً من :

ـ الغرض الذي يرمي للتكلم إلى بلوغه (حمل للشخص على القول بفعل معين) وهو ما يطلق مفهوم "لوسن" و"سول" للغرض الكلامي.

(١) حين سول الحال والفناء والمجتمع (الطبعة في دمشق طرهمي)، ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) صغرية عند علماء العرب ص ٨٦، ٨٣.

- مختلف للملاحظات التي تربط الواقع بالتمثيلات الذهنية للمتكلم.

- وضعية المتكلم بالنسبة للمخاطب^(١).

(٤) كما فرق "جون سيرل" في كتابه (Speech Act ١٩٦٩م) بين عرض للقول، ومحتواه للقصوي، وقرنه. فلما (للفرض) فمعنى به القصد للذي ينتجها القول فإذا قول: - متى سيأتي محمد؟ (كان الفرض استهلالاً).

- سيأتي محمد هذا. (كان إظهاراً).

- محمد لن يأتي هذا. (كان نفياً).

لما المعنوي للقصوي للمنطوقات الثلاثة فهو قاسم مشترك بينها وهو (إيهان محمد). أما (قوة القول) فهي جزء من معناه الدلالي والمراد بها: الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يُعرض لهما عرض إيجازي واحد في سياق بعينه من سياقات استكمال للمنطوق. وقد أدرك علماءنا هذا الفرق بين المعنوي للقصوي، والفرض الإيجازي وإن لم يسلطوا على تسميتهما؛ وتمتثل ذلك من المعاورة المشهورة التي وقعت بين "لمي العباس ثعلب" في رده على "الكندي"، الذي لم يفهم من للمنطوقات الثلاثة إلا معناها للقصوي. طى حين أدرك "ثعلب" للمعنى الإيجازي من:

(أ) زيد قلم. (ب) إن زيدا قلم. (ج) إن زيدا لقلم^(٢).

لغي (أ) إظهار عن قلمه، و (ب) جواب عن سؤال، و (ج) جواب عن إشكال متكرر. ويسمى النوع الأول من التغير ابتدائيًا، والثاني طليهيًا والثالث إيجازيًا. ولا شك في أن "ثعلب" قد راعى في تحيله مقصد المتكلم وحالته النفسية^(٣)، وبمعلول "سجل" يكون الفرق بين هذه الأنواع متمثلًا في درجة الشدة

(١) يُشار لتسليم لكلام: لقي جنيته، ص ١٩٠-١٩١.

(٢) الإسم نثر حين القرني: لهجة الإيجاز في درية الإيجاز: لطق: د. بكري شيخ أمين، ط ١ دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٣٥٧.

(٣) عبد القادر البرجاني: دلائل الإيجاز، ط ١: ج ١: مسعود محمد شاكر، ط ١: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ٢١٥، وثعلب: سيد عظم طليهياني: نظرية الإيجاز الكلامية بين ثلاثة علماء المسلمين وبلاغيين قديمين، ص ٧٠-٧١.

في تحقيق الغرض المتضمن في القول. وقد تأتى منها هنا زيادة (إن) في التركيب الثاني وزيادة (إن) وللام في التركيب الثالث؛ وهذا يعني أن القوة الإنجازية Modifying Illocutionary Force خاصة المنطوقات لا للجمل؛ فالمنطوق للولد يمكن أن يمتلك قوى إنجازية مختلفة في ملاسك استعمال مختلفة؛ ومن ثم يكون الغرض الإنجازي في فعل ما هو جزء من قوته الإنجازية؛ ولذا فالعنى يشمل القوة الإنجازية، والغرض، والمستوى التفسوي^(١)؛ ومن هنا رأى "سيرل" أن القوة الإنجازية حاصلة عناصر عدة، لغرض الإنجازي بعد عنصرًا واحدًا فقط منها، وإن كان أهمها^(٢).

(٥) القوة الإنجازية بين سيرل ونحلة العربية :

لما بمعايير الفيلسوف "سيرل" فيكون للفرق بين هذه الأنواع كالتالي فيما سماء "درجة الشدة للغرض المتضمن في القول"^(٣). فقد لاحظ سيرل أن الجملتين قد تتشابهان في "الغرض لمتضمن في القول"، غير أنهما تختلفان في "درجة الشدة"؛ ومن ثم يتفاوتان إنجازيا، ومع ذلك بالفرق بين الجملتين : "أقسم أن بيل سرق المال"، و"أظن أن بيل سرق المال". إن اختلاف "درجة الشدة" بين قوة لها نفس الأغراض قد حمل "سيرل" على إضافة تصنيف خاص لهذه القوة على أساس هذا التفاوت.

لما في اللغة العربية ظاهرة "الاختلاف والتباين في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول" التي تحدث عنها "سيرل"، موجودة بكثرة بفعل ووفرة الأموات الدالة على القوة الإنجازية المختلفة، والتي سماها للنحلة "حروف للمعاني"، وهي التي تفرق العربية بأساليب كثيرة متنوعة، وتمدها بطلاقة تعبيرية مثل: كدلالة "رب" على التقليل، و"كم الضخمة" على التكثير، ودلالة "أبوت" على التضييق، و"أجل" على الترحي، ودلالة "هل" على الاستفهام، ودلالة "إن" و"أن" على التوكيد، ودلالة "نعم" على المدح، و"نفس" على الذم، ودلالة "ثواب" و"عقاب" على القسم، ودلالة "ألا" على الغرض، و"هلا" على التخصيص، وهذا الأخير نوعان مختلفان للطلب، يحكمهما مبدأ "درجة

(١) مقال جديدة في البحث الفكري من ٧٥.

(٢) د. صلاح إسماعيل عبد الله، تحليل الفري عند مدرسة لفسورد، من ٢٢٥، ود. محمد هبة قسم والمطلب والاتصال، من ٢٨٧ : ٢٩٢، يتصرف.

(٣) تنويعات في فلسفة العرب، من ٩٦، ٩٧.

الشدة للغرض المتضمن في القول". كما أن للتوكيد نوع للخبر يختلف عن القسم والشرط، ويحكم الجميع المبدأ نفسه الذي تحدث عنه "سيرل" ... وهكذا بقية الأدوات للسمة عندهم "حروف المعاني"^(١).

خصائص القوة الإنجازية :

و قد حاول "سيرل و جرافيس" حصر أهم خصائص القوة الإنجازية للممتثلة في :

(١) نسبية القوة :

لما كانت القوة الإنجازية لهذا، كلامي تعني الشدة أو الضغط اللذين يمبر بهما من غرض إنجازي بعينه، في موقف اجتماعي بعينه، ولما كان لكل من الشدة والضغط درجت متفاوتة، فإن القوة الإنجازية ينتمي لها أن توصف بأنها بسيطة ومن ثم قول إن (الأمر مثلا) غالبا ما يكون من قوى أنماط الغرض الإنجازي التوجيهي، وأنه الأشد تحققا ومباشرة. إلا أن هذا يستعصي على التسليم من جهة الاستعمال اللغوي؛ لاستعمال (يجب، وينبغي مثلا) تكون أكثر ملائمة للمتكلم إذا كان في موضع الأمر المخاطب. أما الفعل (أفعل) ردا على طرق الباب تكون إنثا بال دخول وليس امرأا ومن ثم فـنسبية القوة تتحدد طبقا لتعدد المتكلم والقرائن المحيطة بالمخاطب^(٢).

(٢) تعديل القوة :

والمراد بتعديل القوة الإنجازية هو تكيف المخاطب لمنطوقه مع مقصده في سياق اتصالي بعينه، وينحصر مبدأ تعديل القوة الإنجازية من لاهدية مبدأ معروفا عند "جرافيس" هو: (كن مقتصدًا)؛ وذلك لأن المتكلمين لا يستعملون كلمات زائدة دون سبب. ومن الطبيعي أن غرض المتكلم هو الذي يحدد استراتيجيته للقوة الإنجازية للتؤذي بها التعبير من حيث كونه عرضا أو التمسنا، تهديدا أو احتجاليا، مدحا أو فكحا، حثا على فعل أو نهيا عنه، إعلاء شيء أو إبطائه ... وهكذا فكل سلوك اتصالي موجه إلى هدف معين، وهو ما عُرِف عند "رومان

(١) مقولية عند العلماء العرب : ص ٩٧.

(٢) نفس والمطلب والإكسال، ص ٢٩٧، ٢٩٨.

جلكريسون" بمطابقة الوسائل المستخدمة للأثر المستهدف، وهو ما خبر عنه فيما بعد بمبدأ (تطليق لقوة الإنجازية) بالقلب كما في (أنت خبيث)، و(يا إلهي أنت هكذا خبيث)، و(وحنك شيء من الخبيث). فبالرغم من أن هذه المنطوقات تعبر عن خبر إنجازي ولحد هو (الانتقاد)، إلا أنها استعملت علامات معجمة مختلفة لإظهار شدة القوة من نحو (يا إلهي، وهكذا)، في حين استُخدمت لفظة (شيء) لإضعاف القوة. وهذا نوع تطليق لقوة المنطوق؛ لأن الانتقاد فعل كلامي سلبي للتأثير. وهناك مبدأ آخر يعمل على تعديل القوة الإنجازية يُعرف بمبدأ الإشارة للصريحة كقولنا (لنن أنهُ يوم دراسي) في مقابل: (أنا متأكد تسلفاً أنه يوم دراسي)^(١).

٣) وسائل تعديل القوة : وتنقسم إلى قسمين :

أولهما: وسائل خبر لغوية كالحركة الموسمية، والإشارة، وتعبيرات الوجه ولحنيين ونحوها؛ فيظهر دور هذه الوسائل في إظهار موقف محين عند مصاحبته للكلام. ولا خلاف في أن هذه المصاحبات لها أكبر الأثر في تقوية القوة الإنجازية للمنطوق الذي تصاحبه أو إضعافها .

ثانيهما: الوسائل النغمية (تركيبية، وغير تركيبية). فمن الوسائل النغمية خبر التركيبية (اللاجلة أو التردد في الكلام، والوقفات، ونغمة للصوت ونحوها)^(٢) ومنجملها فيما يلي :

أ- النسيطة: فقد توصل "لويسن وسيلر" إلى أن الفعل الإنجازي غالباً ما يكون مضارعاً في صيغة المتكلم للحاضر، وصيغة الإخبار، والمبني للمعلوم، نحو قولهم: (إني لمركب، إني أعبك، أنا أتصحك).

ب- نغمة الصوت : حيث تختلف نغمة التحذير عن المزال أو الاعراض....إلخ.

(١) قسم والطلب والاتصال من ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) قبيل نفس من ٢٠٦.

ج- إضافة بعض العلامات المعجمية لإضعاف القوة وزيجتها : نحو .. (من المحتمل) في قولهم : (من المستل سوف للعل)، وزيادة (أبداً) لتكثيف قوة النفي في: (لا تنس أبداً) .

د- أدوات الربط : نحو (من أجل ذلك) التي تستخدم في قوة (استنتاج) و(على الرغم من ذلك) التي تستخدم في قوة (أسلم بأن) .

هـ- مصاحبات المنطوق : كأن تجعل منطوقك مسحوباً بحركة جسمية كـ(إشارة الإصبع، أو ضمة العين...الخ).

و- ملازمات المنطوق : وهي تساعد مساعداً مهمة للغلبة في تحديد الغرض؛ فالأمر يمكن أن يكون أمراً، أو إنذاراً، أو حرجاً، أو تنبيهاً، أو توصلاً، أو لقرينة، أو توصية، أو تحذيراً...الخ^(١).

نور "أوتش" في نظرية الأفعال الكلامية :

صنف "أوتش" الأفعال الكلامية في درجات سلمية، وفقاً لوظيفة كل صنف وعلاقته بهدف الخطاب الاجتماعي الأساسي، وهو تأسيس المجاملة والمحافظة عليها، من خلال استحضار مبدأ التقلب^(٢) في لقاء أفعالها لوظيفتها الإنجازية، فاستقرت الأفعال في أربع درجات، وهي :

١. أفعال التنافس (competitive): هي التي يطلب فيها الهدف الإنجازي الهدف الاجتماعي، مثل الأمر والاستفهام .
٢. أفعال المناسبات (convivial): وهي التي يتطابق فيها الهدفان الإنجازي والاجتماعي، مثل التهنية والذعوة والشكر والتمجيد .
٣. أفعال التعاون (collaborative): وهي التي لا تتأثر أهدافها للخطابية بالأهداف الاجتماعية، مثل التبليغ والتعطيل والتقصيرجات .
٤. أفعال التعارض (conflictive): وهي التي تتعارض أهدافها مع الأهداف الاجتماعية، مثل التهديد، والابتهاج .

(١) نفس والمطلب والاتصال: ص٢١٤-٢١٥، والسند حسن عبد العزيز، بحث كيف تغير الإتيان بالفتنات، ص١٦.

(٢) ينظر: مبدأ التقلب، ص١٢٥ وما بعدها.

ويستحضر المرسل مبدأ التائب من خلال بعض الأنوات القلبية، إذ يجسده في أفعال التائب، للتلطيف من حدة ما تقتضيه طبيعتها من غلظة، وللتوفيق بين رغبته في تحقيق هدفه الفعلي، وبين انتهاج السلوك الحسن .

وكذلك يجسده في أفعال المناجاة، باعتبار التائب هو أساس إنجازها والباحث عليه، لما يضيفه عليها من صورة إيجابية، مما ينبغي معه أن ينتهز المرسل أية فرصة للتعبير عن كواسته .

وليس لمبدأ التائب في المصنف الثالثة أية علاقة بالوظيفة الإنجازية، وإن كان يندرج تحت هذا المصنف كثير من الخطب المكتوبة .

أما المصنف الرابع، فإن المرسل أبدا ما يكون في إنجاز أفعاله عن تجسيد مبدأ التائب، لما تفرضه طبيعة هذه الأفعال المتعارضة في أصلها، من هجوم، ولما يقتضيه استعمال التائب فيها من خروج للتصدي إلى قهقهة مثلا^(١).

أثر الهدف في اختيار استراتيجية معينة في الأفعال الكلامية :

فإذا كان الهدف الفعلي للخطب هو الحصول على النفع، فإنه يمكن للمرسل أن يستعمل إحدى الاستراتيجيتين، لإشعار المرسل إليه بحاجته، وهاتان الاستراتيجيتان هما :

الأولى : بطلب قوته الإنجازية ، هي : بطلب لو الأمر، مثل :

- أشعل المدفلة ، لو

- أريدك أن تشعل المدفلة .

أما الاستراتيجية الأخرى، فهي: بطلب للمهمي، مثل الإخبار بالبرد، إذ يستلزم طلباً غير مباشر، مثل :

- الجو شديد بالبرودة، ولم أرتد ما يكفي من الملابس.

(١) جده الهادي بن طاهر الشجري، استراتيجيات الخطب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ٢٠٠٤، ص ١١٠، ١١١.

- ألا تشع بالبرد؟

فلو كان الخطاب الآخر في سياق غير سياق التحير عن الحاجة إلى النفس، لأمكن أن تكون قوته الإنجازية هي الظاهرة فقط أي الإخبار، وقد تكون هذه القوة هي مدخه في الخطاب، ولا يكون الخطاب، عندها، ذا استنتاجية غير مباشرة (تلميحية)، بل تكون استنتاجية هي الاستراتيجية المباشرة^(١).

خصائص الأفعال الكلامية :

١. يختص الفعل الكلامي بكونه يحقق فعلاً معيناً، أي نشاطاً ويهدف إلى تحويل الواقع^(٢).

٢. إنه فعل قانوني كما يذهب إلى ذلك اللغوي الفرنسي "لوسف ديكرود". وننكلم من الفعل القانوني عندما يتم تحديد نشاط ما باعتباره تحويلاً للعلاقات الشرعية والتقنية الموجودة بين الأشخاص المعنيين. والفعل الكلامي يهدف فعلاً إلى خلق مجموعة من الحقوق والواجبات المتعلقة بالمتحاورين، ومن هنا تظهر التهمة القانونية المسندة إليهم، وهكذا فإننا سنعتبر نشاطاً ما قانونياً، عندما نصفه بأنه نشاط إجرائي أو محل تقدير واعتبار، أو اعتراف بالانقزام، وغير ذلك. فالقول الذي يتلفظ به القاضي مثلاً يمكن اعتباره فعلاً قانونياً؛ لأنه لا يكون هناك أي أثر يوصل بين كلام القاضي وتحويل المتهم إلى محكوم عليه، لأن الكلام هو الذي يصدر الحكم.

٣. إنه فعل مؤسسي، فكثير من الأفعال الكلامية يرتبط إنجازها وتحقيقها بالعديد من المؤسسات الاجتماعية، لكن هذه الأفعال تُعزّز داخل اللغة وبوسطتها ومن هنا تسميتها بالأفعال الكلامية أو اللغوية. إنها أقوال بسبب طبيعتها اللغوية، وهي لفعل لا تهدف إلى تحويل الواقع أو تغيير العلاقة مع العالم، وهي كذلك لطبيعتها القانونية، والشرعية، والمؤسسية والاجتماعية.

(١) عبد الهادي بن ظفر القسري، استنتاجات خطاب (مقاربة لغوية تحليلية)، ص ١٦٠.
(٢) لو بكر المزاري، اللغة والجماع، ط١، قصة في المنهج، ٢٠٠٦، ص ١١٤.

ثم إن للكلام واستعمال اللغة هو نوع من التمسك والالتزام، وتحمل المسؤولية والواجبات^(١).

٤. إنه فعل قصدي، فمن خلال التعرف على قصد المتكلم، نتعرف على الفعل الكلامي للمعجز، فهو قال متكلم لآخر: "هناك خطر يحدث بك"، فقد يكون القصد من كلامه هذا الإخبار، أو التنبيه، أو السخرية.

٥. إنه فعل سياقي، بحيث لا يمكن النظر إليه بمعزل عن السياق. فإذا أخذنا جملة من قبيل: "سلمندر غدا"، فإذنا نجد أنها تفيد معني عديدة، وذلك طبقاً للسياق: فهي تفيد الإخبار في سياق ماء، وفي سياق آخر قد تفيد الوعد، وقد يكون لها معنى التهديد في سياق ثالث^(٢).

٦. إنه فعل عرقي: إن الفعل الكلامي لكي يكون ناجحاً، لابد أن يستجيب لمجموعة من الشروط المتعلقة باستعماله، وهذه الشروط تحدد الإطار الذي يكون فيه الفعل الكلامي ملائماً للسياق الذي يظهر فيه.

وتتعلق هذه الشروط بمظاهر مختلفة نذكر منها:

- الظروف والأشخاص المشاركون في إنجاز الفعل الكلامي.
- مقاصد الأشخاص.
- نمط الإنتاج المرتبط بإنتاج الفعل الكلامي وأولياته.

وهذه الأنماط من الشروط هي التي يدعوا "لومسن" بشروط للنجاح والإخفاق بأي شرط منها يؤدي إلى نمط من أنماط الفشل، كأن يكون الفعل متحداً أو حصوياً، أو ليس له أي تأثير^(٣).

الأنماط الكلامية المباشرة وغير المباشرة :

هذه المحدثين :

(١). أ. بونكر الحزاريه اللغة والتمسك ، ص ١١٩.

(٢) السيل ليه ، ص ١٢٠.

(٣) السيل ليه ، ص ١٢٠ ، ١٢١.

(١) وما يُذكر "سيرل" أنه فرق بين الأفعال الكلامية المباشرة direct speech acts وغير المباشرة indirect speech acts، فوضع أن المتحدث قد ينقل إلى المستمع أكثر مما تعمله الكلمات؛ اعتماداً على الخلفية المعرفية المشتركة بينهما، سواءً كانت لغوية أو غير لغوية، إضافة إلى قدرة المستمع على الاستنتاج والتعلل والتفكير. ويثير مفهوم الأفعال الكلامية غير المباشرة مسألة إمكانية قول شيء من جانب المتحدث وحمل ما يقول من معنى كما يحمل معنىً إنشائيًا لآخر^(١). فلو أنني مدهور على عذاء مثلاً، ونظرت إلى رفيقي قائلًا: "هل تتألمني الطلع؟"^(٢)، فالغرض هنا ليس استقالتها، وإنما طلب متلجب. ومن هنا ثبت أن القوة الإنجازية في جمل اللغات الطبيعية بالنظر إلى مقابلات إنجازها فعالان: (فعل إنجازي حرفي، وفعل إنجازي مستلزم). ويقصد بالفعل الإنجازي الحرفي، المعنى المستحق من التركيب بتأثير العوامل الأخرى، ومن تنعيم أو لداء (كفاءة الاستهلام مثلاً)، أو بصيغة الفعل أو بفعل من زمرة الأفعال الإنجازية (كالأفعال سال، وقال، ووجد). أما الفعل الإنجازي المستلزم فيُقصد به الدلالة الإنجازية التي تستلزمها الجملة في مقابلات متباينة معنية بالجملة السابق ذكرها تعمل بالإضافة إلى معناها الأصلي (الاستهلام) معنىً مستلزمًا إنشائيًا هو (الاتصال)^(٣).

(٢) ثم حاول "سيرل" حل إشكالية: (كيف يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ ثم كيف يكون ممكناً أن يسمع المخاطب شيئاً له معنى، ويفهم منه معنىً آخر؟). فتبين أنه يمكن حل هذه الإشكالية عن طريق الاستماع بمبدأ التعاون الحوارية conversational co-operation عند "جرانس"^(٤) بين المتكلم والمستمع، وما عند المخاطب من علم بجوانب الموضوع المتحدث عنه، ثم ما أسماه باستراتيجية الاستنتاج inference strategy عند السمع، التي تمكنه من الوصول إلى المعنى غير المباشر، بالإضافة

(١) د. علي حزت: الاتصافات المعنوية في علم الأساليب وتحليل الخطاب، ص ٥٦.

(٢) غلاب، بالاشتراك التعاونية من لسان إلى جوفان، ترجمة: سفير الجديدة، ص ١٤.

(٣) د. أحمد الشراش: دراسات في نثر القصة العربية قرونياً، طدار الثقافة، آذار، فيضان، ١٩٨٦، ص ١٠١.

والمثل جديدة ص ٥١-٥٠.

(٤) ينظر عنصر التعاون الحوارية عند "جرانس" ص ٨١.

إلى الاعتماد على قواعد المحفنة في تعلم كل من المتكلم والسماع في أن
ينهم كل منهما كلام الآخر^(١).

وإذا بين بعض الباحثين أن الأفعال المباشرة تمثل قدرًا ضئيلاً في اللغة،
وتتخصص فيما يسمى بالأفعال المؤسسية، أو التشريعية كالتركيب،
والتفويض، والرخصة، والتوريث، والإجازة، ونحوها، لأن الأفعال
الكلامية إن استخدمت هنا غير مباشرة، سوف تؤدي إلى فلبس وضياح
المعنى. أما الأفعال غير المباشرة فتتمثل القدر الأكبر في اللغة، ويكثر
استعمالها في مجالات الأدب في اللغة^(٢).

(٣) وقد انتهى "سيرل" في دراسة الأفعال الكلامية غير المباشرة إلى رصد
عدة خصائص لها جذيرة بالاهتمام تتمثل في:

أ- يمتلك المنطوق الواحد كونهن إنجائيتين قنيتين، إذ يؤدي فعل إنجائزي
أداء غير مباشر عن طريق أداء فعل آخر.

ب- تعتمد القوة الإنجائية غير المباشرة اعتماداً رئيساً على العرف؛ فهو
الذي يعطي الفعل الإنجائزي العرفي معنىً آخرًا محددًا عن مقصد
المتكلم.

ج- في أفعال الكلام غير المباشرة يبلغ المتكلم المستمع أكثر مما يقوله عن
طريق الاعتماد على خلفية المعلومات المشتركة للمعالجة بينهما؛ لغوية
وغير لغوية، بالإضافة إلى اعتماد على قوى الإدراك والاستدلال
العاملة عند المستمع.

د- أخذت أفعال التوجيهات هي أكثر الأقسام اقتراناً بالدلالة غير المباشرة؛
ولذلك لمصعوبة توجيهات أوامر مباشرة على نفس المخاطب؛ ولذا يلجأ
المستمعون إلى إيجاد وسائل غير مباشرة، لأداء أفعالهم الإنجائية.

(١) فلوب، بلاشيه، تنويعاً من أوستن إلى جراسن، ترجمة: سابر فحالة، ص ٦٩.
(٢) قبل جبهة، ص ٨٦، ٨٧.

هو يؤكد "سيرل" أن الأقوال غير المباشرة تحتفظ بمعانيها الحرفية، ولكنها تكتسب أيضاً استمعالات عرفية.

و- لقد احتل "جون سيرل" منزلة متميزة في تداولية أفعال الكلام؛ لأنه اقترح بمحاولة إعادة بناء الخطوات الضرورية لإنتاج فعل إنجازي أولي من فعل إنجازي حرفي، وهي إعادة بناء مؤسسة على حقائق عن المخاطبات، وأسس للتعاون الخطابي، ونظرية أفعال الكلام، وخلفية المعلومات المشتركة بين المخاطبين، ومبدأ الاستدلال^(١).

(٤) قواعد التمييز بين الاستمعال المباشر وغير المباشر في اللغة: تنزع التقليد اللغوية، الموروثة إلى حد كبير عن البلاغة التقليدية، إلى التمييز بين الاستمعال المباشر، والاستمعال غير المباشر على النحو التالي

أ- يوجد حد واضح بين الاستمعال المباشر وغير المباشر.

ب- لا تزول الأقوال المباشرة والأقوال غير المباشرة بالطريقة نفسها^(٢)

ج- ليس للأقوال المباشرة إلا معنى واحد هو معناها المباشر؛ أما الأقوال غير المباشرة فلها معنولان: معناها المباشر ومعناها غير المباشر أو "المجازي".

د- تمقّز ضمن الاستمعال غير المباشر قسمين كبيرين من الوجود البلاغي (وجود التركيب اللغوية ذات الصلة بالاستمعال غير المباشر)، والوجود اللفظية مثل الاستعارة أو الكناية، وصور التفكير مثل السخرية. وبصفة عامة، لنّ أتمكن تحديد الضرب الأول لغوياً بواسطة شكل الجمل أو التمايز. فإن صور التفكير تتحدد بقتضاد بين معناها المباشر والسوق أو المقام.

هـ- يُحدّد استمعال المباشر وغير المباشر خارج السياق بالنسبة إلى الوجود اللفظية؛ لأنها من خصائص الجمل لا من خصائص الأقوال^(٣).

(١) قصص وفلسف والاقبال، ص ٢٩٠، ٢٩٢.

(٢) د. لعد الشوكلي: مقال جديدة في نظرية قصص الخشبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ١٩٩٣، ص ٢٢ وما بعدها.

(٣) هكتورية غريب، ص ١٨٢، ١٨٣، وهكتورية بن لويان إلى جرواس، ص ١١١.

(٥) وكذلك وضع سبورل شروط نجاح الأقوال غير المباشرة وتتمثل في :

- أ- قدرة المخاطب على إنجاز العمل، ومثال ذلك قوله : (هل لك أن تمنحني بالمع؟).
- ب- رغبة/ إرادة المتكلم في أن ينجز المخاطب العمل، ومثال ذلك قوله: (أحب أن ترحل).
- ج- إنجاز مستقبلي أو احتمالي للعمل من قبل المخاطب، ومثال ذلك قوله: (سأبليس للموظفون ربطات الحلق) أو (هل ستسكت؟).
- د- موافقة المخاطب على إنجاز العمل، ومثال ذلك قوله: (هل ستمتني بالشرطة؟).
- هـ- التحفيز على إنجاز للعمل، ومثال ذلك قوله: (عليك أن تكون مؤثماً) و(هل من المعقول أن تدخن؟) و(إنك تطأ قميص).
- و- التوافق بين الجهات السابقة، أو المطلبات (الأوامر) الصريحة. ومن الأمثلة على ذلك قوله: (هل يمكنك أن أطلب منك الخروج؟) و(إننا كان بإمكانك أن تكف "عن ذلك"، فذلك يبرئني)^(١).

(٦) العوامل المؤثرة في التمييز بين الأقوال المباشرة وغير المباشرة :

- أ- لا يعرض "سبورل" و"ولسن" صلية الأقوال المباشرة المختلفة عن تأويل الأقوال غير المباشرة.
- ب- لا يريان كذلك وجود فرق بين الاستعمال المباشر والاستعمال غير المباشر، وإنما يوجد مستمرل وينطلق باستمرار من الاستعمال المباشر المطلق إلى الاستعمال غير المباشر.
- ج- لا يتحدد الاستعمال المباشر والاستعمال غير المباشر في المطلق، بل فهنا على الفكرة التي يرغب القائل في تباينها. فبحسب درجة المشابهة بين الفكرة والقول، يقترب القول من الاستعمال المباشر للغة أو يبعد عنه.
- د- ترتبط درجة المشابهة بحد الاستعارات السباقية التي تأثيرها التشكل القضيوي للقول والفكرة (في شكلها القضيوي)، عندما يتقابلان في السياق

(١) فليب، بالاشتراك التعاونية من لوسن إلى جولان، دار صادر، بيروت، ص: ٧٠.

نفسه، ومن ثمّ ليس الاستعمال للمبتشر، أو الاستعمال غير المبتشر،
خاصية من خصائص الجملة بل هي خاصية من خصائص القول.
ولا ينحصر الاستعمال غير للمبتشر في الوجود البلاغية المحدثة تقليدية^(١).

(٧) وقد أضف "سيرل" إلى هذا النوع من الأنواع الكلامية غير المباشرة
(الإلماع، والتلميح، والمفارقة، والاستعارة) شيئاً أن القوة الإنجازية لهذه
الأنواع تدل على معناها الحرفي بالإضافة إلى معنى آخر يقصده المتكلم
من خلال تدلويّة الخطاب^(٢)، مفصلاً القول في الاستعارة فيمثل لها بقوله:
(إذا قال لك أحدهم [...] "جون غزير"، فإكّه نفترض أنّ المتكلم لم يقصد
ما قلّه حرفياً، ولكنه يتكلم على سبيل الاستعارة. فضلاً عن ذلك، فقلت لا
تجد صعوبة في تخيّل ما يردّ قوله [...]، إنّ وجود أقوال من هذا القبيل
[...] يطرح سلسلة من المشاكل على كلّ نظرية في اللغة وفي التواصل: ما
هي الاستعارة؟ وكيف تتميز في الوقت ذاته عن الأشكال الحركية وسائر
أشكال الأكوال المجازية؟ لم نفتح بعض التعمير بمعناها المجازي [...]؟
كيف تشتمل الأكوال الاستعارية؟ [...] ثمّ إنّ السفيرة والأنواع اللغوية
غير المباشرة، توفّر لنا أمثلة أخرى تبيّن الفرق الواقع بين معنى قول
المتكلم ومعنى الجملة الحركي".

لقد كتبت الاستعارات وغيرها من "الوجوه" أو "الصور الأسلوبية" -
وهي العريضة على البلاغيين للكلاسيكيين، والذين يحلون النصوص الأدبية
موضوع تحاليل لاسموية، لمن أشهرها ما قام به "جلكويسون".

لا تتعلّق مشكلة الاستعارة، من وجهة نظر التدلويّة، في أنّ الجملة تحتل
مطين اثنين، فهذا تحليل "داخلّي" يقتصر على اللسان بالمعنى الذي وضعه
"دي سوسير"، بل تتعلّق المشكلة في الواقع، في العلاقات الموجودة بين معنى
الجملة الحرفي ودلالة القول غير المتخلطين وضدهم. ومن ثمة، قد تعلق
"سيرل" بكتشاف المبادئ التي تسمح بالانتقال من هذا المعنى إلى تلك الدلالة.
بإضافة إلى أنّ المعنى الحرفي يقوم بدور محدود جداً، بما أنّ جملة نحو (تتم

(١) أن بول، وجاك مونستر - تدلويّة اليوم (علم جديد في التواصل) من ١٩٦٧، ١٩٦١.

(٢) فهم والخطاب والاتصال، من ١٩٩٠، ٢٠١١ بتصرفه وفق جملة من ٨٦، ٨٧.

الأكثر الضمراء التي لا لون لها سلفطة^(١) والتي لا معنى حرفياً لها، يمكن أن يكون لها تلوين استعاري، إذا ما تولفت بعض شروط النجاح^(٢).

الأفعال المباشرة وغير المباشرة ضد القتل:

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن القتل من علماء العربية قد انتشرت إلى هذه الظاهرة، وإن كان اتفاقهم لم يجاوز الملاحظة والتماثل ببعض الأمثلة المتناثرة في المصادر العربية عند البلاغيين والأصوليين والنحويين، وهو ما سندلل عليه فيما يأتي:

البلاغيون :

فقد حذر البلاغيون من هذه الظاهرة بما يُعرف بـ (المعنى اللغوي، أو المعنى الضمني، أو المعنى غير الحرفي، أو معنى المعنى)، ومراهم أن يُتهم من اللفظ معنى، ثم يفيد ذلك المعنى معنى آخر. ومن أوائل الذين انتقوا إلى ذلك العلامة "صمد القاهر الجرجاني" إذ يقول موضعاً للفرق بين المعنى الحرفي والمعنى غير الحرفي لبعض المنطوقات: (ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تظهر من زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة قتلته: خرج زيد، وبالإطلاق من عمرو قتلته: عمرو منطلق)، ثم قال موجزاً هذا الكلام من المزية (وبذا كان بيّناً في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه حتى لا يتشكل، وحتى لا يحتاج في العلم بأن في ذلك حقه، وأنه للصواب، إلى فكر وروية، فلا مزية، وإنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر)^(٣). وهذا الضرب من الأفعال هو الذي ندل هويته التركيبية على معنى يقصده المتكلم.

لما الضرب الثاني من الأفعال، فهو الذي لا ندل هويته التركيبية على ما يقصده المتكلم، فكأنه يقول شيئاً ويحني شيئاً آخر. وقد أدرك علمنا منه نوعين: نوعاً لا يستلزمه الحوار، ونوعاً يستلزمه الحوار عائد.

(١) جملة كبيرة من أفعال الترسكي مثلاً على استكمال القصة التركيبية عن الإلهة الثلاثة (الفرجاء، القنطرة من لوسن في جوفان، ص ٧٦).

(٢) جواب بلشيه، القنطرة من لوسن في جوفان، ص ٧٦، ٧٧، ٧٨.

(٣) الجرجاني: دلائل الإجماع، ص ٢٨١.

لما النوع الأول : فيمثل في خروج الكلام عن مقتضى الظاهر لو عن أصل
 للمعنى، وهو المعنى الحرفي الذي تطابق نسبة الكلام به مقصود للكلم، أو
 يكون ما قلناه هو ما مضيه، ولا يتكفى ذلك المعنى إلا بمعونة القراءن، وإدراكه
 لمقتضى الحال. وقد وضع "عبد القاهر الجرجاني" هذا القسم من خلال شرحه
 لمفهوم الكيفية^(١) يقول: (فيبغي أن تنتظر إلى هذه المعاني ولحداً واحداً وتعرف
 محصولها وحقيقتها، وإذا نظرت إليها وجدت حقيقتها ومحصل لمرها أنها
 إثبات لمعنى، أنت تعرف تلك المعنى من طريق المصنوع دون طريق للفظ إلا
 ترى أنك لما نظرت إلى قولهم (هو كثير رماد القدر) وعرفت منه أنهم أرادوا
 أنه كثير القوي والضيافة، لم تعرف ذلك من اللفظ ولكنه عرفت أنه رجعت
 إلى نفسك فقلت إنه كلام جاء عنهم في المدح بكثرة الرماد، فليس إلا أنهم أرادوا
 أن يملوا بكثرة الرماد على أنه تنصب له القدر الكثير، ويطلع فيها للقوي
 والضيافة؛ وذلك لأنه إذا كثرت للطلع في القدر كثير إحراق الحطب تحتها، وإذا
 كثير إحراق الحطب كثرت الرماد لا محالة^(٢)). فواضح أن المعنى الحرفي لهذه
 العبارة ليس هو المقصود بل إن معناها: (هو رجل كريم) ولتصور كيف يتم
 الانتقال من: كثير رماد القدر إلى رجل كريم يعتمد الجرجاني سلسلة من
 الاستدلالات (المزومت) :

• كثرة الرماد --> كثرة إحراق الحطب.

• كثرة إحراق الحطب --> كثرة ما يطلع.

• كثرة ما يطلع --> كثرة الأكلة.

• كثرة الأكلة --> كثرة الضيوف.

• كثرة الضيوف --> أنه ضيف.

• أنه ضيف --> أنه كريم.

(١) وهي أن تقرأ لفظاً، وتجد بطلاناً من: لفظاً هو المقصود، ينتشر: نهاية الإيجاز في درية الإيجاز، ص ٢٧٧.

(٢) دلائل الإيجاز، ص ١٤١.

نلاحظ أن الانتقال من دلالة للوضع (المعنى الحقيقي/الحرفي) إلى دلالة الملزوم (بالقول) المعنى للمستلزم يتم بواسطة استدلالات ذات طبيعة غير لغوية، فهي تتم بواسطة ما يُعرف عند بعض المناطق المعلمين بالخلقية الثقافية والاجتماعية؛ ومن ثم فإذا كان المعنى هو العلاقة بين المحتوى اللغوي واللفظ أو بين اللفظ والمقول؛ فالدلالة هي فيما نرى: وجهة صرف للفظ للمعنى، سواء أكان وضعاً أم محتملاً له.

وقد كتبت قبلهين إلى أكثر من نوع لهذا الضرب، وجميعها يدل على معنى يستلزمه الكلام؛ فهو انتقال من اللازم إلى الملزوم، مقسمين إياها إلى :

* ما يدل على صلة قريبة واضحة، ومن تلك قولهم: (لثلاثة نؤوم للضحر)؛ أي مرهقة مخدمومة؛ فالمنطوق استلزام المراد منه، وهو التعبير عن أنها لا تحتاج إلى الاستيقاظ مبكراً لإصلاح شؤونها؛ لقيام غيرها بذلك نهاية عنها؛ فاستدل بذلك على أنها مخدمومة.

* ما يدل على صلة قريبة غلمية نحو قولهم : (عرض للقاء)؛ لكن عظم الرأس وعرض للقاء إذا لفرط فيهما كان دليل تنبؤة.

* ما يدل على صلة بعيدة ، وهي التي يُنتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة كما جاء في قولهم (كثير رمد القدر). ومنه قوله تعالى: (وكما سقط في أيديهم) (الأعراف/ ١٤٩) فقد مرت بمرحلتين من الاستدلال :

- فلما شئت ندم بتي إسرائيل على صلبة العجل... عضوا على أيديهم.

- ولما عضوا على أيديهم... صارت الأيدي مستوطم فيها.

* ما يدل على التسمية ، نحو قولهم : (المجد بين توبه والكرم بين برديه)^(١)؛ فذلك يستلزم وجود صاحب البرد أولاً، ثم نسبة للكرم والجود إليه، فكأنما صار هو الجود والكرم نفسه؛ ولذلك غد من أسرار الجمال في هذا الأسلوب أنه يدل على المعنى مسحوباً بالدليل، وهذا لوقع في النفس، وأكد لإثباته.

(١) القريشي: الإيجاع في علوم هملامة، شرح وتلحق به قسم غلمية مة فسقة الأزعرية: قتراته ١٩٩٣، ١٥٩٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧١ ونهية الإيجاع في معرفة الإيجاع، ص ٢٧١.

أما التنوع الثاني : من الأعمال المقامية، فهو الذي يستلزمه الحوار عادة؛ فيرد فيه المخطئ على المتكلم بما لا يصح حرجاً أن يكون رداً عليه، ولا يمكن إدراك ذلك إلا بتأويل من الاستدلال يقوم بها المتكلم ليفهم مراد المخطئ، وقد يقع ذلك من المتكلم ومن المخطئ معاً في حوار واحد، وتتفاوت مراحل الاستدلال بسلطة وتعقيداً بقرب ما يقوله المتكلم أو المخطئ، مما يتوقفه الآخر من رد أو بعهده^(١)، وقد ورد منه عدة أنواع سنعرضها فيما يلي :

- (الحندة) وهي لون من لُوان الحوار في الأسلوب الجدولي بصفة خاصة^(٢). وقد وضعها "عبد العزيز الكناي" بقوله: (هي عبارة عن اجتلاب جواب لسؤال. وهذا الجواب المستجاب لا يكون هو المطلوب أو المسؤول عنه، وهو سلوك يمد إليه السهيب دفقاً للسؤال؛ لأنه يجد في إجابته إزعاجاً أو إحراجاً على أنه ليست كل الأسئلة بمستحقة الإجابة)؛ نحو قوله تعالى: (فَلَنْ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْصَلُونَكُمْ إِذْ يَضْرِبُونَ) (الشعراء/ ٧٣ - ٧٤) وإنما قال لهم إبراهيم هذا ليفهم، ويحبب إليهم، ويسهل عليهم، فمروا ما أراد بهم؛ فساروا بين امرين: أن يقولوا نعم بسمعونا حين ندهو، أو بسمعونا حين يضربونا؛ فيشهد عليهم بلغة قروهم أنهم كثيرون. أو يقولوا لا بسمعونا حين ندهو ولا بسمعونا، ولا يضربونا فينتفون عن ألتهم القدرة، وطمأن أن الحاجة عليهم لإبراهيم؛ لأنهم في أي القولين لأجلوه فهو عليهم؛ فعلموا عن جوابه واجتلبوا كلاماً من غير ما سألهم عنه: (قَالُوا بَلَىٰ وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا فَكْكَ يَعْطُونَ) (الشعراء/ ٧٤) فلم يكن جواب مسألته^(٣). ويتفرع من هذا الضرب ما عُرف بـ(الحندة بالكتنية)، وفيه يتكلى المجيب في إجابته تأنيباً أو خروجاً من ملزقه، ومنه ما رواه "الجاحظ" من أن العباس - عم الرسول ﷺ - قد سئل : (أنت لكبر لم رسول الله ﷺ ؟ فقال هو لكبر مني وولدت أماً قبله)؛ وهكذا جاءت إجابته - مناسية ومتخلصة لأحسن الأحوال^(٤)، ولري أن الحنطة ما هي إلا المصطلح العربي المقلد للاستلزام الحوارية عند الغربيين؛ حيث يحل

(١) قال جديده ص ١١٠.

(٢) ابن أبي الإسح يسري: تحرير التحرير، القيم ولسان الفكر، على مسد غرضه في فليس الأمل فيكون الإسلام، ربه ص ٥٦٩.

(٣) عبد العزيز الكناي: الحنطة، كنهه وأدبه له، جليل مطبعة في جميع لغة العربية، دمشق ص ٥٧.

(٤) الجاحظ: قحج في ألقاب الطرق، تحقيق أحمد زكي باشا، مكتبة فستيف، بغداد، طبعة الأولى سنة ١٩٦٠.

المتلقي عن الجواب المناسب للسؤال خروجاً من ملزق فجاء إلى جواب يدفع عنه المخرج والتهمة .

- أساليب الحكم، وهو فهم خلاف المقصود من المنكور، أو بمعنى "المحتدين": هو ما يستلزمه للمنطوق من دلالات غير منكرة فيه، وذلك بحمل كلام المتكلم على غير مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد؛ ومن ذلك قول "القيصري" للحجاج لما قال له متوحدًا بالقيد: "أحملك على الأدهم" فقال متفهمًا "مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب". فبِهِ لِهَرَز وعيده في معرض الوعد. وأراه بالطف وجه أن من كان على صفته في السلطان وبسطة اليد جدير بأن يُعطي لا يُقَدَّ^(١).

وعد منه البلاغيون تلقى المخطئ بخير ما يترقب به السائل بتزويل سؤله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحله أو الصم له^(٢)، ومنه قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ لَنْ يَجِيءَ مَوْتُكَ لِلنَّاسِ وَالْحَيُّ) (البقرة/ ١٨٩) فكان للمرد من السؤال تصوير تخير أشكال الهلاك، وهذا لا يفيد الناس في حياتهم؛ فجاء الجواب (هي موفيت للناس والحج) فبين ما كان يجب أن يسأل عنه، وهو لما قُتِلَتْ ووطيقت^(٣). ومنه حديث رسول الله ﷺ عندما سأله أعرابي عن الساعة قَتَلَ: "مَتَى السَّاعَةُ؟ قَتَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَمَاذَا أُعِدَّتْ لَهَا؟" فجاء جوابه ﷺ على غير منطوق الفتنة وإنما أجاب مبيناً ما كان ينبغي أن يسأل عنه السائل؛ وفي هذا النوع خرق لمبدأ المناسبة عند "جرايس"^(٤) إلا أنه لما كانت الإجابة المناسبة للسؤال غير مفيدة للمتلقي؛ عدل للمتلقي في إجابته صا سأل عنه، موضحاً ما كان ينبغي أن يسأل عنه لأنه الأصلح له.

- القول بالموجب وهو أن يصد المتلقي إلى كلمة من كلمات السؤال تحتمل أكثر من معنى؛ فيحملها على معنى غير المراد لدى السائل^(٥)، وهو ما أسماه "الجامع" فلما؛ حيث يعتمد المتلقي على خاصية الاشتراك اللغوي، التي

(١) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ١٥٠، ١٤٢.

(٢) أبو طرب بن أبي بكر السكيتي: مفتاح فطوح جنينة وكتب عرشه نهم زورور، ص ٢٤ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٢٧ وقزويني: الإيضاح، ١٥٢.

(٣) القزويني: الإيضاح، ١٥٢، بتصرف.

(٤) ابن أبي الإصبع: تحرير التحرير، ص ٥٩.

تتميز بها اللغة فصلاً للمعرفة، أو الفزل، ومنه ما رواه عن "الحجاج بن يوسف الثقفي"، قال لرجل من الخوارج: "لجعت للقرآن؟ قل: لم تفركا كان فأجبه: قل: أقرأه طاهر؟" قل: بل أقرأه وأنا أنظر إليه. قل أتمفظه؟ قل: أختبئ فرأه فأخفطه^(١). ونلاحظ أن في هذا النوع من الكلام خرقاً لمبدأ من مبادئ الحوار عند "جرايس"، ألا وهو (كن واضحاً ومحتكاً)، وفي رأي البلاغيين لا تستخدم من الألفاظ إلا ما هو واضح الدلالة؛ ومن هنا نلاحظ التقارب بين معايير الفصلية عند البلاغيين العرب ومبادئ الحوار عند "جرايس".

- للزيادة الملاحظة؛ ويمكن عد هذا النوع من أنواع الاستلزام الحوارية عند البلاغيين؛ حيث يعمد المجيب إلى إجابة السائل بأكثر مما سأل عنه، وقد أسماه بعض البلاغيين به (التلفيف). وفيه يقول "المسكي": (إخراج الكلام مخرج التظيم وهو أن يقع السؤال من نوع من الأنواع تدعو الحاجة لبيانها فيجيب بجواب عام عن المطلوب عنه وعن غيره لينبئ على صوره، وما بعده من الصفات المقصودة)^(٢)، نحو قوله تعالى: (وَمَا يَكْفِيهِمْ يَا مُؤْمِنُونَ قَالَ هِيَ ضَنَائِي أَتَوَكَّلْتُ عَلَيْهَا وَأَمْسُ بِهَا عَلَى غَلْمِي وَكَيْفَ يَكْفِيهَا مُرَبُّ الْآخَرَى) (طه/ ١٧، ١٨)؛ فكان يكتفه أن يقول (صفا)؛ لكنه ذكر السند إليه ليسط للكلام ويزداد شرفاً ولغزلاً بطول مناجاته لربه؛ ولذلك زاد في الجواب فقال: (قَالَ هِيَ ضَنَائِي أَتَوَكَّلْتُ عَلَيْهَا وَأَمْسُ بِهَا عَلَى غَلْمِي وَكَيْفَ يَكْفِيهَا مُرَبُّ الْآخَرَى) (طه/ ١٨)^(٣)؛ ليطول من سئلته بقصصه بالحضرة الإلهية، وكذلك قوله ﷺ وقد مثل عن جواز الوضوء بماء البحر فقال: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)^(٤)، وفي هذا الجواب خرق للمبدأ الحوارية (كن مقتصدًا)، ولكن لما كان الرسول ﷺ معلماً للناس، موضحاً لشئون حياتهم؛ فجاء جوابه مستوفياً الرد على سؤال السائل وأكثر منه.

(١) المصنف: فيون والتميز: تحقيل حد الكلام عند خرون، ٧٤، المصنف: القنوق: ١١٤٨ هـ، ١٩٢٨ م.

(٢) المسكي: حروس الأوجاج في شرح ألفاظ الفلاح عن شرح القاموس القزويني، ٤٠ دار الفادي بيروت، ١٩٩٢ م، ٤١/١.

(٣) المسكي: مفاخر القلوب، ١٧٨.

(٤) السيد سائق: في فضائل، ٤٠ دار الفان القزويني، ١٩٩٠ م، ١٨/١.

- الانتقال، وهو نوع يمكن إدراجه ضمن أنواع الاستلزام الحواري عند البلاغيين، حيث يعمد فيه المستدل إلى الانتقال من الاستدلال الذي كان أخذاً فيه إلى استدلال آخر، ليس بديل عن القريب أو العجز عن قبله، وإنما للتعريف عن مهارة جدلية مع خصم شديد لجورج، ومن تلك المحورة التي دارت بين إبراهيم هـ: والمروء، في قوله تعالى: (الْمُرْ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ لَكَ اللَّهُ الْفُلْكَ يَوْمَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ لَنْ أُنْصِيَ وَأَمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَنْتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُذِئِتَ لِلَّذِي ظَلَمَ (البقرة/ ٢٥٨) فإن إبراهيم هـ: انتقل في هذه الآية من الاستدلال الذي كان أخذاً فيه إلى استدلال آخر، ضارفاً عرض المقاطع باعتراض خصمه بقوله: (لَنْ أُنْصِيَ وَأَمِيتُ) معارضة منه لاستدلال إبراهيم هـ، فقد علم للخليل أن خصمه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة اللذين أرادهما، فانتقل إلى استدلال آخر، وهو قوله تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَنْتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُذِئِتَ لِلَّذِي ظَلَمَ (البقرة/ ٢٥٨)^(١).

وقد قام د. أحمد المتوكل بدراسة ما يستلزمه الحوار عند "السلكي" موضعاً أن تناول "السلكي" أنه قد تجلوز الملاحظة الصرفة إلى التحليل الملائم له، والذي يربط بين المعنى الصريح والمعنى المستلزم مقلداً، ويصف آلية الانتقال من المعنى الأول إلى الثاني، بوضع قواعد استدلالية واضحة. كما وضّح أن تناول "السلكي" لهذه الظاهرة كان يطمح إلى وصف لغوي شامل لجميع المستويات اللغوية (أصوات، صرف، نحو، ومعاني، وبيان...) ^(٢) ومن ثم وضّح المتوكل أن "السلكي" اعتمد على تصنيف الكلام إلى (خير، وطلب)، ففُتِحَ كلا من القسمين إلى أنواع، يضع لكل نوع منها شروطاً مقابلة لتحكم في إتجاهه، أي في إجرائه مطابقة لمقتضى الحال. ويتفرع عن هذه الأنواع نفسها أغراض تتولد في حالة إجراء الكلام على خلاف ما يقتضي المقام ^(٣) ولأننا ههنا محققين بمصر كل أنواع الخبر والإشياء لضيق المقام ههنا نتكسر على عرض بعض أسئلة الطلب الأصلية كالاستفهام، وترفعها إلى معنى أوسع متولدة من خلال السياق. فمن المطلق عليه أن الاستفهام يدل على طلب الفهم أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً، وسأل بجهل المعلومة، ومنقول يتوسم فيه

(١) إن في الإسبح: تحرير التحرير، ص ٦٥.

(٢) أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية القرطبي، ص ١٠٢-٩٩ بتصرف.

(٣) السابق نفسه، ص ٩٧.

استهلاك المطبوعة، وتفسير لغوي موجه بأداة استهلاك، أو تنعيم صوتي يقوم مقام الأداة، وعناصر مقامية أخرى. فإذا توفرت هذه الشروط كلها في إنجاز جملة استهلاكية ما، أجرى الاستهلاك على أصله، وكان استهلاكاً حقيقياً. أما إذا أُنجزت الجملة الاستهلاكية في مقام غير مطابق، فإن مخاضها الأصلي يخرج إلى معنى آخر، كما في قوله تعالى: (أَضْبَبَ الثَّمَرُ أَنْ يَكْرَهُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ) (الغشقيات/ ٢) فقد تفرع عن معنى الاستهلاك معنى متولدة تتنوع بين (الإنكار، والتوبيخ، والتمجب، والتعجب) وهذا التحدد يشير إلى رحابة معنى الاستهلاك في إيقاعه بالمعنى الأخرى التي يُمكن استخلاصها منه. ومنه أيضاً إذا قلت: (هل لي من شئ) فهي تعيد معنى للتنبي لسمعية بإجراء المعنى الأصلي على حقيقته، وقد يفرد الاستبعاد نحو: (منذ كم دعوتكم؟) والتفسير نحو: (أعطت هذا) تقصد حمل المخاطب على الإقرار بأنه فعل أو أنه القائل، والتهكم نحو قوله تعالى: (أَصْلَافٌ ثَلَاثَةٌ أَنْ تُشْرَكَ مَا يُعْبَذُ أَهْلُهَا أَوْ أَنْ يُفْعَلَ فِي أَمْوَالِهِمَا نِشَاءٌ) (هود/ ٨٧)، والاستبعاد نحو قوله تعالى: (إِنِّي لَهُمُ الْكَافِرُونَ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ) (الدخان/ ١٣)^(١) وهكذا لاحظنا أن المعنى التي تشيعها أداة الاستهلاك أرحب وأوسع من أن نحددتها تماماً، لذلك نجد المتكلم يعمد أحياناً إلى الصوت غير لفظي أو يخفضه أو يوزع علوه وتخلطه في تقطعات وتنغمات معينة يريد بذلك أن يُعَمِّق الأتنام ما أحس أنه تقلت من الكلمات والفراكيب، بل إنك تراه أحياناً يشير بيده بإشارات قصيرة هائلة أو طويلة قوية، وأحياناً يسفر تقاطيع وجهه فوقض، أو يبسط، أو يحرك رأسه، وما شابه ذلك مما يصادف الناطق وهو في حقيقته كلام غير منطوق^(٢). نخلص من ذلك إلى أن الاستهلاك أسلوب حراري تداولي يستلزم لتصوره عناصر معينة، فإذا توفرت هذه العناصر بشروطها وموصفاتها المذكورة، فذلك الاستهلاك الحقيقي. أما إذا غاب ركن أو هاب القيد الوصفي للركن، فذلك مؤشر على كون المراد غير الاستهلاك... فُتَبِّحْ من المراد في قرآن السياق كالتمجب، أو السخرية، أو التمني، أو التوبيخ، أو الإرشاد... إلخ هذه المعاني أو الأغراض المختلفة بسمية للتعماء خروج الاستهلاك عن مكتبته.

(١) السكيتي: مخارج الحروف ٢٠٨-٢١٧، وكيف تميز الأتباء بالمخاطبات، ٢٢، من ١٧.
(٢) محمد سعيد أبو موسى: دلائل قرآنية بلاغية في ملكة وحياء، ١٢١ من ٢٢١.

وقد وضع الدكتور "الحمد المتوكل" كيفية الانتقال من للمعنى الحرفي إلى غير الحرفي، مبيّناً الخطوات التي ينتهجها المتكلم والمتلقي لفهم مضمون الحوار بينهما، مستخدماً برأي "السككي" في عدول أنواع الطلب عن معانيها الأصلية إلى ممانٍ آخر فرعية، ويتكئ ذلك بالخطوات الآتية :

- تحمل أنواع الطلب معانيها الأصلية في حافة ثقافتها وشروط إجرائها على الأصل؛ ومن ثم لا تكل إلا على معناها الحرفي .

- تنتقل أنواع الطلب عن معانيها الأصلية إلى ممانٍ آخر؛ وذلك لسفانة شروط إجرائها على الأصل. ويتم ذلك في مرحلتين متلازمين:

الأولى : يؤدي عدم المطابقة المقدمة إلى خرق أحد شروط إجراء المعنى الأصلي فيمتنع إجراؤه.

الثانية : يتولد عن خرق المعنى الأصلي امتناع إجرائه معنى آخر (يناسب المقام)^(١).

كما لارن بين أراء "السككي" ومبدأ القملون ضد "جرايس"؛ فتوصل إلى شدة التقارب بين للقرحات البلاغيين العرب ومبدأ القملون ضد "جرايس" في هذه الظاهرة، وما فيها من خرق لإحدى قواعد الحوار مؤكداً أن للقرحات البلاغيين العرب المتمثلة في للقرحات "السككي"، أكثر دقة وقدره على التنبؤ من للقرحات "جرايس"؛ حيث إنها تمكن تطللاً من ربط الخرق بامتناع إجراء المعنى الأصلي من الجزم بحصول الاستلزام أي بحصول الانتقال القطعي من المعنى الأصلي إلى معنى آخر مناسب للمقام^(٢).

الأصوليون

أما الأصوليون فقد اهتموا بدلالات الألفاظ وذلك لعنايتهم بفهم تلك المتولات، والاضاع عليها في استنباط الأحكام التقنيّة، فأدركوا أن الدلالة نوعان :

(١) دراست في نحو لغة العربية قريظي، ص: ٩٨.

(٢) قملان، ص: ١٠١.

الأولى : من جهة كونها لفظًا وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة وهي الدلالة الأصلية.

الثانية : من جهة كونها لفظًا وعبارات معقدة دالة على معان خالصة وهي الدلالة التلخيصية^(١)، وهذه الدلالة هي التي تتكئ بمعونة القرآن القوية وغير اللغوية، والتي عني بها الأصوليون عنقية فلتة؛ لما لها من أهمية في الإحاطة بمراد النص .

كما التفت الأصوليون إلى اختلاف الدلالة، باعتبار ما يقصده المتكلم وما يفهمه السامع؛ فقسموها إلى: حقيقية وإضافية. فالحقيقية: تلخص لقصد المتكلم وإرادته، والإضافية: تلخص لفهم السامع وإدراكه وجودة فكره وقويته، وصفاء ذهنه، ومعرفته باللفظ ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافًا متباينًا بحسب تبين السامع في ذلك^(٢)؛ ومن ثم نه الرسول ﷺ إلى اختلاف مراتب الصحابة في فهم النصوص؛ فمنهم من كان يفهم من الآية حكمًا لوحيًا أو أكثر، ومنهم من كان يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سواه، ودون إيماة وإشارته وتبنيها واعتباره^(٣). ولرى أن المعنى التابع والمعنى الإضافي عند الأصوليين، هو ما ضاه اللغويون به (المعنى غير المباشر)؛ وذلك لكون المنطوق يدل على معناه الحرفي، مضاعفًا إليه ما يمتاز به من معان غير حرفية، يطمها لمخاطب من سياق الكلام .

كما قسم الأصوليون المنطوقات من حيث الدلالة إلى دلالة المنطوق ودلالة المفهوم. أما دلالة المنطوق فقد عرّفها الأمدى بقوله : « ما فهم من دلالة اللفظ قطعًا في محل النطق »^(٤)، وهو قسمان: صريح وغير صريح.

أولاً : المنطوق الصريح :

عرّفه العلماء تعريفات أشهرها :

(١) قولته: «الروايات في أسرار التلخيص» ج٢، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٧هـ، ١١٧٧م، ١٦/٢ بقصره.

(٢) ابن أبي عمير: «إعلام القرائن» عن رب العلقين: «تعلق الشيخ مسد محي الدين عبد القادر ج٢، ٢٥١، ٢٥٠/١، ٢٥١، ٢٥٠/١».

(٣) «طاهر سليمان حادثة جوارحاً لفتني عند الأصوليين» ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ، ١٢٧م.

(٤) الأمدى، الإحكام في أسرار الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ، ١٢٧م.

» ما وضع للفظ له فيدل عليه بالمطابقة أو تتضمن حقيقة أو مجازاً «^(١).

ومعنى ذلك : أن دلالة اللفظ فيه على المعنى دلالة ناشئة عن الوضع اللغوي ، أي وضع اللفظ له ولو تضمناً ؛ أي ولو كانت بطريق التضمنين .

مثال ذلك قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كُتُوبَ الْكِتَابِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْ يُلْقُوا فِيهَا سُلْطَانًا مِنْ رَبِّهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يُذَكَّرُونَ) (النساء/ ١٠) ، فهذه الآية تدل صراحة على حرمة أكل مال اليتيم .

وكذلك قوله تعالى : (فَلَا تَأْكُلْ أَمْوَالَهُمْ بَعْضُهَا ذَلَالَتُهُمْ وَلَا تَوَدَّهَا وَلَا تَمْسَسْهَا أَمْوَالُ الْيَتَامَىٰ ذُرِّيَّتُهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) (البقرة/ ٢٢٠) ، هذا التمس لمس لمس يدل صراحة على تحريم التنايف لليتيمين.

فالدلالة في هاتين الآيتين من قبيل المنطوق الصريح التي لا تحتاج إلى نظر ولجهاد، وسمي بالمنطوق الصريح لأنه يستفاد من مدلول اللفظ فقط .

والمنطوق الصريح يشمل نوعين من الدلالة^(٢) :

الأولى : دلالة المطابقة : وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له ، وسميت بذلك لعدم زيادة المعنى على اللفظ ولا لفظ على المعنى ، كدلالة لفظ الإنسان على الحيوان الناطق.

الثانية : دلالة التضمن : وهي دلالة اللفظ على جزء المعنى في ضمنه ، كدلالته على الحيوان أو الناطق في ضمن الحيوان الناطق.

ثانياً : المنطوق غير الصريح :

وهو دلالة اللفظ على ما لم يوضع له ، فيدل عليه بالانزлам^(٣).

إذن للمنطوق غير الصريح هو دلالة اللفظ على الحكم بطريق الانزلام لا بطريق المطابقة أو التضمن.

وقد صنف الأصوليون مدلولات الإنكشاف التي تستلزم من غير الملفوظ إلى :

(١) ابن الجوزي الطبري، مستنصر القصور شرح تركيب المنبر، تحقيق: محمد فزعلي، وتزيه حسام، ط١، مكتبة فضائل، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ١٢٢/٣ - وثقوقي، إرشاد العمل إلى تحقيق الفهم من علم الأصول لتعليق: الشيخ أحمد جزع علي، ط١، دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ٢٦/٢ .

(٢) تركيب لغوي، ١٤٢/٢، إرشاد العمل، ٢٦/٢ .

(٣) السابقين نسجما ١٢٢/٢، ٣٧، ٣٦/٢ .

* «دلالة الإكضاء»: وهي ما لا يستفاد دلالاته من منطوق اللفظ وإنما يُفهم مما تقتضيه ضرورته، كما في قوله ﷺ: «من لم يبيت الصوم من الليل فلا صوم له»^(١)، فالمعنى السريع ينفي للصوم، والمعنى الضمني ليس اقتداء للصوم، وإنما اقتداء صحة للصوم، ولفظ (الصحة) غير منطوق به، ولكن لابد من فهمه من خلال النص لتحقيق للمعنى المراد.

* أما دلالة الإشارة (الفهوى) : فهي ما تستفاد من دلالة اللفظ بغيراد المعنى التبعي غير المذكور في السياق، كالاستدلال على تقرير أقل مدة العمل ستة أشهر أخذاً من قوله تعالى: (وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) (الأحطاف/ ١) مع قوله تعالى: (وَالْحَمَلُ فِي عَامَتَيْنِ) (النساء/ ١٤)؛ فالقصد في الآية الأولى بيان الأمرين جميعاً من غير تفصيل، ثم بيّن في الثانية مدة الفصال قصداً، وسكت عن بيان مدة الحمل وحدها، ولم يذكر له مدة، ولكن ما يشير إليه المفهوم المستفاد من النصين أن أقل مدة الحمل هي ستة أشهر^(٢).

* أما دلالة مفهوم الموافقة : والمراد بها دلالة السكوت عنه، فهي التي يستلزمها السياق من إيرادها إلى الذهن مباشرة من قبل المنطوق ومنها قوله تعالى : (فَلَا تُلْزِمُوا أَنْفُسَكُمْ) (الإسراء/ ٢٣) فيستلزم هذا التمهيد من كل ما يؤذي الأبوين من الحب، والشتم، والضرب، وتلك مفهوم من دلالة (أنفسكم)^(٣).

* أما دلالة مفهوم المخالفة : فتعني بها إثبات تقضي حكم للمنطوق للسكوت عنه إذا قُود الكلام بتقدير يجعل الحكم مقصوراً على حال هذا التقيد، فالتقول يدل على حكم المنصوص عليه، ويستلزم حكم حكمه من غير المذكور في السياق. ويُعرف بأنه: «ما يكون منطوق اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمطلوبه في محل المنطق»^(٤)؛ ومن ذلك قوله تعالى: (لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ وَتُكْفَرُ عَنْكُمْ بِمِثْلِهَا فَكُذَّبُوا مِنْ حَيْثُ كَانُوا يَكْفُرُونَ) (المائدة/ ٣٠)، فبعض

(١) ابن رشد القرطبي: بداية فقهه وأنهاية فقهه، ط ٢ مطبعة المجمع، القاهرة ١٤١٤هـ / ٢٠٠١، والمستقصى من طبع الأصول، ومنه كتاب فروع فروع الحديث، ج ١، ط ١، مطبعة دار الفکر، بيروت ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١.

(٢) غزالي المستقصى ١٨٩٢، دار مجد أهد عبد القادر: تفسير القرطبي ج ١، ط ١، مطبعة دار الفکر، بيروت ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١.

(٣) الأئمة: الإحكام في أصول الأحكام، ١/٣، والمستقصى ١/٣٣٥.

(٤) الأئمة: الإحكام في أصول الأحكام، ١/٣، والمستقصى ١/٣٣٥.

الأصوليين يقولون بالجزء للمخفي، وهو مفهوم مخالفة النص^(١)؛ وهكذا نلاحظ دقة الأصوليين في إدراك (المعنى الضمني) وهو ما أخذ مصطلحات عدة تتعلق جميعاً من كون المنطوق لا يدل على معناه الحرفي فقط، وإنما يستدل منه على معنى آخر، هو المراد لدى المتكلم، ولا يُدرك هذا المعنى الضمني إلا بمعونة قرآن الحال، والعرف، والسياق الثقافي والقرعي.

التحويين:

لما التحويين قد التفتوا إلى تناوئية النص للقرآني في كون الأسلوب يدل ظاهره على معنى، ويقيم منه معنى آخر، ومن ذلك قوله تعالى: (فَرَحُّهُمْ يَظُنُّوا وَيَكْتُمُونَ وَيَأْتِيهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَكْفُتُونَ) (الصحر/٤)، ينكر "المبرد" : ((الإن قال قائل : أفلمن بذلك ابغضوا ويلعبوا ؟ قول : مخرجه من الله - عز وجل - على الوعيد، كما قال: (اضلوا ما شئتم فإني بما تعملون بصير) (فصلت/ ٤٠) و (لئن شاء القومين ومن شاء للظفر) (الكهف/ ٢٩)^(٢) يتضح من كلام "المبرد" أن فعل للكلام المنجز للآية هو (الوعيد) المصنف ضمن التمهيدات، على الرغم من أن البناء الشكلي للآية هو بنية فعل الأمر (افعل)، الأمر الذي ينم عن وجود قوة إنجزارية لأفعال الكلام لا ترتبط دائماً بظاهر الصيغة النحوية التي نحملها، فالفعل اللغوي في أساليب الصريحة ((يتكون من مكونين، من الجزء الإنجزاري يسم نمذ الفعل الكلامي... والجزء التقضي الذي يشتمل على مضمون للفعل (مثل مضمون لؤدد) مضمون التصريح.....))^(٣)، أما الفعل الكلامي في الصور غير الصريحة، فإنه يرتبط بقصدية (مصلح الخطاب) وهو ما كان حاضراً في ذهن "المبرد" في قراءته للتناوئية للآية الكريمة، إذ قال (مخرجه من الله - عز وجل - على الوعيد) أي أن التقصد لم يكن الأمر بالتحب والخوض، وإنما الوعيد، فالتقصد ((قراءة تمييزية ناجحة تكسب التحليل اسماً

(١) الصور القرآني من كلام أصول فقهاء من ١٢٧٠، ودراسة لحنى من الأصوليين من ١٥٩.

(٢) المبرد، في التشبيه، تحقيق محمد عبد القادر عتيق، طبع في بيروت، ١٩٩٤، ص ٢٦٢.

(٣) كلثوم بريتر: التحليل القرآني، طبع في (مطبع في القاهرة الإسلامية والكتاب)، ترجمة د. سعد حسن بديوي، مؤسسة المستقبل، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٢٥-١٢٠٠، ص ١١٤.

تداولياً صريحاً، فالتحذير والإنشاء كلاهما له خارج، وكلاهما يطابق ذلك الخارج،
فالتحذير ما يطابق للخارج، وليس ذلك هو المقصد من الإنشاء^(١).

وهكذا انتبه للنحويين إلى كون المنطوق يدل ظاهره على معنى مباشر،
على حين يستقي منه المتلقي معنى غير مباشر، وعندما نتحدث عن الممكن
التداولي أو عندما نقول إن ظاهرة ما خاضعة لـ (عوامل تداولية) فإننا نقصد
بذلك الممكن الذي يمالج وصف معنى المتوطلات في سياقها، ولو جئنا إلى
مفهوم التحذير عند النحاة نجدهم يعرفونه بأنه ((تنبيه السامع ليجتنبه))^(٢)،
فيقوم هذا الفعل على أساس التنبيه والأمر بالاجتناب كما قال مسيبويه^(٣)، أي
الدعوة إلى التردد، ويُعدّ ذلك هي لفظة أو الفقرة المرجوة منه، يقول الرضي
مستحثاً عن التحذير: سُمي للفظ المحذّر به نحو: (إلهك والأسد) ونحو (الأسد
الأسد) تحذيراً، مع أنّه ليس بتحذير، بل هو آلة التحذير^(٤)، فآلة التحذير لفظ أو
صيغة يتلفظ بها للمتكلم فيحذر بها، أما التحذير فهو الفعل أو للعمل الذي ينشئه
ويسمعه بتلك الآلة، وكلام الرضي ينطوي على التمييز بين صيغة التحذير
وعمل التحذير، بل إننا نقول إن في هذا الكلام نصاً صريحاً على هذا التمييز.
وإذا جئنا إلى الخطب القرآني نلاحظ ما هذا الفهم، ففي قوله تعالى: (ثُمَّ لَآتِي
وَمُعْتَابُهَا) (الشّمس/١٣) يكون التقدير: احذروا نقلة الله واحذروا سقايها،
والمراد: التحذير من أن يؤذوها، وهو تحذير يقتضي الوعيد^(٥)، ولعمري هذا
الكلام أن هنا لمعين كلاميين متكاملين: أحدهما (التحذير) ويصنف ضمن فئة
للتوجيهات، كونه خطاباً صائراً عن قاري - عز وجل - ولذلك ((تكون نتيجة
الفعل للتوجيهي ملازمة للمرسل إليه عبر سلطة المرسل؛ لأن ما يجعل من
الخطب إنجازاً لفعل توجيهي هو ربطه بـ (ثنا المرسل))^(٦)، والآخر (الوعيد)،
وبمصطلحات (سورل) يكون أحد التقنين لفعلاً كلامياً مباشراً وهو التحذير،
والثاني لفعلاً كلامياً غير مباشر وهو الوعيد^(٧).

(١) مسعود سحراري، تداولية عند النحاة العرب، ص ٦٩.

(٢) أ. عبد السلام مازون، الأساليب الإنشائية في الشعر العربي، مكتبة القدسي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨١، ص ١٥٢.

(٣) مسيبويه، كتابه، تحقيق عبد السلام مازون، ط ٢، القدسي، القاهرة، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م، ص ٢٧٤، ٢٧٣.

(٤) الرضي، شرح القاموس، تحقيق: يوسف حسن صبر، منشورات جامعة قرطاج، ١٩٧٨ م، ص ٢٧٩.

(٥) الشيخ محمد الطاهر بن حشور، التحرير والتنوير، دار مسنين قسنطينة والقرطاج، تونس، ١٩٧٢، ص ٣٧٤.

(٦) عبد القادي بن طاهر الشنيري، استراتيجيات الخطاب - مكتبة لؤي العتائي، ص ٣٢٤.

(٧) مسعود سحراري، تداولية عند النحاة العرب، ص ٦٢.

ومن هنا نخلص إلى مدى التقارب الواضح بين خواص الأفعال المباشرة
وغير المباشرة عند التداولين و العرب .

الفصل الثالث

عناصر التداولية

أولاً: الاستلزام الحواري Conversational implicature

١- نشأته :

تعد دراسات "جرايس" ١٩٦٧م^(١) التي لقناها في جلمعة هارولد المنطوق الأساسي لشبكة مصطلح الاستلزام الحواري، فتم فيها بليجاز تصويره لهذا الجانب من الدرس، والأسس المنهجية التي يقوم عليها، ثم تتبعت أبحاثه النظرية والتطبيقية تلك الظاهرة في عامين ١٩٧٨ و ١٩٨١م، حيث يذهب "جرايس" إلى القول إن العملية التواصلية قائمة أسساً على مبدأ عام سماه "بـ (مبدأ التملون الحواري)". إذ يعد تولف هذا التقيد أساس نجاح العملية التواصلية، ويؤدي اختلاله إلى فشل الفعل اللغوي. وبالرغم من أن أبحاثه قد تطرأ عليها بعض عوامل التنقص من ناحية، وعدم الإحكام من ناحية أخرى، إلا أنها تعد اللبنة الأولى التي بنى عليها المخفون له النظرية كاملة فيما بعد^(٢). ولقد نتج عن اهتمام لدارسين فيما بعد بربط مفهوم الاستلزام الحواري بمفهوم القوة الإيجازية، أن كل ذلك مخفلاً اعتمدته الفرضية الإيجازية لاقتراح كوكبة تتمثل للقوة الإيجازية، بواسطة الإجراءات التوليدية.

٢- تعريفه :

(١) قال جرانيك ص ٣٢، ود. عبد الحميد جملط: يمثل إلى الدلالة المنطقية، ص ٣١٥.

ويعني به أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يهتدون أكثر مما يقولون، فالمراد به لينساح الاختلاف بين ما يقال *What is said*، وما يقصد *What is meant*، فما يقال، هو ما تنفيه الكلمات والعبارات بقيمتها الظاهرية *Face values*، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر؛ اضطراراً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أصناف الاستدلال، ووسائل الاستدلال، وهو ما يُعرف به (الاستلزام الحواري)^(١)، وبين ذلك من خلال المحادثة التالية: (أ) لم يبق لدي أي بنزين. (ب) توجد سمطة على بعد استار. (جرولس ١٩٧٥).

نلاحظ من حوار (أ) أن المراد ليس إخبار السامع عن نفاد ما لديه من وقود، وإنما يقصد طلب المساعدة، وهو المعنى الضمني؛ ومن ثم جاء حوار (ب) ملتزماً بالتماون فالخبره بأن هناك محطة لبيع الوقود، توجد على مسافة قريبة، كما أنها مفتوحة وتبيع الوقود؛ وهكذا تُفسر (المعاني الضمنية) بأنها "جوانب متضمنة في المعنى، ولها خصائص واضحة الملامح، وهي مستقاة من المعنى المباشر حسب استعماله في سياق محدد مشترك بين المتكلم والمخاطب"^(٢).

٣. أنواعه :

وإذا نظر "جرولس" فرأى أن الاستلزام نوعان: استلزام حواري *conventional implicature* واستلزام *implicature conversational*، فلما الاستلزام للحواري، فلتقدم على ما نعرف طيه لأصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تلك حنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التركيب. ومن ذلك مثلاً في الإنجليزية *but* وتطبيقاتها في اللغة العربية (لكن) فهي هنا وهناك تستلزم دائماً أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقمه السامع مثلاً: *My friend is poor but honest*.

(١) ديمسود نطال: أفاق حنجه، ص ٣٢.

(٢) جيب براون، ج بول: تحليل لفظية فرجة وتطبيق د. محمد لطفي الزيايدي ود. منير التريكي طبعته تلك بيروت، ١٩٩٧، ص ٤١، ٤٢.

ومثل زيد غني لكنه بذيول. وأما الاستلزام الحواري فهو متغير دللنا بتغير السياقات التي يرد فيها^(١).

٤ شروطه :

يعتمد الاستلزام الحواري في إنجازه على خرق أحد مبادئ التعاون الحواري عند "جرانس"^(٢). وصيغة هذا المبدأ هي :

* لوكن انتهاضك للتغاطب على الوجه الذي يقتضيه الفرض منه .. فهين أن هذا المبدأ يوجب أن يتعاون المتكلم والمستمع على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الذي دخلا فيه وقد يكون هذا الهدف محددا قبل بقولهما في الكلام، لو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام. وهذه المبادئ التي تتوقع أن يكون المتكلم والمتلقي متعاونين في كون الحوار بينهما يتصف به :

- ١- مبدأ الكم Quantity: أن لا تقول من الكلام ما لا حلجة له.
- ٢- مبدأ الكيف Quality: أن لا تقول ما ليس عندك دليل عليه^(٣).
- ٣- مبدأ النسبة Relevance: أن يكون كلامك مناسبا للموضوع.
- ٤- مبدأ الطريقة Manner: أن تكون واضحا محددا موجزا متجنبا للموضن واللبس^(٤).

بهذه المبادئ يتم التعاون بين المتكلم والمستمع في إنتاج حوار مشرء [لا أن الواقع الفعلي يخالف هذه المبادئ] فنلقا ما يخرق المتكلم أحد هذه المبادئ في حوارء لكي يصل بكلامه إلى مقصده الذي لا يستبين من حقيقة الألفاظ المستعملة فيه بل لابد من الاستناد إلى ملائمت الموقف وقرائن السياق، بالإضافة إلى التعرف لمعرفة مقصد المتكلم .

(١) د. مسعود لعل: لقال جعند ص٢٧.

(٢) قد خرف المبدأ الحواري الأول للتغاطب باسم مبدأ التعاون^(١) ويورد لعل هذا الجاء في السيكات الحديثة عند الفيلسوف الأمريكي "بول جرانس"، إذ ذكره لأول مرة في دروسه المتقدمة بطولان "مبشراة في التغاطب"، ثم ذكره لعل في مقالته الشهيرة: "المنطق والتغاطب"، إذ أنه عند عرض لعل لالسن والقرآن أو للقرآن المنطقي، المركز اللغوي العربي، هذا، فهو المبدأ، ١٩٩٨، ص٢٣.

(٣) لعل، بكتوبه الثانوية من لرسن إلى جواسن، فرجاء: سائر المجلدات ص١٤، ١٥، ١٦.

(٤) د. عبد السيد جعند: منطق إلى الدلالة المبتدئة ص٣١.

لا ينبغي أن يبدأ التعاون الحواري قد فتح باباً واسعاً في تطوير التداوُلات اللغوية، وتوسيع الدراسات المتعلقة بموضوع التواصل الإنساني، لكن الاعتراضات التي وردت على هذا المبدأ والتحديات التي انبثقت عليه، بلغت النهاية في التفكير: بيد أنه لا يسترقلنا من ذلك في هذا الموضوع إلا اعتراض واحد، وهو أن مبدأ التعاون والقواعد المتبادلة منه لا تضبط إلا الجانب التبادلي من التخاطب، أما الجانب التهذيبي منه، فقد استُطِيع اعتباره استطلاً؛ ولا يفيد كثيراً في دفع هذا الاعتراض أن يقال: إن "جوليس" قد أشار إلى هذا الجانب في صبرته التي جاء فيها: "هذه أنواع شتى لقواعد أخرى، جمالية واجتماعية وأخلاقية، من قبيل "تكن مؤدبا" التي يتبعها عادة المتخاطبون في أماكنهم، والتي قد تولد معاني غير متعارف عليها". فعلى الرغم من ذكر "جوليس" لجانب التهذيب من المخاطبة في هذه الإشارة، فإنه لم يهتم به، وذلك للأسباب الثلاثة الآتية:

- أ- أنه لم يورد بالذكر، بل جمع إليه الجانب التجميلي والجانب الاجتماعي، يوصف هذه الجوانب جميعاً لا استجوب للعرض الخاص الذي جُويل للمخاطبة، ألا وهو نقل الخبر على لوضح وجه!
- ب- أنه لم يبين كيف أن نبشّر وضع القواعد التهذيبية، ولا كيف يمكن أن نرتبها مع القواعد التبادلية.
- ج- أنه لم يتطعن إلى أن للجانب التهذيبي قد يكون هو الأصل في خروج العبارات عن إفادة المعاني الحقيقية أو المباشرة.

وقد مثل الدكتور "محمود نحلة" بأمثلة موضحاً لكيفية خرق تلك المعايير منعرضها فيما يلي:

١- في حوار يجري بين (أ) وولدها (ب):

أ- هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الخزانة ؟ ب- نعم اغتسلت.

في هذا الحوار خرق أو انتهك لمبدأ الحكم؛ لأن الأم سألته عن أمرين، فاجاب عن واحد وسكت عن الثاني، أي أن إجابته لكل من المطلوب. ويستلزم هذا أن نفهم الأم أنه لم يضع ثيابه في الخزانة، وأنه لم يرد أن يجيب بنعم حتى لا

تشمل الإجابة شيئاً لم يتم به، ولم يرد أن يواجهها بتفاصيله عن وضع ثيابه في الغسالة.

٢- في حوار بين تلميذ (أ) وأستاذ (ب)، وكلاهما إنجليزي :

أ- طهران في تركيا، أليس هذا صحيحاً يا أستاذ؟

ب- طبعاً، ولندن في أمريكا!

في هذا الحوار فتنه الأستاذ مبدأ للكيف، الذي يقتضي ألا يقول إلا ما يعتقد صوابه، وألا يقول ما لا دليل عليه. وقد انتهكه الأستاذ هكذا، ليظهر للتلميذ أن إجابته غير صحيحة، ويؤنبه على جهله بشيء كهذا، وللتلميذ فخر على الوصول إلى مراد الأستاذ؛ لأنه يعلم أن لندن ليست في أمريكا، وذلك يستلزم أن الأستاذ يقصد بقوله شيئاً غير ما تقوله كلفته، وهو أن قول للتلميذ غير صحيح.

٣- في حوار بين رجلين :

(أ) أين زيد؟ (ب) ثمة سيارة صفراء تقف أمام منزل حمرو.

وما فقه (ب) بمعناه الحرفي ليس إجابة عن السؤال، فهو ينتهك مبدأ العلاقة المناسبة بالموضوع، ولكن السامع في ضوء المبدأ الأخرى للتعاملين يسأل نفسه ما هي العلاقة للممكنة بين وقوف سيارة صفراء أمام منزل حمرو وموالاتي عن مكان زيد، ثم يصل إلى أن المراد بهذا القول إغلاجه رسالة مؤداها أنه إذا كنت تريد سيارة صفراء فقله عند حمرو.

٤- في حوار بين رجلين :

(أ) ماذا تريد؟

(ب) قم، واتجه إلى الباب، وضع المفتاح في القفل، ثم أدره ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم لنزع الباب برفق .

ووضح أن فيما قلناه (ب) انتهكنا لمبدأ من مبادئ الطريقة manner، وهو "أوجز" إذ كان يكفي أن يقال: افتح الباب، وإذا نظرنا إلى هذا القول في ضوء تحقق مبادئ الحوار الأخرى، كان لابد أن المتكلم يحاول به وجهًا غير ما يظهر، قد يكون مؤاخضته على ما يتميز به بين بطله وتكاسل^(١).

• خواصه :

وقد علم (جرايس ١٩٧٥م) خواصًا للاستلزام الحواري يمكن عرضها فيما يلي :

(١) الاستلزام الحواري يستدعي للمعنى الضمني غير المباشر في مدة زمنية أقل مما يتطلبه تمحس للمعنى المباشر، ويظهر ذلك من قصد المتكلم في التالي :

(أ) إن الجو بارد حقًا هنا، وهذا للنافذة مقترح .

(أ) أغلق النافذة من فضلك .

فلنلاحظ أن الجملة الثانية قد عبرت عن مقصد المتكلم من الجملة الأولى، ومن ثم فلي السمع أن يستنتج مراد المتكلم من الجملة الأولى (صيغة طلب غير مباشر) فيستجيب لطلبه^(٢).

(٢) فلنصحب حقائق يفترض أن للمرسل إليه علمًا بها سبقًا (بديهيات مشتركة أو وقائع خاصة ترجع إلى معارفه السالفة)، وتكون ضريبًا من الأرضية لتبني عليها المنطوقات (التي من شأنها على العكس أن تتلصّب معلومات جديدة)، وتضمن اتساق الخطاب، في الحين الذي تتعهد فيه للمنطوقات بتنقذه.

(١) بمسود نظام: لاقى جيتك من ٣٧، ٣٦.

(٢) تطوّل الخطاب: من ٣٠، ٣١.

وبهذه الصفة يتكفل بها ضرب من الصوت الجماعي وتعلق حسب
"ديكر" بتعدد الأصوات التلقائية^(١).

(٣) الاستلزام ممكن إغراء، ويكون ذلك عادة بإضافة قول يمد الطريق أمام
الاستلزام أو يحول دونه، فإذا قلت قارئة لكاتب: (لم اقرأ كل كتابك)، فقد
يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها: (الحق أني
لم أقرأ أي كتاب منها)، فقد ألغت الاستلزام، وإمكان الإلغاء هذا، هو أهم
لخلاف بين المعنى الصريح والمعنى الضمني، وهو الذي يُمكن المتكلم
من أن ينكر ما يستلزمه كلامه^(٢).

(٤) الاستلزام الحوارى متصل بالمعنى الدلالي لا بالصيغة اللغوية لثني قول بها،
فلا يقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها، ويظهر ذلك في
هذا الحوار الذي وقع بين أختين:

(أ) لا أريدك أن تتسالي إلى غرقتي على هذا النحو.

(ب) لماذا لا تسالي، ولكن أمشي على أطراف أصبعي؛ خشية أن أحدث
ضوضاء؛ فهل رغم من تغير الصياغة في قول (ب) فإن ما يستلزمه
القول من عدم القرضا عن هذا السلوك لا يزال قائماً.

(٥) الاستلزام يتغير بتغير المواقف التي يرد فيها، فالتعبير الولد يؤدي إلى
استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، فإذا سألت طفلاً يحتفل بيوم ميلاده:
(كم صرله؟) فهو طلق للعلم، وإذا سألت السؤال نفسه لصبي عمره خمسة
عشر عاماً، فقد يستلزم السؤال ملاحظة له على نوع من السلوك لا ترضاه
له، ومثل ذلك أن يقول رجل سرق متاعه يوم العيد: (تلك أفضل حذية)،
ومن الممكن أن يقول هذه العبارة نفسها رجل تلقى رسالة من صديق قديم
يوم العيد، أو طلق بشر بنجاحه... الخ.

(٦) الاستلزام يمكن تقديره، والمراد أن المتكلم يقوم بخطوات محسوبة يتجه
بها خطوة خطوة للوصول إلى ما يستلزمه الكلام، فإذا قال المتكلم: (هذه

(١) يافوك شارون، وادوينه مانتز: ميم تعلق المتكلم، ص ١٥٥.

(٢) قال جاكوب، ص ٢٨.

امرأة حديدية) فهم السامع أن المتكلم يريد أن يكسب هذه المرأة بعض صفات الحديد، كالصلابة، وقوة التحمل، وهذا ما يستلزمه القول؛ فيتحقق لدى السامع^(١).

وهذه الخصائص المختلفة كانت ولا تزال موضوع نقاشات حادة بين المختصين في علم الدلالة والتداولية اللسانية. فهي إشكالية بقدر ما يمكن أن تكون المستلزمات عرضة لمختلف أشكال "المنفورات"، وبقدر ما لا تتصرف كل أنماط المستلزمات بنفس الطريقة بالضبط. ذلك أن مجموعة المستلزمات واسعة تشمل أطيافاً فرعية كثيرة تتفصل بحسب:

- طبيعة المحتوى الاستلزامي: استلزمات وجودية (العبارات المعرفية المستلزمة لوجود مرجعها)، مستلزمات فعلية أو ضد فعلية (بطرس يعرف أن "ق" تستلزم صدق "ق"، بينما يتخول بطرس أن "ق" تستلزم على المكس كذب "ق")، مستلزمات تداولية (مرتبطة بشروط نجاح فعل اللغة، مثالي ذلك: "أخلق الباب" تستلزم أن هناك باباً وأنه مقترح زمن للتكلم بالقول)، ... إلخ.
- طبيعة الحامل الدلالي المسؤول عن المستلزم: دال معجمي (مثال لعمل التحويل: "توقف بطرس عن التدخين"، و"شرع بطرس في التدخين" يستلزمان على التوالي "بطرس كان يدخن في السابق"، و"بطرس لم يكن يدخن في السابق")؛ الروائفي والروائي (مازالي، ولكن، وحتى... إلخ)، بنية تركيبية (تحو الأمثلة المتفرعة: "إنما أذهب بطرس" يستلزم أن "مريضهم ذهب"، أو استهزاءات للمكون: "متى تنادر؟" تستلزم "مفادراً"، و"لماذا لم تعد تحبني؟" تستلزم "لم تعد تحبني"، وهي قضية تستلزم هي نفسها حسب آلية مشهود بصحتها جيداً وهي الاحتضان الاستلزامي "كنت تحبني من قبل"^(٢).

ثانياً: الإشارات (Deixis) :

(١) كافي حديداً، ص ٣٨-١٠٠ بطرسوف.

(٢) بطرسوف، شاروا، ودوبنيك، ملتن: مفهوم تحليل الخطاب ترجمة عبد القادر طهيري، ومهدي محمود، ص ١٥٥، ١٥٦.

مفهومها :

هي عنصر من عناصر للتداولية، يقصد بها كل ما يشير إلى ذات، أو موقع، أو زمن... وهي تتربط مع مفهوم المشير، إذ يتهم حافة من إشارية تحين مكان وطريقة الأشغال، والأشياء، والعمليات، والأحداث، والأنشطة... بالنسبة إلى السياق المكاني والزمني الذي نشأه وأقده عمل التلطف. ولواقع أن اللسانيين يتأرجحون بين ثلاثة تصورات للإشارية، كما بين ذلك ج. دنون بوفلو^(١) :

١. الإشارية من حيث كونها ترد لشواه العلم وأحداثه إلى الموقع الذي يحتله المتكلم في المكان، وفي الزمن، ولأنه يوفر إشارة لمرجع قد تكون بعد.
٢. الإشارية من حيث كونها نمط تركيب مرجعي لا يفصل بين الجهة وحدث المرجع.
٣. الإشارية من حيث كونها عامل للتأنيص (محو، تبهير) تمكن من إدخال شواهد جديدة في التلطف^(٢).

أراء التداوليين فيها :

تحدثت المصطلحات المحيرة عنها لدى العلماء، فقد قال "برنون" و"بول" نفلاً من "هاليداي": (هي الأدوات التي نستخدم في فهمنا لها لا على معناها الخاص، بل على إيمانها إلى شيء آخر)^(٣). على حين أشار "روبرت دي بوجراند" إلى أنها (الأنفاظ الثقافية)^(٤)، وقد أطلق عليها "الأزهر الزند" (العناصر الإحالية في اللغة) وهذا من قول المعوضات، وأشار إلى أنها تأتي تعريضاً عن وحدات معجمية (أسماء مفردة وما يضارعها من المركبات)، وهو يقصد المشار إليه أو المحيل إليه^(٥).

(١) بانيك شلوفو، ودينيك ماني: مفهوم تحليل التلطف، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٢) تحليل التلطف، ص ٢٢.

(٣) روبرت دي بوجراند: نفس والتلطف والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ط عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م، ص ٣٧.

(٤) الأزهر الزند: نسج قصص، بحث في ما يكون به الشكر نساء، د.ا، مركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م، ص ١١٤، ١١٥.

وهي كلمات وتعبيرات في حاجة إلى سياق يبرز مدلولها، ويبن تفسيرها، ومعرفة ما تحيل إليه ومن ثم فهي موضوعة للتواصل المباشر بين الناس لمعرفة موضوعها، وما يستلزم على الفهم منها .

وتقوم على دراسة عناصر إنتاج الخطاب اللغوي التي تحصرها في :

١- الأنا، ٢- الـهنا، ٣- الآن .

وتطلق على هذه العناصر الثلاثة الإشارات : (Deixis) .

الأنا: المتكلم الذي يصدر عنه الخطاب.

الـهنا: المكان الذي يُنتج فيه الخطاب.

الآن: الزمن الذي يُنتج فيه الخطاب، أو اللحظة التي تتم فيها عملية التواصل.

هذه العناصر هي التي تحدد عنصر القصد في الملفوظ، ويمكن القول بأن :

- الأنا هي جميع الضمائر (المتكلم والمخاطب).

- والـهنا هي جميع أسماء الإشارة المعروفة وظروف المكان.

- والآن هي ظروف الزمان التي يمكن أن تكون بمرزة أو مضمرمة كما في الملفوظ مثلا :

(أمر) : اكتب الدرس .

التي تعد بنية سطحية تتضمن الضمائر الموجودة فيما يسمى بالبنية الضمنية أو الصيغة : (أنا أقول لك أنت اكتب أنت الدرس الآن عا) .

ولكن كفاءة المتكلم تحتفظ بها، لأنها لا تسمح بالتكرار، كما لا تسمح إلا بإيجاز ما هو ضروري لقيام صلية التواصل .

إنّ هناك إشارات صريحة، وهناك إشارات ضمنية، والأكثر أن تكون الإشارات ضمنية. لكن الخطب اللغوي لا يتضمن دائماً هذه الإشارات في البناء السطحي، مبقياً عليها في البناء اللغوي للضماني الموجود عند جميع المتكلمين بشكل موحد، أي تبقى في المكون البلاغي الذي يتولى تفعيلها بشكل ضمني.

لا بد من وجود مغالط ومغاليب في الاتجاه التلقضي، ولكننا لا نعتقد في المستوى اللغوي إلا مستوى واحداً فقط، فالإتجاه التلقضي هو حضور عيني المتكلمين تتوفر فيه شروط اجتماعية وثقافية معينة، وفي مجموعة من الظروف والملايسات المتشابهة^(١).

وتختص الإشارات بهذه العناصر الثلاثة (الأنا، اللفظ، الآن) في الإتجاه التلقضي؛ لأنها تحيي أن الخطب الملقوظ بشكل وحدة غير قليلة للتجزئة، إذ يتم فيه البحث عن المرجع أي المكون الأساسي، الذي تبحث فيه التكنولوجيا، فإذا غلب واحد من هذه المكونات الخطابية غلب المرجع.

وهذا المرجع لا يمكن أن يكون لفظاً، بل هو مرتبط باللمحة التي يقع فيها الخطب؛ بلهنا نقول (الآن واللفظ) ولا نقول (هذا).

كما أن هذه الدراسة لا تهتم بالكفاءة اللغوية لأنها تعدّها تحصيل حاصل، ولكنها تهتم بالكفاءة التواصلية، وتضد هذه الكفاءة بالمكون البلاغي؛ لأنه لا نستطيع أن ننقل معنى جملة إلى معنى آخر دون هذه الكفاءة؛ فإذا فقد الإنسان المكون البلاغي سيصعب عليه إنتاج مقولات جديدة.

يجب ألا يكتم من مصطلح (الإشارات) أن اللغة لا تتضمن مكونات أخرى غيرها، ففي اللغة عناصر دلالة، ومدخل مجتمعية، وعناصر إنشائية، والمعروضات (الضمير، إلخ)، وكزمنة الأفعال، وأقنات الطون،... إلخ. إنه يتم تشبيح واضح لمفهوم الدلالة ومن ثم لمفهوم الحقيقة^(٢). وهذا لا يعني أن (الأنا

(١) د. محمد الحنّان، الأسس النظرية للإجماع (نظرية لغوية - لغويات)، ص ٩١.

(٢) لغويات بلاغية، لغويات من أرسن إلى جوهان، نشر صابر فحشاء، ص ١٢٢.

والهنا والآن) غير معجمة أو دالة، بل هي دالة ولها مرجع، إلا أنها تبقى معصرة في اللغوية واللغوية وتكون الكلفة التورية. نية إريكاه^(١).

لنواعها :

لختلف للمعاني في تصنيفها، فهناك من يقسم الإشارات إلى نوعين :

* عنصر إشاري معجمي، يشير إلى لفظ يدل على ذات أو معنى مجرد مثل: علم الشخص أو الزمان أو المكان أو الصفة... إلخ .

* عنصر إشاري نسي، يشير إلى مقطع كامل، جملة أو جمل متوالية، ويمكن أن على القضاء العلم للنص، والعنصر هنا لا يدل على مدلول لفظ معجمي، بل يدل على مجموعة من المعاني العامة، والأحداث المفهومة من جمل كثيرة، ويمثل ذلك ما ورد في الإشارة الموسمة، والأمثلة الواردة من القرآن الكريم في لفظ (ذلك)^(٢).

وهناك من يقسم الإشارات إلى عدة أنواع تشمل على : (الإشارات الشخصية، والإشارات الزمنية، والإشارات المكثفة، والإشارات الموصولة، والإشارات التخاطبية، والإشارات الاجتماعية، بالإضافة إلى إشارات الأعلام)، وسنبينها فيما يلي :

١- إشارات شخصية : والمقصود بها تلك الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده مثل "أنا"، أو المتكلم ومعه غيره مثل "نحن"، والضمائر الدالة على المطلوب مفرداً أو متبوعاً أو جمعاً، مذكراً أو مؤنثاً^(٣)، وهي إما وجودية وإما ملكية .

فالوجودية تنقسم إلى : ضمائر للمتكلم، أو للمخاطب، أو للثالث، والملكبة تنقسم إلى : ضمائر للمتكلم، والمخاطب، والثالث، وهذا نلاحظ أن الضمائر وجودية أو ملكبة تنقسم إلى ضمائر المتكلم، أو للمخاطب، أو للثالث،

(١) د. محمد الخليل، الأسس السريانية لنظرية الإلهام، ص ٩٧.

(٢) د. أحمد طه، الإلهام في نحو قصص، مجلة دار الفقه، ص ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨.

(٣) كافي حديث في البحث القوي للمفسر، ص ١٧، ١٨.

فالجوهرية للدالة على ذات مثل أنا، ولنت، ونحن، وهو، وهم، وهن...إلخ. وللملكبة مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابنا...إلخ.

وسواء كانت الضمائر وجودية أو ملكية، فإن الضمير الدالة أو المحيلة إلى متكلم أو مخاطب إنما تعدّ من قبيل الإحالة خارج النص؛ أي أنها تحيل إلى شيء خارج للنص، كالضمير أنا، أو نحن، فإنه يصدق على ذلك خارج النص، وكذلك عندما يخاطب الكاتب القارئ فيستخدم الضمير أنت أو أنتم، فإنه يحيل إلى مجموعة من الناس، هم أيضاً خارج النص^(١)، ومنه قوله تعالى: (وَمَا تَكُنْ مِنْكُمْ يَا مُوسَى فَإِنِ هِيَ خِصَايَ) (طه/ ١٧ / ١٨) ففي هذه الآية نلاحظ مطابقة للرجع للواقع، حيث تلك الإشارة محددة للرجع من خلال تحقيق العلاقة الوجودية بين العلامة "تلك"، وما تدل عليه "هي خِصَايَ"، وهي تحيل إلى المستفهم عنه^(٢).

ومن خلال إدراك أهمية للضمير الإشاري يمكن تفسير قول للقتل (في مكتبتي بالمنزل وضعت "سيبويه" في مكان واضح. إنه مفيد للباعثين). إن الضمير (في) لا يعود إلى "سيبويه"، إنما يعود إلى ما يقفم من كلمة "سيبويه"، وهو كتابه للشهير، إذ لا يُحتمل أن يكون "سيبويه" هو الموضوع في مكتبتي، وبغض النظر عن المعرفة بتلك لنا كذلك؛ ومن ثم فإن الإحالة إلى الأعلام بشكل مباشر، تفسر فهم الإحالة دائماً، بحيث يمكن الاستبدال^(٣).

٢- إشاريات زمنية: هي للكلمات التي تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان للتكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمنية في التكلم، وإذا لم يُعرف زمان التكلم أو مركز التكلم الزماني للنص الأمر على السامع أو القارئ^(٤)، ومن الظروف الزمنية: الآن، غداً، أمس، اليوم.

ومنها قوله تعالى: (الآن ضُخِّنَ الْحَقُّ) (يوسف ٥١) فكلمة "الآن" إشارة لزمان التكلم الذي وقع فيه الحوار بين الملك والقسوة اللاتي اختلفن

(١) د. أحمد عطية، الإحالة في شعر حسن، ٢٠٢٢، ص ٢٢٢.

(٢) حسين البليبي، شعر السجون في طرم الكتاب، فكتون، تحقيق أحمد سميد، ط ١، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٨، ص ٢٤.

(٣) الاستبدال هو إمكانية حذف الضمير وإدخال شيء بغيره مكانه. وإذا تمت عملية الاستبدال دلت على سيولة الإحالة. د. أحمد عطية، الإحالة في شعر حسن، ٢٠٢٢، ص ٢١٢.

(٤) قول جديدة في البحث القوي للشمس، ص ١٩.

بطهارة يوسف عليه السلام وتنزيهه من كل ما نسب إليه، وقد بقي زمن الحدث مغفلاً لزمن التكلم فُتسكَل بالمعنى على الاستقبال مثلاً وذلك لإفادة تحقق وقوعه كما في قوله تعالى: (إِنِّي أَمُرُّ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) (النحل/١)، ففي هذه الآية نلاحظ زمن التكلم قد جاء وقت بحثه النبي ﷺ، إلا أن الزمن للنحوي رغم كونه في صيغة الماضي إلا أنه دالٌّ على المستقبل، وهذا في علم النحوي، وهو المقصود من مراد الله تعالى في سياق الآية متمثلاً في يوم القيمة^(١).

٣- إشاريات مكفية : وهي عناصر إشارية تشير إلى مكان، يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان التكلم، أو مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتعدد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قريباً أو بحثاً أو جهلاً^(٢)، فإذا قال شخص "أحب أن أصعد هنا"، فهل هو يعني: في هذا المكتب، أو في هذه المؤسسة، أو في هذا المبنى، أو في هذا الجزء من المدينة، أو في هذه الدولة أو في غير هذا جميعاً. فكلمة "هنا" تعبير إشاري لا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد بالتكلم الإشارة إليه.

وأكثر الإشاريات المكفية وضوحاً هي كلمات الإشارة نحو "هنا وهناك" للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكفية وهو المتكلم، وكذلك "هنا وهناك" وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم، ومما ظروف المكان مثل "نحو وتحت"، و"أمام وخلف" ... إلخ، كلها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه^(٣). وتتفق أسماء الإشارة مع عناصر الغياب في وظائفها الإشارية، إذ إنها عادة ما تشير إلى مكان الحدث، وهي تختلف قريباً وبعيداً^(٤)، ومنه قوله تعالى: (تِلْكَ الْكُتُبُ لَا تَرْتَبُ إِلَيْهِ) (البقرة/ ٢) فإن قلت: لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد؟ قلت: وقعت الإشارة إلى الم بعد ما سبق للتكلم به وتضمني، والمقتضي في حكم المتباعد، وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول : وذلك ما لا شك فيه. ويحسب المفسر ثم يقول :

(١) حسن الخبي، دار المسون في علوم الكتاب المبين، ١٨٧/٢.

(٢) د. منصور نجاد، لأن جوداً في البحث القرآني، المفسر، ص ٢١.

(٣) السبل السبل، ص ٢٢.

(٤) د. أسد علي، الإحاطة في نهر الفس، ٥٢٢/١، ٥٢٤.

فذلك كذا وكذا؛ ولأنه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه ، وقع في حد البعد ، كما تقول لصاحبك وقد أصليته شيئاً: احتفظ بذلك. وقيل معناه: ذلك للكتاب الذي وحنوا به^(١).

٤- إشارات موصولة : وهي الإشارة بالاسم الموصول، وقد أضافها "روبرت دي بوجراند"^(٢)، كما أشر إليها "الأزهر الزناد"^(٣)، من حيث إنها من الأنماط الإشارية التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود إلى عنصر أو عنصرين آخرين من أجزاء أخرى من الخطاب، وهي أيضاً تقوم على مبدأ التماثل والتطابق فيما هو موجود، ويظهر ذلك جلياً في ذلك القسم المعروف باسم الموصول الخاص أو المختص مثل: الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي...إلخ، ومنه قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْتُونَ الرُّسُلَ الثَّيْبَ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجُودُونَ مِثْلَهُنَّ جُدُودًا فِي الثُّورَةِ وَالْإِنجِيلِ) (الأعراف/ ١٥٧)، فالاسم الموصول (الذي) قد قرئ بمعنى: وذلك بإحاطته السابقة إلى (الرسول الثيب)؛ ليكون المراد وصف الرسول بأنه مكتوب في التوراة^(٤). كما أحيل إليه بالتصوير المعاند في (يجودونه)؛ وبذلك يكون للموصول إحاطتان قبلية وبحدية.

وتشارك الأسماء الموصولة بقية الإشارات الإحاطية في صفة التعويض، فهي ألفاظ كناية لا تحمل دلالة خاصة، وكأفها جاءت تعريضاً عما تشير إليه، وهي أيضاً تقوم بالربط الاتصالي من خلال ذاتها، ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطاً مفهوماً بين ما قبل "الذي" وما بعده، حيث يشير للتحريرون إلى أن تلك الصلة ينبغي أن تكون معلومة للمتلقى (السامع) قبل ذكر اسم الموصول، كما لو قلنا :

جاء الذي كان معنا بالأمس .

(١) فرسشاري، فكتاب، من حقائق غرائب القرآن، وحيون "أناول" في وجه، فكتاب، دار كتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ٢٢/١.

(٢) مقايمة مترجم فكتاب النفس والمطلب والإجراء، ص٣٢.

(٣) نسخ النفس، ص١١٨.

(٤) ر. عامر صان، البيان في رواج القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢١ - ٣٢.

فإنه ينبغي أن يكون المتلقي حسب اعتقاد المتكلم- على علم بمن كان مع المتكلم بالأسر^(١).

٥- إشارات خطابية : قد تنقسم إشارات الخطاب بالإحالة الشخصية، ولذلك استعملها بعض الباحثين من الإشارات. ولكن منهم من ميز بين النوعين، فرأى أن الإحالة يتمد فيها المرجع بين منسب الإحالة وما يشير إليه مثل "زيد كريم وهو ابن كرم أيضاً"، فللمرجع الذي يعود إليه زيد وهو واحد، أما إشارات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع، بل تخلق للمرجع. فإذا كانت تروي قصة ثم ذكرته بقصة أخرى فقد تشير إليها، لم تتوقف قللاً: "لكن تلك قصة أخرى"، فالإشارة هنا إلى مرجع جديد. على أن هذا التمييز بين إشارات النص والإحالة إلى عنصر فيه ليس حاسماً، ذلك بأن الإحالة في قصصنا ضرب من إشارات النص، لو هي أساس فيها.

وقد يبدو طبعاً أن تتحتم إشارات الزمان، وإشارات المكان، كما تستعمل إشارات للخطاب فكما يقال: الأسبوع الماضي يمكن أن يقال: للفضل الماضي من الكتاب، أو الراي السابق، وقد يقال: هذا النص للإشارة إلى نص قريب، أو تلك القصة إشارة إلى قصة بعد بها القول.

لكن هناك إشارات للخطاب تعد من خواص الخطاب، وتتمثل في العبارات التي تُذكر في النص مشيرة إلى مواقف خاص بالمتكلم، فقد يشير في ترجيح رأي على رأي أو الوصول إلى مطلع اليقين في مناقشة أمر، فيقول: "ومهما يكن من أمر"، وقد يحتاج أن يستدرك على كلام سابق أو يضرب حته فيستخدم لكن أو بل، وقد يعن له أن يضيف إلى ما قال شيئاً آخر، فيقول: "بفضل من ذلك"، وقد يعمد إلى تضخيف رأي فيذكره بصيغة التمنيض قبل، وقد يريد أن يربط أمراً على آخر فيقول من ثم ... إلخ، وهذه كلها إشارات خطابية خالصة^(٢).

٦- إشارات اجتماعية : وهي ألفاظ وتركيب تشير إلى العلاقات الاجتماعية بين المتكلمين والمُتلقيين، من حيث هي علاقة رسمية، أو علاقة لينة

(١) د. أحمد طه، الإحالة في شعر النص، ١٣٥٧.

(٢) د. محمد توفيق، مقال جليل في البحث القوي المتكسر، ص ٦٥، ٦٦.

ومودة^(١) ويمثلها الضمير "لتم" في اللغة العربية للمفرد المضاف، و"نحن" للمفرد المعظم لنفسه. وهي تشمل أيضاً الانقلاب مثل فخامة الرئيس، الأسم الأكر، جلالة الملك، سمو الأمير، فضيلة الشيخ، كما تشمل أيضاً السيد، والسيدة، والأنسة. ويختل فيه أيضاً: حضرتك، وسيفتك، وسعادتك، وجنتك، وقد يقتصر استعمال بعضها على الرجال مثل معالي الباشا، وقد يقتصر بعضها على النساء مثل الهلم. ومن ذلك في اللغة العربية استعمال حامل، وحُبلى، وكثيف، ومرحاض، وفورة ميلة، وحمام، وتولليت، ومنها استخدام حقيقته، وقرينته، وحرمة، وزوجته، وامراته^(٢).

وظاهر أن الإشارات الاجتماعية من المجالات المشتركة بين اللغادوية وعلم اللغة الاجتماعي^(٣).

٧- إشارات أعلام : تحت الإحالة، منذ "فريجة" Fregh ، للمشكل المركزي في اللغة، أهني بالإحالة (...) العلاقة بين عبارات مثل الأوصاف وتلك الأسماء بالإحالة إليه، من جهة أخرى.

إذا كان "سيرل" يذكر اسم العلم، فلأنه مثل موضوع اهتمام مخصوص لدى اللغادوليين الذين رأوا فيه غير ممثل لمشكلة الأسماء (nomination)، ويقصد "بالأسماء" «تمثيل المرجع بواسطة العلامة». وإن تقول بأن الاسم يمثل الشيء هو قول «هو بمثابة مغالطة»، ذلك أن مفهوم «التمثيل» مفهوم هش. وهل تقوم الأسماء الأعلام بالإحالة بالطريقة ذاتها التي تقوم العبارات المرجوعة بالإحالة بها؟ يصوغ "سيرل" المشكل بطريقة مثيرة شوقاً ما، مستقلاً عما إذا كانت الأسماء الأعلام ذات معنى.

لما تشد الإجابات كلامية على ذلك المشكل، فتلك التي أتى بها ج. س. ميل (J.S.Mill) للمنطقي البريطاني، إذ بين في كتابه "نظام المنطق" (لندن ١٩٤٩) أن الأسماء الأعلام ليس لها معنى فهي تصرح ولا تكل دلالة حاقة، أي أنها تحيل إلى الموضوع دون أن تقول عنه شيئاً، ودون أن تصف أي مظهر من مظاهره، مثلاً كان "فويتغنشتاين" (Wittgenstein) يؤكد

(١) د. محمود نطاش، مقال جديفة في البحث اللغوي المتقدم، ص ٢٤.

(٢) د. أحمد مختار عمر، علم اللغاة، ط٤، علم الكتاب، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٢٢١.

(٣) د. محمود نطاش، مقال جديفة في البحث اللغوي المتقدم، ص ٢٦.

ذلك. وعندما تستعمل أسماء الأعلام في الإسناد، فإنها تصبح أسماء جنس، ويمكنها بذلك أن تدل على خصيصة، كما في قولك "إنه عنتره" وبشكل من الأشكال، فإننا نقع هنا في النظرية التقليدية التي تمثل فيها العلامة المرجع مباشرة^(١).

تبقى ثمة مشكلة تتمثل في إمكانية استعمال قضية مرجعية، أو اسم علم "خارج استعمالها العادي" قيمة لأخرى غير القيمة للمرجعية الخاصة. ويقارب "سيرل" المثاليين التاليين :

- ١- كان سقراط فيلسوفاً .
- ٢- "سقراط" خمسة حروف .

ففي المثال الثاني، لا نحيل إلى الشيء الذي يمثل "سقراط"، بل نحيل إلى الكتلة التي تمثل الشيء. ويتعلق الأمر بقدرة أساسية للسان تسمى "الطلع الانعكاسي" تسمح باستعمال للسان للحديث عن اللسان. إنه "ما وراء اللغة"^(٢). وهنا لم يعد للمرجع خارجاً عن عالم العلامات. ولقد اهتمنا بتقليدياً، باختلاف استعمال "سقراط" في المثالين (١، ٢)، وذلك بالتمييز بين الاستعمال (الإحالة إلى الشيء) وبين الذكر (الإحالة إلى الكلمة، أو ما يسمى "الدلالة الذاتية")^(٣).

خصائصها :

هذه الألفاظ الإشارية التي تستعمل للإحالة، لها سمات يمكن حصرها فيما يلي :

- ١- إنها خالية من الدلالة، فلا تحتوي على شيء بذاتها، وإنما بما تشير إليه من صفة، أو ذات، أو شيء مفرد أو أشياء متعددة، ومتوحدية وعلى هذا فهي مفردة من الدلالة، أو لأنها غير ذات معنى، ما لم يتحين ما تشير إليه، فهي لشكل فارغة في المصمم الذي يمثل المقام للصر، وهي تقوم بوظيفة

(١) فلوب والتشبه التناوبية من أوسون إلى جوليان، ت. صابر الصحابة، ص: ١٢٥، ١٢٧.

(٢) فلوب، تشبه، ص: ١٢٩، ١٣٠.

(٣) نمر، قولك "قيد كلمة تكون من كلمة أخرى"، فريدة في هذا المثال ذات دلالة نظرية.

تحيض الأسماء وتتخذ محطى ما تشير إليه^(١)، وهي ضرورية أحياناً في صنع ذلك الاتساق للمعنى.

٢- يتسع مادها عند التطبيق، فثارة يشير اللفظ الإشاري إلى شئ سابق، وأخرى تشير إلى شئ لاحق، وثارة يشير إلى ما هو قريب، وأخرى يشير إلى ما هو بعيد، وثارة يشير إلى معنى، وأخرى يشير إلى ذات، وثارة يشير إلى جملة، وأخرى يشير إلى مجموعة من الجمل...إلخ.

٣- اللفظ الإشاري لكسر علقاً، مما يدل عليه أو مما يشير إليه من الألفاظ للمتلل يلاحظ كسر الألفاظ الإشارية بشكل واضح عما يشير إليه من الألفاظ في الإحالة^(٢).

وتتفق فكرة الاختصار مع قانون "زيف"، الذي أشار إليه "روبرت دي بوجراند"^(٣) حيث يقول القانون: "كلما كثر استعمال الكلمة تعرضت لأن تكون لو أن تصبح لكسر" وهذا ليس بعيد عن العربية، فالعربية سبقت هذا القانون، لأن الاختصار مذهب مهم من مذاهب العربية، ولهذا قال "السويطي"^(٤): "إن الاختصار هو جُلّ مقصود العرب، وعليه مبني أكثر كلامهم"، وقد تحدث عن الضمائر للثلاث: "هي لأخصر من التلواهر حيث وقع عنصر لغوي محل عنصر لغوي آخر، بحيث يتضمن الأول معنى لثاني، مع اختلافه عنه في قلة عدد حروفه"^(٥).

٤- لابد من إخضاع هذه الألفاظ لمجموعة من الشروط عند استعمالها، حتى لا تتحول دلالاتها إلى إشكالية لا فائدة من ورفها غير المفوض، فعندما تتعدد المرجعيات التي يمكن أن يشار إليها بلفظ واحد فإن ذلك يمثل إشكالية ومن ثم فلابد من التوضيح.

٥- لابد من التأكيد هنا على كثافة الألفاظ الإشارية، حيث يشير "روبرت دي بوجراند" إلى أن تلك الكثافة تظهر حين تستعمل تلك الألفاظ للدلالة على

(١) مسح قصص، ص ١١٦.

(٢) ر. أسد عطية، الإمالة في شعر قصص، ص ٥٢١/٢، ص ٥٣٧.

(٣) قصص والمطلب والإجراء، ص ٣٠.

(٤) الألفية والقطار، ج ١، دار الفنون، دمشق، ١٣٥٩ هـ، ص ٢٨٣.

(٥) ر. أسد عطية، فاعلة التحليل، في قصص العرب، دار الفنون، القاهرة، ١٩٩٦ م، ص ٣٥١.

قطع طويلة من الخطاب الذي ينشط مسلمات كبيرة من المعلومات، وقد مثل لذلك د. تمام حسان بقوله تعالى: (هَذَا وَإِنَّ لِلطَّافِينَ نُشْرًا مَبْنِيًّا) (ص/ ٥٥) حيث إن الإشارة في "هذا" تشير إلى ما سبق وتستوعب جزءاً كبيراً من الخطاب^(١).

٦- يمكن أن يعطي اللفظ الإشاري معنى جديداً ليس في النص، فالمتكلم بإمكانه صياغة نصه بشكل يمكن أن يقدم فيه معلومات جديدة تلهم من طريقة الإشاري، وفي هذه الحالة يكون المتلقي مضطراً لإضافة هذه المعلومات الجديدة إلى ذهنه لتسوية الدلالة بين اللفظ المشرى والمشار إليه^(٢).

ثانياً: الافتراض السابق (presupposition) :

مفهومة :

هو أحد عناصر التداولية، حيث يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له، وقد لوحظ أن الافتراض السابق قد يكون مرتبطاً ببعض العبارات النغمية دون بعض. فليلاً قال رجل لآخر: أهلك النمل، فافترض سلفاً أن النملة مقبولة، وأن هناك مبرراً يدعو إلى إهلاكها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وأن المتكلم في منزلة الأمر، وكل ذلك موصول بسوق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب؛ من أجل ذلك كانت دراسة الافتراض السابق مثار اهتمام الباحثين منذ لوفاث للمقد السابع من القرن العشرين؛ لما سببه من مشكلات حقيقية لكل النظريات التحويلية، فضلاً عن أنها شغلت جانباً أساسياً من اهتمام علماء الدلالة، ثم برزت إلى موقع الصدارة من اهتمام الباحثين في لوفاث للمقد الثامن، حين أصبحت للوجهة التداولية في دراسة للمعنى بديلاً لا غنى عنه للوجهة الدلالية في هذا الجانب^(٣).

أشواحه :

(١) ملحة كتاب النص والخطاب والإجراء، ص ٢٢.

(٢) د. أحمد عطية، الإحالة في شعر قصص، ص ٥٣٨، ٥٣٧.

(٣) د. محمود أنط، مقال جديد في البحث القرآني المنهجي، ص ٢٦، ٢٧.

يميز القنوايون بين الاستعمال العلم للفظ الافتراض السابق في لغة الحياة اليومية، والاستعمال الاصطلاحي في تدريس القنواولي الذي هو أضيق مدى من الاستعمال العام. فمن الاستعمال العام أن يقال : (كتب زيد رسالة إلى عمرو) يفترض السامع سلفاً أن صرّاً بقرأ، وكذلك إذا قيل : (إما أن يكفأ زيد وإما أن تكفأ زوجته) يفترض السامع سلفاً أن لزيد زوجة، ولما الاستعمال الاصطلاحي فهو مقيد باستدلالات قنواولية بعضها، فتمثلها تعبيرات لغوية معينة، ويمكن الوصول إليه ببعض الاختبارات القنواولية^(١).

كما يميز بعض الباحثين منذ وقت مبكر من العقد السابع من القرن العشرين بين نوعين من الافتراض السابق: المنطقي أو الدلالي، والقنواولي، فالأول مشروط بالصدق بين قضيتين، فإذا كانت (أ) صادقة كان من اللازم أن تكون (ب) صادقة، فإذا قلنا مثلاً: (إن المرأة التي تزوجها زيد كانت أرملة)، وكان هذا القول صادقاً أي مطابقاً للواقع، لزم أن يكون القول: (زيد تزوج أرملة) صادقاً أيضاً، إذ إنه مقترض سلفاً، ولما الافتراض القنواولي السابق فلا دخل له بالصدق والكذب، فالفرضية الأساسية يمكن أن تكفي دون أن يؤثر ذلك في الافتراض السابق، فإذا قلت مثلاً (سوارتي جديدة) ثم قلت (سوارتي ليست جديدة) فعلى الرغم من التناقض في القولين فإن الافتراض السابق وهو أن لك سواراً لا يزال قائماً في الحالين^(٢).

الفرق بين الافتراض السابق والاقتضاء :

وقد ميّز بعض الباحثين أيضاً بين الافتراض الدلالي السابق والاقتضاء. علاقة بين جملتين أو قضيتين يقتضي صدق الأولى منهما صدق الثانية، فإذا كانت الجملة: "أرى حصاناً" صادقة، لزم أن تكون الجملة : "أرى حيواناً" صادقة أيضاً، فالت لا تستطيع أن تقبل الأولى وترفض الثانية، وقد أصبح الاقتضاء في الدراسة الدلالية المتأخرة مقابلاً للافتراض الدلالي السابق على أساس من أن كذب إحدى الجملتين يؤدي إلى نتيجة مختلفة، فإذا كان قوله "أرى حصاناً" كاذباً فإن مفهوم الاقتضاء يوجب أن يكون قوله "أرى حيواناً" إما صادقاً وإما كاذباً، لكن مفهوم الافتراض الدلالي السابق يقتضي أنه إذا كانت

(١) د. مسعود لطيف، مقال جديدة في البحث القنواولي، سلسلة من ٢٦، ٢٨.

(٢) سابق، من ٢٨، ٢٩.

للمجمل الأولى كتابة فإن الثانية يجب أن تكون صائفة فتكون مثلاً: "توقف زيد عن ضرب عمرو" يفترض سلفاً أن زيداً كان يضرب عمرواً، ونظل هذه الجملة صائفة إن كُتبت الأولى. ويظهر أن الالتباس بين المجهولين لا يكون إلا في الجمل الخبرية المثبتة، فالافتضاء مقيد بها، في حين أن الافتراض السابق لا يتقيد بذلك، فضلاً عن أنه قد يكون إنشاءً لمرء، أو استهزاءً، أو تمجيداً، أو غير ذلك^(١).

الفرق بين الافتراض السابق والقول المضمر وتلخيص في :

١ يكون الافتراض يكون أنشأ سابقاً على القول. أما القول المضمر فيستلزم من الفعل الكلامي، ويكون مقترعاً منه^(٢) ومثال ذلك قول القائل : "إن السماء تمطر".

إن السامع لهذا الملقوط قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى :

- المكوث في بيته .

- أو الإسراع إلى صله حتى لا يفوته المرحد .

- أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر .

- أو عدم نسيان مظهره عند الخروج .

ولقائمة التلميحات مقترحة مع تعدد السياقات والطبقات اللغوية التي ينجز ضمنها الخطاب.

والفرق بينه وبين الافتراض السابق، أن الأول ولده السياق الكلامي، والثاني ولده ملامحت الخطاب

خصائص الافتراض السابق :

(١) د. محمود توفيق، مقال جديد في البحث القرآني المبسوط، ص ٢٩، ٣٠.
(٢) د. محمود سحروري، التعليل عند القدماء العرب، ص ٢٢.

وقد لاحظ بعض الباحثين أن الافتراض السابق قد يرتبط باللفظ وترتيب
كلماته، ولقد اتفقوا على أن هذا الأمر لم يزل ما يستحقه من عناية الدارسين، فلم
يظهر بعد دراسة شاملة، ومما أوردوه من ذلك مما له نظير في العربية الأزواج
الآتية من الجمل التي يكون الافتراض السابق فيها مرتبطاً ببعض العناصر
اللفظية دون بعض، ولتتأمل الأمثلة الآتية :

(١) أ - زيد أغتيل سنة ١٨٦٨.

بـ زيد قُتل سنة ١٨٦٨.

فاستعمال الفعل أغتيل في الجملة (أ) يتضمن افتراضاً سابقاً بأن زيداً كان
شخصية مسلحة بارزة، لكن هذا الافتراض غير متحقق في الفعل قُتل في الجملة
(ب).

(٢) أ - هل توقفت عن التدرب على المصارعة؟

بـ هل حاولت أن تتدرب على المصارعة؟

فاستعمال الفعل (توقفت عن) في الجملة (أ) يتضمن افتراضاً سابقاً بأن
المخاطب كان يتدرب على المصارعة، وهو غير متحقق في الفعل حاول في
الجملة (ب).

(٣) أ - لم يتمكن أحد من حمل الصخرة حتى زيد.

بـ لم يتمكن عمرو ولا زيد من حمل الصخرة .

ففي الأولى يتضمن استعمال الحرف (حتى) افتراضاً مسبقاً بأن زيداً
أقوى من غيره ممن حاولوا حمل الصخرة وأشد، أو أنه متميز عنهم بقوته .
على رافع الانتقال، وهذا غير متحقق في استعمال الحرف المألوف (الولو)،
ورغم ذلك إلا أن زيداً في الجملتين لم يتمكن من حمل الصخرة^(١).

(١)١، محمود لطف، مقال جديدة في البحث القوي للمصنف، ص ٢٠، ٢١.

العوامل المؤثرة في الافتراض السابق :

• المعلومات المخترنة في ذهن كل من المتكلم والسامع : وتخص هذه الافتراضات السابقة معلومات عن خلفيتهم، وخصائص الموقف، وسير المحادثة عند تلك اللحظة والمنظورات والآراء المسبقة المشتركة وما إلى ذلك. والنتيجة هي عبارة يعتمد تفسيرها على المصادر الثنائية في اللغة والافتراضات السابقة. ويركز نهج "جوسان" في دراسة التفاهم التواصلية على مجال من المصادر التصورية التي تم تجاهلها في المحاولات السابقة للتفسير التواصل، وكونه مسألة معرفة باللغة المشتركة واستعمال تلك اللغة^(١)، ومن ثم حرص التناولون على ضرورة الاهتمام بسباق التلطف بما فيه من افتراضات منطقية وأخرى تداولية، كما يتضح من المثال التالي :

أ- نقل محمد سكنه إلى القرية.

بهـ ما زال محمد حيًّا.

قد لا يمكن التلطف بالجملة الأولى، ولا تكون مقبولة، إلا بالافتراض التداولي المعبر عنه في الجملة الثانية^(٢).

• الإطار المتصل بالافتراض السابق : ويرتبط بالافتراض السابق مصدر تواصلية آخر -وهو الإطار- الذي يرله "جوسان" بالدرجة نفسها من الأهمية في تفسير كيف يتمكن المتحدثون من فهم بعضهم بعضًا، على الرغم من الخصائص الفلسفية التي تبدو ظاهرة على عباراتهم والإطار مخطط تصوري يحدد هوية المتكلم وسماعه في حديث معين، من حيث كونه مثالاً على النوع المحدد من الحدث (التواصلية). والإطار هو الذي يفسر إدراكهم المتبادل لأن ما يجري في لحظة معينة في المحادثة هو سلاً. إلقاء نظرة أو تقديم شكوى أو إرشادات إلى مكان ما، أو سرد قصة أو تقديم اقتراح، أو تفسير ما حدث، أو المناقشة بالمزاح، وغيرها. فبذا تفق المتكلم والسامع على الإطار للتصوري لمحادثة

(١) د. محمود نظام مقال جديدة في البحث القرآني في المصدر، ص ٦١٥.

(٢) د. عبد القوي بن طاهر القوي، استراتيجيات الخطاب، ص ١٧، ١٨.

جارية، عندئذ سيحدد على وفق ذلك مدى المعنى المحتملة التي يعزونها إلى عبارة معينة، وبذلك تزداد فرصة أنهم سيفهمون العبارة بالطريقة نفسها^(١)، بيد أن هذا لا يعد كافيًا؛ إذ إن بعض الجمل تكون منسوبة في سياق ما، في حين لا تكون كذلك في سياق آخر، مثل :

أ- من يريد يرتقلا؟

ب- من يريد شيئًا من البرتقال؟

إذ لا يتلفظ المرسل بضمليهما، إلا عند اكتفاء يقينه بالرغبة في البرتقال، من مديها، ولعله يضمن أنه غير مرغوب فيه مطلقًا. أما في الخطاب الثاني فهو يفترض ردا بالإيجاب، لوجود الرغبة .

٣. تذكر "الكون" أن الجمل هي التي تمكن توجه المرسل نحو سياق الاجتماع في الحالات المعقدة تلك، ويقتضد الافتراضات نحو :

١- الناس الذين يتواصل معهم، من حيث شعورهم نحوه، ورتبتهم الاجتماعية مقارنة برتبته.

٢- حوافه الحقيقي في المحيط الذي يتواصل فيه، من حيث مدى أهمية المعلومات التي يريد تبليغها، وهل يريد تبليغها؟ ودرجة رسمية مواقف التلطف.

٣- قراراته المبنية على الافتراضين (أب)، حسب الأهداف التي يريد تحقيقها من خلال فعله للتواصل: هل يريد تعزيز الفروق الترتيبية بينه وبين المرسل إليه؟ أم يريد معوها؟ أم إن كل ذلك لا يهمه مطلقًا. وهل يريد أن يخفي على المرسل إليه شيئًا من الأهمية، أو أن يطلع له، أو أن يسمه بالطرف؟ أو هل يريد تخيير المعلم الحقيقي؟ أم لا؟ وغير ذلك من الأسئلة^(٢).

أهميته :

(١) اعلم فكر قلوي، ص ٢٤٦.

(٢) د. عبد الهادي بن هاجر الشوري، استراتيجيات الخطاب ص ٩٨.

يبين "جوفسان" أن للمتكلمين يدركون (في القاري) أن سماعهم يعتمدون على الاعتراضات السابقة في محاولتهم فهم ما يقال لهم، ويصدق أن للمتكلمين بدورهم يدركون أن من مسؤوليتهم - تلك المسؤولية التي أطلق عليها "جوفسان" مصطلح (شرط السابقة) - تقديم مساهماتهم في المحادثة للدائرة بطريقة تمكن سماعهم من فهم المعنى المقصود، بالاعتماد على الاعتراضات السابقة المتوافرة لديهم. (ومهما يكن من أمر فيجب توجيه نشاطنا إلى عقل الآخر أي إلى مقدرة الآخر على قراءة كلماتنا وفهمنا! لتكون دليلاً على مشاعرنا وأفكارنا وقصدنا. وهذا يقيد ما نقول ونفعل، بيد أنه يسمح لنا أيضاً أن نجعل الآخر يقبل بفهمنا الذي يقتبس منه ما شاء من الفهميات^(١)).

رابعاً : الحجاج Argumentation .

مفهومه :

لغة^(٢) : تذكر المعجمات العربية أن "حج" تأتي ليعان: أولها معنى "القصود" ويظهر من قولنا: "حج البيت الحرام" أي قصد بأصابع مفسوسة، وثقوبها معنى "الاستدلال"، كما في قولنا: "حلجه فلان، فحجه" أي "خلبه بالحجة"، وثالثها "الحجة" أي "الطريقة الواضحة"، ومنه "الحجة" أي "البرهان"^(٣).

اصطلاحاً : للحجاج هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإقناعه دعوى مفسوسة بحق له الاعتراض عليها^(٤) ومن ثم فالحجة عنصر دلالي، متضمن في القول، يقتضيه للمتكلم على أنه يقدم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر، والذي يُصيرها حجة، أو يمتحها طبعيتها الحجاجية هو السياق، فما يمكن أن يكون حجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر، حتى لو تعلق الأمر بالمحتوى التقنوي نفسه، أو بالحدث نفسه المحر عنه داخل القول .

وقد تتحقق الحجة على شكل لفظة، أو قول، أو خطاب بكلمته. ولتتمثل
بالمثال التالي :

(١) أعظم الفكر القاري، ص ٦٤٩.
(٢) أبو الهيثم القاري، الفقهية تطبق حلال درويش، ومسد القسري، ٢٥، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٤، ص ١٠٦، ١٠٧.
(٣) همان والديون أو فتاوى القاري، ص ٢٦١، قيد القاري في الخطب، القاري، ص ٣٦.

- لقد وجدنا الآلة التي نُثبت بها الضحية عند زيد.

لهذا القول يتضمن حجة، ووجود الآلة عند زيد، حجة على أنه هو القاتل، ويكفي أن يتلفظ المتكلم بهذه العبارة التي هي في الوقت ذاته حجة لغوية؛ ليكون بذلك قد حدد وجهة الخطاب، وحدد المسار الذي ينبغي أن يسير الحوار فيه، بل ومسار البحث الذي يقوم به رجال الشرطة. وإذا سلم للمخاطب أو المستمع بهذه الحجة، فهو ملزم بقبول النتيجة التي يمكن أن تُستنتج منها، ومعلوم أن النتائج للممكنة أو المحتملة تتعدد بتعدد السواقات التي ترد فيها الحجة المقصودة^(١).

ويُستنتج مما سبق أن الحاجاج بمعنى الاصطلاحي، يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب، والمندرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية، والغالبية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية أو قابلة للتفليس بالدرجات، أي أن تكون واسلة بين سائلم.

ويرتبط الحاجاج بمفاهيم أساسية نحو السلم الحجاجي والتوجيه الحجاجي، فهما يختصان إذن بالعلاقة الحجاجية، سواء أخذت هذه العلاقة لسانياً أم لدرجتها تداولياً .. مثال :

- للشاه تقرّباً جاهز .

هذه الجملة تعني أن الشاه ليس جاهزاً عند التلطف بها، فلو كان جاهزاً لما أحتيج إلى المُعذّل (تقرّباً)، ولكانت الدعوة إلى الأكل أولى من الإخبار عن الجاهزية إذ المقام مقام ضيافة .. فإذا سمينا جاهزية الشاه (ق) وسمينا هم جاهزيته (لاق)، فإن الجملة المذكورة تدل على (لاق) ولكن ننظر في المثال التالي:

- تقرّباً أنهيبتُ قراءة الكتاب .

إن سامع هذه الجملة لا يهتم بأن (تقرّباً) تؤدي معنى (لاق)، أي (عدم إنهاء قراءة الكتاب)، بل يهتم بأن مسألة الإنهاء في حكم المحسومة، وإن لم تتحول إلى واقع. وهذا ما أشرنا إليه بالقول إن جملة لها شكل: تقرّباً ق، لا

(١) - انظر بكر عزاري، فنية والحجاج، ص ١٢٧، ١٢٨.

تستدعي موضعاً يمكن أن تستعمله جملة لها شكل لاحق؛ وذلك لأن العرف الجاري في المحادثات يركز على تفويت في القيمة المنطقية للقول لصالح قيمة تداولية تواصلية^(٢).

الفرق بين الحجاج والبرهنة أو الاستدلال :

• ولأخذ فكرة واضحة عن مفهوم "الحجاج" Argumentation يندى بمقارنته بمفهوم البرهنة Demonstration أو الاستدلال المنطقي. فالخطاب الطردي ليس خطاباً برهانياً بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهن واحدة منطقية، ولا يقوم على مبدأ الاستنتاج المنطقي. فلفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على منطق إثبات ما، أو إظهار الطبع الصحيح Validé لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية. ويمكن للتشكيل لكل من البرهنة والحجاج بالمتكلمين التاليين :

- كل اللغويين علماء .

زيد لغوي إذن زيد عالم .

- انخفضت درجة الحرارة .

إذن سيزال المطر.

يتعلق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو بقول منطقي، أما في المثال الثاني، فإنه لا يحلو أن يكون حجاجاً أو استدلالاً طردياً غير برهني .

واستنتاج أن زيدا عالم، في المثال الأول حتمي وضروري، لأسباب منطقية، أما استنتاج احتمال نزول المطر في المثال الآخر فهو يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى للخطر الأول من الجملة، وهو استنتاج احتمالي^(٣).

(١) - صابر الحجاج، التداولية والحجاج (مداخل ونسوس)، ص ٢١، ٢٢.

(٢) - أبو بكر القزوي، اللغة والحجاج، ص ١٤، ١٥.

• إن الأقوال التي يتكون منها استدلال ما مستقلة بعضها عن بعض ، بحيث إن كل قول منها يعبر عن قضية ما، أي نصف حالة ما، أو وضعا ما من أوضاع العالم، باعتباره وضعا ونظما أو متخيلا، ولهذا فإن تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسسا على الأقوال نفسها، ولكنه مؤسس على القضايا المتضمنة فيها، أي على ما نقوله بشأن العالم^(١)، لما للحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال النظرية، وعلى تسلسلها، واشتغالها داخل للخطاب، ونوضح هذا بالمثال الآتي :

ـ أنا متعب ، إذن أنا بحاجة إلى الراحة .

إذا نظرنا في الجملة السابقة نجد أنها تتكون من حجة ونتيجة، والحجة يتم تقديمها للزدي إلى نتيجة معينة. فلتعب يستدعي الراحة، فالتعب دليل وحجة على أن الشخص المعني بالأمر بحاجة إلى أن يرتاح .

إن الحجة عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول، أو فقرة، أو نص، أو قد تكون مشهدا طبيعيا، أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك. والحجة تكون ظاهرة كما تكون مضرة بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة إلى النتيجة والربط الحجاجي الذي يربط بينهما، ويمكن أن نبين ذلك بهذه الأمثلة :

ـ أنا متعب إذن أنا بحاجة إلى الراحة .

تم للتصريح بالحجة والربط والنتيجة في هذا المقطوع .

ـ أنا متعب ، أنا بحاجة إلى الراحة .

أضرب الربط في هذا المثال .

ـ أنا متعب .

(١) د. أبو بكر الجزائري: اللغة والحجاج، ص ١٧، د. صابر السليمان: القولية والحجاج (مدخل ونصوص)، ص ٢٧، ٢٨.

لم يصرح هنا إلا بالحجة وُضِعَت للنتيجة التي يتم استنتاجها من الميق .

أنا بحاجة إلى الراحة .

ذكرت النتيجة وُضِعَت الحجة .

يبقى أن نشير إلى أن العلاقة التي تربط بين الحجة والنتيجة هي التي تُدعى
"العلاقة المجابية"، وهي تختلف بشكل جذري عن علاقة الاستلزام أو
الاستنتاج للمنطقي^(١).

تاريخ العجاج :

(١) عند المحدثين :

كان ميدان العجاج يعتمد أسساً قبل "ديكرو" على البلاغة الكلاسيكية
لـ"أرسطو"، أو البلاغة الحديثة لـ"بيرلمان"، أو يعتمد على المنطق الطبيعي
لـ"جرايس"، أما نظرية العجاج في اللغة فقد وضع أسسها اللغوي الفرنسي
ديكرو " منذ سنة ١٩٧٢م، وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإكساب
اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما،
تمكنه من تحقيق بعض الأهداف العجالية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة
التي مؤداها: أننا نتكلم عامة بقصد للتأثير^(٢).

كما خصص "ديكرو" تحليلاً تداولياً "العجاج" بما أن المقاربة للتداولية
تركز على استراتيجيات العمل. لقد اشتمل تحديثاً على ظواهر مرتبطة مباشرة
بالمفرد العجالي. يبين "ديكرو" أن بنية المفرد اللسانية الداخلية، وأن
استعمال الروابط الإنشائية والموجهات تحديثاً، كل ذلك يملح لظواهر مخصصة
لطائفة المفرد الأخرى. من ذلك مثلاً "م... و"بعض" في المفردتين: "هذه
لم يقرأ كل كتب الجملنة" و"قرأ صرو بعض كتب الجملنة". فالمفردتان
يظهران بلس متطابق (الزيد وصر) كلاهما قرأ بعض كتب الجملنة ولم يقرأها

(١) د. أبو بكر الزواوي، اللغة والعجاج، ص ٢٠. د. محمد حبيب، اللغة في الخطاب العربي، ص ٢٨، ٢٩.

(٢) د. طه عبد الرحمن، منطق وتاريخ المنطق، ص ١٦٦. د. أبو بكر الزواوي، اللغة والعجاج، ص ١٤.

كلها^(١). لكن الملفوظ الأول يؤدي بنا إلى تلويل سلبى (مثل قولنا: «... إذن فهو غير قادر على كتابة مقال عن تأثير الجاحظ»)، في حين يؤدي بنا الملفوظ الثاني إلى تلويل إيجابى (مثل قولنا: «يظهر أعل أن يكتب مقالا في المسألة»^(٢)). وبالمطابقة ذاتها درس "ديكرو" عن قرب الاشتغالات التداولية لمختلف المفردات التجارية في الخطاب الحجاجى (لكن، ولأن، وبما أن....)^(٣).

(٢) عند التعماء :

إن اعتبار التعماء وبعض المحدثين الحاجاج مرادفا للجدل، واستعمالهم أحدهما معطوفا على الآخر، باعتبارهما مترادفين، من شأنه أن يضيق مجال الحاجاج ويغريه في الجدل ، ولعلنا أن الحاجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حاجاج وليس كل حاجاج جدل . فإذا كان الجدل يمثل القسم الإنهاى من الخطاب، كما قال "لوفيفى روبرول" فإن الحاجاج هو جوهر الخطبة من حيث كونها فن الإقناع. والأهم من كل ذلك أن للحجاج لا يقتصر على الاستدلال العقلى، بل يتجاوز ذلك ليشمل الحاجاج اللغوى للخالص ، ذلك الذى ينبع من اللغة باعتباره خاصية كاسمة لها فالتشبع به يسمح للنص .

فالحجاج هو التقاسم المشترك بين الجدل والخطبة، من حيث إن الجدل وللخطبة قوتان لإنتاج الحجج. ومعنى هذا إنه يوجد على الأقل حجاجان : جدلي وخطبى. أما الحاجاج الجدلي فهو من قبيل ما عرض له "أرسطو" في كتابه "الطوبىي" ومداره على منقشة الآراء منقشة نظرية محضنة لغاية التثوير العقلى للمجرد، وتتمك في التراث العربى الإسلامى منطلقات "علم الكلام"، فالحجاج الجدلي لكبرى خالص، وحدة ما يكون بين شخصين يحاول كل منهما إقناع صاحبه بوجهة نظر معينة .

أما الحاجاج الخطبى، فهو من قبيل ما عرض له أرسطو في كتاب "الخطبة"، وهو حاجاج توجه إلى جمهور ذي لوضاح خاصة في مقدمات خاصة، والحجاج هنا ليس لغاية التأثير النظرى العقلى لحسب، وإنما يتعمد إلى التأثير المطلق، وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، وإلى إرضاء الجمهور

(١) د. صابر السليمان، التداولية والحجاج (مدخل ونسوس)، ص ٢٤، ٢٥.
(٢) هليل بالتشبع، التداولية من أرسطو إلى هوراس، ت. د. صابر السليمان، ص ١٦٦.

واستمالته، ولو كان ذلك بمخالطته وإيهامه بصحة الواقع على نحو تبدو معه الخطبة من هذه الناحية من قبل التخييل. والحاج الخطابي مجاله توجيه اللعل، وتثبيت الاعتقاد أو صنعه، وهو حجاج موجه للجماهير^(١).

وقد تنبه القدماء إلى هذا التكرير الذي يُحِبُّه الخطيب القوي في الملتقى ، فقد أورد "الجامع" في "البيان والتبيين" خبراً مفاده أن شيئاً من الأعراب تزوج جارية من رمله، وطمع أن تلد له علماً فولدت له جارية، فهجروا وهو منزلها وصار يلوي إلى هجر بيئها، ومن يهبطها بعد خولها وإذا هي كركوس بيئتها وهي تتشد :

ما لأبي حمزة لا يأتينا يأتل في البيت الذي ولينا
ضحيان أن لا تلد البهنا نأله ما ذاك في لينا

ولما نأله ما أضطينا

، فلما سمع الأبيات مرّ للتخيل نوعهما حتى ولج عليهما الغباء وقيل ابنته وقال:
ظلمكما ورب الكعبة^(٢).

والشعر في هذا الخبر باعتباره خطباً يمكن البت فيه امرأة تزوجت شيئاً من الأعراب لم يلبث أن هجرها حين رزكت بنتاً ، أما الملتقى فإليه لم يحضر ساعة الخطب، أو على الأقل، لم يوجه إليه البت للخطب مباشرة، وإن كان يستحضره ساعة إنشاء الشعر، فكانت عملية التلقي صدف لا تقا، وإذا بالخطيب يقوم بوظيفته الإقناعية فوخر المواقف ، وتجلي بذلك قدرة الخطيب على النهوض بوظيفة البرلمانية (تفعية) صرفة. إن المرأة وقد أُنشئت هذه الأبيات تكون قد كجزت فعل التلطف، هذا الفعل أنتج مقلوفاً شعرياً، كفت له وظيفة حملية إقناعية^(٣).

(١) . حمير حران، عبد القوي في الخطب، القرني السوجه إلى بني إسرائيل، ص ٢٢.

(٢) . جامع البيان والتبيين، ص ١٢، ١٨.

(٣) . حمير حران، عبد القوي في الخطب، القرني السوجه إلى بني إسرائيل، ص ٢٦، ٢٧.

لنواع الحجج:

عند القنماء:

- ١- حجة التبريد: وألقاها "بها أن".
- ٢- حجة الاتجاه: وغرضها التحذير من انتشار شيء ما.
- ٣- الحجة التواجبية: تبني على علاقة الشخص بـهـ، ويمكن أن لعل لها بقوله ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يحبه" إذ يمكن أن نقول إن المتعلم بوصفه شخصاً في جوهره ليس عضولياً، وعمل تركه ما لا يحبه من تجليات حسن الإسلام.
- ٤- الحجة الرمزية: للرمز قوة تأثيرية في الذين يقرؤون بوجود حلالة بين الرموز والرموز إليه، كدلالة العلم في سمته إلى وطن محب، وللهلل بالنسبة إلى حضارة الإسلام، والصلب بالنسبة إلى المسيحية، وللميزان إلى الحقة.
- ٥- حجة القتل: إن الغاية من اعتناقه حجاباً، هو التلبس للقاعدة والبرهنة على صحتها.
- ٦- حجة الاستشهاد: غايتها توضيح القاعدة، وتكليف حضور الأفكار في الذهن، وربما كان الاستشهاد أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجردة إلى أخرى محسوسة، ولعل القرآن الكريم فيما يقدم لنا من أمثلة حجابية أهم مصدر لهذه الأشكال للحجابية، على أن العناية بالاستشهاد القام على التمثيل، مقود بجملة من القيود لعل أحدها: عدم إبطائه، ومن الحجج المعتمدة أيضاً المسطيات العددية الناتجة عن الإحصاء^(١).

عند المعشئين:

أ. الحاجج التجريدي:

هو الإتيان بالذليل على القوي على طريقة أهل البرهان، علماً بأن البرهان هو الاستدلال الذي يُبنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها وامتصاصاتها.

(١) د. صابر الحجة، القدرية والقناع (بغداد ونسرين) ص ١٤، ١٩.

فيثبت أن الحجة المبينة على التجريد، أو قل "الحجة المجردة" (بفتح الراء المشددة) ليست إلا مظهراً ظاهراً من مظاهر الاستدلال في الخطاب الطبيعي أو رتبة دنيا من مراتب هذا الاستدلال، إذ لا يقع للتوصل بها إلا عند براءة تقليد الأمر الصناعي، وتتبنى أصلاً على اعتبار الصورة وإلغاء المضمون والمقام.

بـبـ الحجاج التوجيهي :

هو إقامة الدليل على الادعى بالبناء على فعل للتوجيه الذي يختص به المستدل، علماً بأن التوجيه هو هنا فعل يحصل للمستدل لحجته إلى غيره، فقد ينشأ المستدل بقوله من حيث إنقاذه لها، ولا ينشغل بنفس المقدر بقلي بالمخاطب (بفتح الطاء) لها ورد فعله عليها، فتجده يولي أنفسي ضلته إلى مقاصده وإلغاء المسألة لأقواله الخاصة، غير أن كسر اهتمامه على هذه المقاصد والأفعال الذاتية، يقضي به إلى تناسي للجنب الممالي من الاستدلال، هذا للجنب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير مقتضياً بحق الاعتراض عليه، كما يقضي به إلى تقديم وحدة الجملة على وحدة النص وجعل الأولى مستتبعة للثانية^(١).

فيتمتع أن الحجة المبينة على التوجيه أو قل "الحجة الموجهة" (بفتح الجيم المشددة)، وإن زادت على العجة المجردة درجة لمضل اعتبارها لمقام المدعي، قصداً وفعلًا، فإنها لا تتركى إلى مستوى الوفاء بموجبات الاستدلال في الخطاب الطبيعي، إذ تنبني أصلاً على اعتبار فعل المخاطب وإلغاء رد فعل المخاطب.

جـ- الحجاج التلويحي :

هو إثبات الادعى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتاً ثقية يُنزلها منزلة المعترض على دهراده، فما هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إقائه الحجة إلى المخاطب، ولقاء عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي، باعتباره هو نفسه أول ملق لما يلقى، فينبئ أنفاته أيضاً على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن

(١) د. طه عبد الرحمن، الحسن والحسان أو تفرق الخطب من ٢٢٧، ٢٢٨.

يقوم به، مستقيماً استساراته واعتراضاته ومستحضرًا مختلف الأجوبة عليها،
ومستكشفًا إمكانات تعجلها والتنازع المخاطب بها^(١).

السلم الحجلي والقوة الحجلية :

السلم الحجلي هو علاقة ترتيبية للمجج يمكن أن نرسم لها كالتالي :



ن= النتيجة

"ب" و "ج" و "د" : مجج وأدلة تخدم النتيجة "ن".

فعندما نقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة،
فإن هذه الحجج تنتمي إنَّك إلى السلم الحجلي نفسه، فالسلم الحجلي هو فئة
حجاجية موجهة. ويسمى السلم الحجلي بالسنتين الأتيتين :

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يلوّه دليلاً أقوى
منه بالنسبة لـ "ن".

ب- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن"، فهذا يستلزم أن "ج" أو
"د" الذي يلوّه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح، فإذا أخذنا
الأقوال الآتية :

- ١- حصل زيد على الشهادة الثانوية.
- ٢- حصل زيد على شهادة الإجازة.
- ٣- حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

(١) د. طه عبد الرحمن: *اللسان والميزان أو التفكير النقلي*، ص ٢٢٨.

فهذه الجمل تتضمن حججاً تنتمي إلى الفئة الحجالية نفسها، وتنتمي كذلك إلى السلم الحجالي نفسه، فكما نؤدي إلى نتيجة مضمرة، من قبول "كفاءة زيد" أو "مكفته الطمية". ولكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجالي، وحصول زيد على الشكوره هو أقوى دليل على مقدرة زيد، وعلى مكفته الطمية. ويمكن الترميز لهذا السلم كما يلي :

ن = الكفاءة الطمية



وننتقل الآن إلى مفهوم القوة الحجالية، فنقول إذا كانت البراهين المنطقية والرياضية متكافئة ومتماوية من حيث قوتها، ومماثلة من حيث طبيعتها، فإن الحجج التي يتضمنها الخطاب الطبيعي ليست كذلك، إنها متفاوتة من حيث قوتها الحجالية، فهناك الحجج القوية، والحجج الضعيفة، وهناك الحجج الأكثر قوة، والحجج الأكثر ضعفاً.

ويرتبط مفهوم للقوة الحجالية بمفهوم السلم الحجالي، وهذا الأخير هو علاقة ترتيبية للحجج تحدد بموجبها مراتب الأقوال، ودرجاتها باعتبار وجهتها وقوتها الحجاليتين. ولنبين هذا نورد البيت الشعري التالي :

أهزلكم حتى الكلمة فأتتم تهاولنا حتى بنينا الأصاهرا

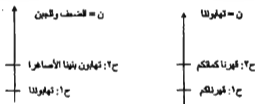
فالمقام الأول من البيت يشمل على حجتين هما: "تهزلكم" و "تهاولنا" وهما تخفضان معاً النتيجة الواردة في الشطر الثاني من البيت : "أنتم تهاولنا". ولكن السؤال الذي نطرحه هنا هو الآتي: هل سطر هاتان الحجتان في الدرجة نفسها من درجات السلم الحجالي؟ هل لهما قوة حجالية متماثلة؟ إن الجواب سيكون بالنفي طبعاً، فالجدة التي جاءت بعد "حتى" هي الجدة الأقوى،

(١) ر. ب. بكر المزاريبه: لغة والحجاج، ص. ٢٠، ٢١.

"وغيرنا كماتكم" وهم الأبطال الشجعان، هو الدليل القوي على شجاعتنا وبسالتنا في الحروب. وإذا كان الشرط الأول من البهت قد اشتمل على حجج تؤكد قوتنا وبطولتنا، فإن الشرط الثاني منه تضمن حججاً تؤكد ضعف الخصوم وهوانهم. فالجئنا فورئنا في الشرط هما: "انتم تهلوننا" و "تهلون بنينا الأصاغرا"، وهما يؤيدان إلى نتيجة ضمنية مضرة من قبيل "انتم ضطاء" أو "انتم جبناه" أو هرهما من النتائج المحتملة. وقد لاحظنا أن العبارة "انتم تهلوننا" التي شكلت النتيجة بالنسبة للعلاقة الحجلية الواردة في الشرط الأول، متصح، هي نفسها، الحجة الأولى في العلاقة الحجلية الثانية في الشرط الثاني^(١).

وهذا ولد نوعاً من التماثل والترابط بين المجمع والنتائج، وجعل الاستدلال الحجلي الذي تضمنه البهت الشرعي كله متسلسلاً ومتناسكاً ومتناسهاً، وحفظ له وحدته ونسجه.

إن الحجة الأخيرة "تهلون بنينا الأصاغرا" هي الحجة الأقوى، والدليل القاطع على ضعف الخصوم وهوانهم. ويمكن أن نرسم لهاتين العلاقتين بواسطة المسلمين الحجليين التاليين:



وإذا كان كل قول يرد في درجة ما من درجات السلم الحجلي، فإن القول الذي يطوه في هذا السلم، يكون دليلاً قوياً منه بالنسبة للنتيجة المتصورة^(٢).

(١) د. أبو بكر القاري، اللغة والمعاني، ص. ١٢٠، ١٢١.

(٢) السابق، ص. ١٢٢.

المبادئ الحجاجية :

إنّ فاعليّ المبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصحتها وصحتها، فلكل يعتقد أنّ العمل يؤدي إلى النجاح، وأنّ التعب يستدعي الراحة، وأنّ الصدق والكرم والشجاعة من القيم الثمينة والمحببة لدى الجميع، والتي تجعل المتصف بها في أعلى المراتب الاجتماعية، ولكل يقول أيضاً أنّ انخفاض درجة الحرارة يجعل سقوط المطر مستحلاً، وبعض هذه المبادئ يرتبط بمجال القيم والأخلاق، وبعضها الآخر يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم .

وإذا كانت المبادئ الحجاجية ترتبط بالأيديولوجيات الجماعية، فإنه من الممكن أن ينطلق استدلالان من المقدمات نفسها، وأن يعتمدا الروابط والموامل نفسها، ومع ذلك يصلان إلى نتائج مختلفة، بل متضادة. وإن يسرّ هذا إلا باعتماد مبادئ حجاجية تنتمي إلى أيديولوجيات متعارضة، لكن إلى جانب هذه المبادئ المحلية المرتبطة بالأيديولوجيات الأفراد دخل للمجموعة البشرية الواحدة، هناك مبادئ أخرى أهم، وهي مشتركة بين جميع أفراد المجموعة اللغوية، ومؤشر لها دخل للغة^(١).

العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية :

لما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت الاتصالات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية، وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج للغة العربية مثلاً، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تمرينها إلا بالإحالة إلى قيمتها الحجاجية . نذكر من هذه الأنواع : لكن ، بل ، ولئن ، وحتى ، ولاسيما ، وإذا ، ولأن ، وبما أن ، ومع ذلك ، وتقريباً ، وما...إلخ...، ويعني أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأنواع للحجاجية^(٢).

أ- العوامل الحجاجية :

(١) د. إبراهيم الجزائري، اللغة والحجاج، ص ٢٢.

(٢) السابق نفسه، ص ٢٠، د. كور، ص ٢٠، عبد القادري في الخطب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، ص ٢٦.

هي مورفيمات إذا وُجِدت في ملفوظ تحول وتوجه الإمكفلات الحجاجية لهذا الملفوظ، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكفلات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل : ربما، تقريبا، كل ، قليلا، كثيرا، ما...إلا...وجل أدوات القصر. وتوضح أكثر مفهوم العمل الحجاجي تتألف للمثلين الآتيين^(١):

الساعة تشير إلى الثامنة . - لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة .

عندما أدخلنا على المثال الثاني أداة القصر "لا...إلا " ..وهي عامل حجاجي لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثلين في القيمة الإخبارية، ولكن الذي نأثر هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكفلات الحجاجية التي وتوجهها، فإذا أخذنا القولين الآتيين :

الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع .

- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة ، لا أسرع .

فسلاحظ أن للقول الأول صحيح، وله إمكفلات حجاجية كثيرة، كالدعوة إلى الإسراع، والتأخر والاستبطاء، وهناك منع من الوقت، وموعد الأخبار، ومن ثم فهو يخدم نتيجة من قبيل (السرعة)، كما يخدم النتيجة المضادة لها (للاسرعة)، لكن عندما أدخلنا عليه العامل الحجاجي "لا...إلا...، " لقد تقلصت إمكفته الحجاجية وأصبح الاستنتاج الممكن هو: لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة ، لا داعي للإسراع^(٢).

(١) د. أبو بكر القزويني، اللغة والمجاج، ص ٢٧، د. كورنيل، فيض القادري في فصول القرني شرحه إلى بني إسرائيل، ص ١٢، ١٢.

(٢) د. أبو بكر القزويني، اللغة والمجاج، ص ٢٨، ٢٩.

بـ الروابط الحجاجية :

الرابط الحجاجي هو مورفيم من صنف الروابط (حروف العطف - الظروف) فهو يربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر ، في إطار استراتيجية حجاجية واحدة.

والروابط واليكتان :

١- تربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر .

٢- تقدم دوراً حجاجياً للوحدات الدلالية التي تربط بينها .

فالرابط تربط بين قرابين أو بين حجتين أو أكثر، وتساعد لكل قول دوراً محدداً لدخل الاستراتيجية الحجاجية العامة . ويمكن التمثيل للروابط بالأنواع الآتية :

بل، ولكن، وحتى ، ولا سيما، وإن ، ولأن ، وبما أن ، وإذا .

فإذا أخذنا المثال الآتي :

- زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان .

لمجدد أنه يشتمل على حجة هي (زيد مجتهد) ونتيجة مستنتجة منها (سينجح) وهناك الرابط (إذن) الذي يربط بينهما.

ونتميز بين اتصال جديدة من الروابط :

أ - الروابط المدرجة للحجج (حتى ، بل ، ولكن ، ومع ذلك ، لأن)....

ب - الروابط المدرجة للتتبع (إن ، لهذا ، بالتالي)....

ج - الروابط التي تدرج حججاً قوية (حتى ، بل ، لكن)

د - روابط التماثل الحجاجي (بل ، لكن ، مع ذلك)

- روابط التسارق الحجاجي (حتى ، لاسيما)^(١)

نقولنا :

• جاء زيد . - حتى زيد جاء .

للقولان بخدمان نتيجة واحدة ، ولكن في المثال الثاني (حتى زيد جاء) يقدم معلومة جديدة (مجن: زيد غير متوقع) لظور الرابط تمثل في إبتواج حجة جديدة تكوي من الحجة المذكورة في المثال الأول ، فالجنتان وإن كانتا تخدمان نتيجة واحدة إلا أن درجة القوة المجابية متفاوتة بينهما^(٢).

العلاقات الحجاجية :

إن بناء القول الحجاجي يتشكل عن طريق تفاعل مكوناته الداخلية من استدلال وقيمت ومفاهيم، ومكوناته الخارجية من واقع إستقنية وتجربة وأسباب ومصيبت، وهي عناصر ضرورية، لكنها غير كافية لتهم وتحليل القول الحجاجي^(٣) ، بالإضافة إلى كلمات حجاجية نحو: أجد أن، ولكن، وحتمًا، وزد طي... حيث الوظيفة الأولية حسب ميكرز " هي خدمة التوجيه الحجاجي للمفروظات. لكن استفعال هذه الكلمات أو العبارات ليس بضروري حتى نتحدث عن الحجاج جاء في مقال لنيكرو صدر في ١٩٧٩م: خلاصته أن التوجيه الحجاجي لازم لمعظم -طي الأكل- الجمل التي دلالاتها تحتوي على توجيه مثل : بالتبطل لهذه الجملة نحن نعالج في سياق استنتاج معين^(٤). وتتسلح علاقات للتبع في :

١. علاقة لتتبع :

يقع التتبع إجمالاً على مستويين : أحدهما مستوى الأحداث، حيث تنخرس الحجة في الواقع وتنتهي بدأمة إلى أحد الصكائن، وهما : المصح للمؤسسة على

(١) د. أبو بكر المزاري، اللغة والمصاح، ص ٢٩، ٣٠.

(٢) د. نمر مرز، جند القناري في الخطاب القراني الموجه إلى بني إسرائيل، ص ٤٤، ٤٥.

(٣) د. عبد السلام حنور، عندما تراسل نهر، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م، ص ١٥٦.

(٤) د. سابر الحناء، القنارية والمصاح (بشكل أساسي)، ص ١٨.

بنية الواقع والمصحح شبه المنطقية. وثقبيهما مستوى أصق من الأول يتصل بالمصحح فهما بينهما، حيث تقتضي الحجة حجة أخرى وتؤكد القضية الأولى .

٧ . العلاقة السببية :

هذه العلاقة تُعد من أبرز العلاقات الحجاجية ولقد رما على التفكير في المنطقي، حيث لا يكفي المتكلم فيها بربط الأفكار، والوصل بين أجزاء الكلام بل يصد إلى مستوى أصق، فيجعل بعض الأحداث أسباباً لأحداث أخرى، ويسمى لعلا ما بنتيجة متوكلمة لتعل سبقي، ويجعل موثقاً معيَّناً سبباً مباشرًا لموقف لاحق .

٣ . علاقة الاقتضاء :

تعد علاقة الاقتضاء ذات طاقه حجاجية عالية، حيث تجعل الحجة تقتضي النتيجة اقتضاء، فتعد العلاقة ضروريًا من التلازم، وهو ما لا تفرقه سائر العلاقات الأخرى حتى السببية، وأندر الروابط الحجاجية على توفير هذا النوع من العلاقة لغوات الشرط المختلفة .

٤ . علاقة الاستنتاج :

هي علاقة منطقية ، مينا يدين به الحجاج للمنطق، وهي تؤكد أن الحجاج في جانب من جوانبه يُعدّ قاعًا للانتقال من فكرة إلى أخرى بشكل منظم وببصر.

٥ . علاقة التناقض :

بواسطة هذه العلاقة نطلع أمرًا بإثبات تناقضه مع نتيجة للخطاب، وإن كان التناقض ليس شكليًا خالصًا، وإنما أقصى ما يمكن الحديث عنه هو استخدام للتناقض بين الحجة والنتيجة^(١).

(١) د. سامية فوزي: الحجاج في الفكر العربي القديم، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٨ م من ١٣٦١ د. فوزي جوي، قيد المصغري في الخطاب، فترقي فوجبه إلى بني إسرائيل، من ٥١٥٠ م.

مختصر الحاج :

تتم الحج للثوية بعدة صفات، نذكر بعضها على سبيل للتمثيل لا للحصر :

١. إنها ساقية : فالمتمسك الدلالي الذي يقتضيه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإن السبق هو الذي يسيره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة، قد تكون حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق .
٢. إنها نسبية : فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والمجج الأوهى والأضعف.
٣. إنها قابلة للإبطال : وعلى العكس، فإن الحاجج القوي نسبي، ومرن، وتدرجي، وساقى بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي^(١).

هدف الحاج :

يتمثل هدف الحاج في التأثير في الجمهور، والمعال الأول الذي نقوس به خطاباً ما هو نجاعته، بيد أنه ليس معياراً كلياً لأننا لا يمكن أن نهمل نوعية الجمهور الذي يتوجه إليه الخطيب، إننا نستطيع التمييز بين خطابات رجل السياسة، والمحامي، والمعلم، والمتكلم (نسبة إلى علم الكلام)، والفيلسوف. لا فقط بملامحها، بل بمتزها أيضاً وخاصة بالجمهور الذي تتوجه إليه تلك الخطابات. وفي الواقع، فإن نجاعة الحاج تكون بحسب ملامته للجمهور، وبحسب التقنيات المستعملة للإقناع بلسان مخصص لتستعمل أليات لا تصلح لإقناع جمهور كوني. ويتم الحاج العقلاني بكونه قادراً على إقناع جمهور كوني. فمن الأساسي إذن أن نعرف الأطروحات التي يملك المستمع بها، كما يحدد بنا معرفة درجة القوة التي بها يحتل الأطروحات؛ وذلك من أجل اختيار

(١) د. أبو بكر الجزائري، *فلسفة والحجاج*، ص ٢٠١.

تلك التي تساعد للحجاج، ويمكن التغلّظا نقطة لارتكاز، من خلال عرضها من
حيث كونها مملكات^(١).

(١) د. أنس السبيح، الفقهية والحجاج (مجلد ونسوم)، ص ٧٠، ٧١.

المفصل الرابع

معايير تصنيف إستراتيجيات الخطاب

(١) معيار العلاقة بين طرفي الخطاب :

لا يخلو المجتمع من علاقات بين الناس، فقد تكون علاقات اجتماعية، أو وظيفية، أو غيرها. وتتنصف العلاقة بالسبقية على إنتاج الخطاب ذاته؛ وذلك فهي من عناصر السياق المؤثرة مما يحفز صل بعض القوالب، خصوصاً القالب الاجتماعي؛ فيمكن ذلك على تشكيل الخطاب، باختلاف الإستراتيجية القائمة التي تنبئ عن قصد المرسل، ويمكن اعتباره لهذا المنصر، باعتبار نوع العلاقة من العناصر المؤثرة؛ فاختلاف هذه الصورة وليس تلك يتعلق بالسياق في عمومه، أي يتعلق بالمتخاطبين (المتفاعلين)، وبملاقاتها داخل السياق، بل ويتعلق بما هو خارج السياق، أي يتعلق بما يعرفه هذا المتخاطب عن الآخر، وما يعرفه المتخاطبان عن المقلم، وما يريدان قوله أو سماعه، وهما يعرفان معرفة تامة المدى الذي يمكن أن يبلغاه في الخطاب. فأحد المتخاطبين يمكن أن يكون خطيباً أو معلماً، والآخر يمكن أن يكون جمهوراً أو مستمناً. فالمعالمات تظل هي نقاتها، وللصور يجب أن تكون مضبوطة حتى تناسب المقام بالشكل الأكبر^(١).

والمعرفة المشتركة في قسط منها هي نتيجة من نتائج تلك العلاقة، مما يقضي إلى اضطلاعها بنور في الفراضات المرسل المسبقة. والمعرفة المشتركة، والافتراضات المسبقة من العناصر التي تسهم في اختيار إستراتيجية الخطاب، فطى هذين المنصرين وغيرها، بلهني مزيد من المعالمات التي تؤثر في المرسل لانتقاء إستراتيجيات الخطاب.

(١) جوار درلودل وجرول وجرول، الخطيب السبوطي، نفس القسري، ترجمة عبد الرحمن بن علي مطبعة المعارف الجديدة ط١، ١٩٩١، ص ٧١.

وإن لم تكن العلاقة بين طرفي الخطاب موجودة تلقاءً، فإن المرسل يسعى إلى إيجادها بخطابه، فقد يكون إقامة علاقة بين طرفي الخطاب، هو الهدف الرئيس من الخطاب. وهذا ما يبرر إعطائه كثيراً من الاهتمام، ويتم ذلك باستعمال إستراتيجيات معينة في الخطاب، أوتزم بوظيفته المتوافقة مع ما يتطلبه السياق الذي يؤثر إنتاج الخطاب، مما يسهم في إبراز دور اللغة التفاعلي، انطلاقاً من أن التقييم الدلالي للخطاب هي متخل ممكن ومهم، للتحديد شبكة العلاقات الاجتماعية؛ لأن التمثل مع اللغة هو التعامل مع مضامينها^(١).

(٢) مبادئ التخاطب :

يراعي المرسل نوع العلاقة بينه وبين المرسل إليه في خطابه، فيرجع دورها في اختيار إستراتيجية دون إستراتيجية أخرى. ومن الظواهر التي تجسد تلك العلاقة ما يسمى بظاهرة التآكب في الخطاب، إذ يتلظ بخطابه وفقاً لما تقتضيه. وبهذا، نحدد نموذجاً للمرسل عند استعمال اللغة .

ويمكن اعتبار العلاقة بين أطراف الخطاب في تجسيدها وفق ما تقتضيه ظاهرة التآكب بمقايير مختلفة؛ لأن الملقوظات المؤدية ترمز للعلاقة بيننا وبين المرسل، بوصفها مرسلًا إليه. وبالتحديد، قد نتوقع من شخص لا نعرفه جيدًا، أن يقول لنا :

... هل يمكنك أن تستعير قطعة صغيرة من الورق ؟

في حين يصوغها شخص آخر، وليكن الأخ الأكبر، بطريقة مباشرة مثل قوله :

- اصطني قطعة من الورق .

(١) بشأن بن خطاب، قرأنا أيضاً وعلمنا أن التآكب في لغة عربية، التآكب هو الذي يفتقر إلى الصلابة، فلهذا التسمية، تروى من ١١٢.

فإذا لم نلفظ إلى نوع علاقتنا بهؤلاء الأشخاص الذين خاطبونا بهذه الطرق، فإن الاستراتيجيات التي وظفوها سوف تزعجنا لأن هذه الاستراتيجيات تجسد طبيعة علاقتنا كما يرونها^(١).

١- مبدأ التكميل :

١. في التراث :

حضن القرآن الكريم على مراعاة بعض القواعد التخاطبية، صراحة، في أكثر من موضع، وذلك بالدعوة إلى تهذيب القول، فقد رسم الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ بعضاً من الآليات ليُتبعها في دعوته مع كفار قريش، فقال الله تعالى:

﴿ اَتَّبِعْ إِنِّي خَشِيتُ أَنِّي مَلَكُوتٌ وَاتَّبِعْهُ لَنُؤَيِّدَ بِنُصْرَتِهِ الَّذِينَ هُمْ يَرْتَوُونَ ﴾ (٢١)

«محل» ٢١: في هذه الآية ثلاث الآليات للدعوة، تتدرج في استكمال الخطاب وفقاً لمراعاة الدعوة. وحضر للملاكمة بين الرسول ﷺ وكفار قريش، هي من عناصر سياق الدعوة، بمنزلة النظر من نوعها، إذ يراعي أحوالهم بما يتمكن على اختيار آنية الخطاب المناسبة، "على هذه الأسس يرسى القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويحوي وسائلها وطرائقها (....) والدعوة بالحكمة، للنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والتدرج الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يتقل عليهم ولا يثقل (....)، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتفويج في هذه الطريقة حسب مقتضياتها (....) وبالمروعة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتمتع المشاعر بلطف، لا بالفزع والتكذيب في غير موجب، (....) فإن الرفق في المروعة كثيراً ما يهدي القلوب للشارقة، (....) وبالجدل بالتي هي أحسن، بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتوبيخ، حتى يطمئن إلى إلهاده ويشعر أن ليس هدفه هو الخلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق (....)، وهذا هو منهج الدعوة ومستورها، ما دلم الأمر في دائرة الدعوة باللسان والجدل بالحجة"^(٢).

(١) عبد الباقى بن هاجر الشيرازي، استراتيجيات الخطاب، ص ٩١.

(٢) سيد قطب، في خلال القرآن، دار العلم للطباعة والنشر، جدة ط ١٣٠٦، ١١-٦ هـ ١٩٨٦ م.

٢. عند المحققين :

العلاقة بين طرفي الخطاب هي التي تحطي الخطاب معناه وتبرز قصد المرسل، والمثال التالي يبين ذلك :

- من فضلك، أهلك النملة .

إذا بعد الملفوظ الأول خطباً ثانوياً، باعتبار المرسل أنى درجة من المرسل إليه، أو في درجة مساوية له، ولكن ليس بينهما علاقة حميمة. ولهذا ف (من فضلك) قد تعني في هذا الملفوظ (أطلب منك أن تفعل ذلك مساعدة منك، ما دمت لا أستطيع إجباره على ذلك)، ولكن معنى (من فضلك) يختلف فيما لو كان المرسل أعلى درجة من المرسل إليه، إذ يحكم العرف استعمالها، لتعني حقيقة ما معناه (أطلب منك فعل ذلك، وذلك لأبدو مهذباً بالرغم من أنني لستك للسلطة لذلك لعملة). والفرق بين حائتي المرسل إليه واضحة، إذ يستطيع أن يرفض الطلب في السياق الأول، أما في السياق الثاني، فالأولى ألا يرفض دون مبرر كافٍ، ولذلك يبدو الملفوظ التالي :

- أود أن أجزو حار هنا .

صالحاً للرفض في السياق الأول، ولكنه ليس كذلك في السياق الثاني .

ولذلك ندهي "لاكوف" إلى توسيع مبادئ ثلاثة الكلية من خلال إدراج القواعد التداولية للحكم بجودة صياغة الخطاب من جهة، فتضع قاعدتين تسميهما " قواعد الكفاءة التداولية " The rules of pragmatic competence. ويبدو أنهما متلازمان، فقد تتماثلان في أقرهما، أو قد تعزز كل منهما الأخرى، بالرغم من أن إحداها قد تهتمش للقاعدة الأخرى، ويعتمد كل هذا على سياق التلفظ وقد صاغت القاعدتين كما يلي :

١- كن واضحاً .

٢- كن مؤدباً .

وهدف المرسل من معايير تخطيط إحدى اللقائتين على الأخرى؛ فقد يسمى للمرسل جاهدة أن يكون واضحا، عندما يكون هدفه الرئيس هو التواصل المباشر مع الآخرين، بما يجعل قصده واضحا، لا يغطئه المرسل إليه. في حين تتخذ قاعدة التلذب حضورا أكبر، عندما يكون هدف المرسل هو التعبير صا بكنه للمرسل إليه الذي يشاركه الغمط. بالرغم من أن الوضوح يُعد في بعض الأحيان من ضرورب للتذب مع المرسل إليه^(١).

- مبادئ فرعية :

وقد فرعت "الكوف" ثلاث قواعد عن مبدأ التلذب سستها قواعد تهذيب الغمط، إذ يتلظ المرسل بغمطه وفقا لولد منها، أو أكثر، وهي :

- قاعدة التطف، وهي : لا تفرض نفسك على المرسل إليه، أي لتبق متحفلا، ولا تتطفل على شؤون الآخرين.
- قاعدة التغير، وهي : تجعل الغمط يتخذ قراراته بنفسه، ودع خياراته مقترحة.
- قاعدة التود، وهي : تظهر لود للمرسل إليه، أي كن صديقا.

لمستضي قاعدة التطف، هو تجذب الإجماع، أو إكراه المرسل إليه على فعل ما. ويتحقق ذلك من خلال استعمال الغمط الذي يُبقي على العهد بين طرفي الغمط، بالإبعاد عن التلذب المباشر مثلا. وعدم التطفل على الشؤون الخاصة للمرسل إليه إلا بعد الاستئذان^(٢).

• الأدوات والإشارات المستعملة في قاعدة التلذب :

ويكبلور في هذه القاعدة الاحتراف بمكافة المرسل إليه، بوصفه طرفا في الغمط، ويتمتع بقدرات تزهله للمشاركة في إنجاز الفعل. وتعد القلمحت الفعلية من أهم أدواتها، مثل: "أعتقد، وأتوقع" قد يستعملها، بالرغم من كنهه فيما يقوله، ولكنه لا يريد إخراج المرسل إليه، وكأنه يريد أن يعلمته بأنه لا تثريب عليه في

(١) د. طه عبد الرحمن، *اللسان والحق أو الفكر والقلب*، ص ٢٢٩، د. جد فهدى بن طغر الشويخ، *استراتيجيات الغمط*، ص ٩٩.

(٢) سلطان قاسم، ص ٢١٠، ٢١١، ص ١٠٠، ١٠١.

اعتقده. ومن لوقتها، كذلك، استعمال اسم الإشارة، للإشارة إلى تلك الأفعال التي لا يستحب ذكرها .

ويضحي استعمال هذه الأدوات إلى المولكة بين ما تقتضيه كل من قاعدتي التثنية والتثنية؛ وذلك بتجنب التلغظ بالكلام المخرج من جهة، ومنع المرسل حرية في التحويل من جهة أخرى^(١).

ب. مبدأ التثنية :

أما قاعدة التثنية فتقتضي : أن يتوعد المرسل إلى المرسل إليه بخطابه، علامة على تكليه معه، إذ يتوعد ذلك إلى صدقة حموة بين طرفي الخطاب، فمحوس بذلك ما يخلقه غياب الصدقة الحقيقية، كما يشعر المرسل إليه بالانتماء، لإحساسه بالتساوي مع المرسل، وذلك بشرط تكافؤ مرتبة طرفي الخطاب حقيقة، أو بلن يكون المرسل أعلى مرتبة من المرسل إليه. أما إذا كانت مرتبة المرسل أدنى من مرتبة المرسل إليه، فإن توسله بقاعدة التثنية في خطابه يثبت عن طابع الحرية؛ مما يورث لتفج وخيمة على سير المحادثة .

- ويتم ذلك باستعمال أدوات لغوية مخصوصة، مثل أداء الصديق بقلبه، أو بلسه الأول .

ويغدو إشعار المرسل إليه بالرضا، هو غاية المرسل باستعمال قواعد التثنية، إلا أن كلا منها يؤدي إلى ذلك بطرق مغايرة، في حين تؤدي قاعدة التثنية إليها بمعاملة بوسله صديقاً مرغوباً فيه^(٢).

ج. مبدأ التصديق :

يقترح م. طه عبد الرحمن نموذجاً من التراث الإسلامي، لياخذ بأسباب التبليغ، كما يلائم بأسباب التهذيب، ويسمي نموذج "مبدأ التصديق"، ويصره كما يلي :

(١) ١. عبد الهادي بن طارق القنوري، استراتيجيات الخطاب، ص ١٠٦، ١٠٧.

(٢) السابق نفسه، ص ١٠٧.

- لا تقل للخيرك قولاً لا يصدقك فذلك وخلاصته أنه "ينبغي هذا المبدأ على عنصرين اثنين: أحدهما نقل القول الذي يتعلق (...). بالجنب التبليغي أنت المخاطبة، والثاني، تطبيق القول الذي يتعلق (...). بالجنب التهديبي منها"^(١).

ويستخرج نوعين من القواعد، هما قواعد للتوصل، وقواعد للتعامل. قواعد للتواصل هي قواعد مضبوطة، وجدها مجتمعة ومفصلة عند "الموردي" في كتابه "أدب الدنيا والدين" وهي ما يسميها "شروط الكلام، (...). وهي أربعة :

- فالشرط الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتناب نفع، وإما في دفع ضرر.
- والشرط الثاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته.
- والشرط الثالث: أن يلتزم منه على قدر حاجته.
- والشرط الرابع: أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به"^(٢).

أما قواعد التعامل فهي^(٣):

- قاعدة القصد: لتتخذ قصدك في كل قول تلقى به إلى الخير.
- قاعدة الصق: تكن صانعاً فيما تنقله إلى غيرك.
- قاعدة الإخلاص: تكن في تودك للخير متجرداً عن أهرامتك.

إذا يترتب على قاعدة القصد أمران، أحدهما: أنها تصل المستوى التبليغي بالمستوى التهديبي؛ إذ يتعين في تبين القصد نتوجتان هما : تحديد للمسؤولية الأخلاقية، والآخر إلفاة المرسل إليه المعنى المقصود .

(١) وقد صاغ د. طه عبد الرحمن هذا المبدأ بعد أن استعرض أصناف الفارين استرخاءاً مريباً، وقد كل عمل لمعرفة أوجه الصورة من بؤرة سيدي القنصل الأخلاقي وتجليها في التسلب، مرتباً إيفاء حسب مقدار إسهام كل منها في تلك الحالة من مبدأ قنصلين عند جرحهم. ينظر القنصل والقنصلان أو القنصل القنصل، ص ٢٤٩.

(٢) أبو الحسن علي بن محمد الموردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق ياسين محمد هارون، دار ابن كثير، دمشق - بيروت ط ٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص ١٢١، ١٣٥.

(٣) د. طه عبد الرحمن، القنصل والقنصلان أو القنصل القنصل، ص ٢٥٠، ٢٥٢.

والأمر الآخر : إمكان الخروج عن دلالة الظاهرة للقول، إذ يجوز أن يتفاوت مقصود القول عن مضمونه مما يلزم منه دخول المرسل إليه في ممارسة العمل لمعرفة قصد المرسل، فهو لا يتبادر إليه مباشرة .

وبهذا تتميز قاعدة الصديق عن مبدأ تكذيب "لاكوف"؛ لأنها تستطع حصر العمل منه .. أما قاعدة الصديق، فتقتضي بممارسته في مستويات ثلاثة : الصديق في الخبر، والصديق في العمل، ومطابقة القول للفعل .

لصديق الخبر هو حفظ اللسان عن الإخبار بشيء على خلاف ما هي عليه. أما الصديق في العمل، فهو صون السلوك عن إثم المرسل إليه بأوصاف هي على خلاف ما يتصف به .

ولما مطابقة القول للعمل، فهو حفظ اللسان عما يشعر المرسل إليه بتفاوت بين اللسان والسلوك. وما يدم ذلك أن الدخول في صلبه المخاطبة هو تشغل لما يسمى بالكفاءة للتدولية، والمخاطبة نفسها هي جزء من العمل ومن ضمنها تحديد الهدف واختيار المسلك المناسب. والصديق في هذه التواحي الثلاثة من أسباب التقارب بين طرفي الخطاب، فهو يتطرق بالجانب التقني أكثر منه تعلقه بالجانب التقابلي .

أما قاعدة الإخلاص، فتقتضي تقديم حقوق المرسل إليه على حقوق المرسل، ومرد ذلك هو الإتيان على الذات والتمسك بأن الحق ثابت، ولا تقوم على الانتزاع، وزيادة تكذيب من جانب المرسل مدعاة إلى زيفته من جانب المرسل إليه^(١).

د. مبدأ الوجه :

منذ القدم، واللسان يحثون الوجه رمزاً يمثل المرسل، روي عن "سميد بن العاص" أنه قال "فبح الله المعروف إن لم يكن ابتداءً من غير مسألة، المعروف حوض من مسألة الرجل إذا بكل وجهه، قلبه خائف، وفرائسه أرواح، وجبينه

(١) د. عبد الهادي بن طاهر الشكري، "أثر الجوارح في الطلب من" ٩٠.

يرشح، لا بدري ليرجع بثُخ المطلب، لم يسوء المتقلب، قد انتُج لوثه، وذهب دم وجهه^(١)

وامتد هذا التصور المجازي حتى العصر الحديث، فاستعمله "براون" و"ليفسون" أسساً في عملهما التداولي "الكليات في الاستعمالات اللغوية: ظاهرة التلاعب"، الذي أراداً من خلاله أن يصوغا بعض التواعد الكلية لضبط ظاهرة التلاعب بين طرفي الخطاب، وقد كانت من أهم النظريات التداولية لئراً حتى اليوم.

ولنركز هذا المبدأ على عاملين، هما :

- قيمة الوجه الاجتماعية .
- نسبة تهديد الوجه .

قيمة الوجه الاجتماعية :

يجب على المرسل أن يصون وجه غيره، فلي صيانة وجه غيره صيانة لوجهه هو أيضاً، وذلك علامة على الاحترام المتبادل والتعاون بينهما. ويقترح "براون" و"ليفسون" هذا المبدأ، بوصف الوجه هو رغبات الإنسان الأساس، فيقسمه إلى قسمين رئيسين، هما :

- الوجه الدافع "negative"^(٢)، وهو: رغبة الإنسان في ألا يعترض الآخرون على أفعاله.
- الوجه الجالب "positive"، وهو: رغبة كل واحد في أن تكون إرادته محترمة على الأقل من بعض الآخرين . نظرية الأنوار هذه، تكملها نظرية "الوجوه" بمعنى "الوجهة". إذ يرى "جوفمان" أن كل شخص في الحياة الاجتماعية له "وجه سلبي". هو الذي يتكلم عليه الميدان الخاص، أو روضة الأسرار إته مجال الممالك المحمية، كما أن لكل شخص بالتوازي مع ذلك "وجهاً إيجابياً" هو وجه الصورة التي

(١) لمعد بن معد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، لمطبع عبد محمد الجعاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٣م، ١/ ١٩٨.

(٢) د. طه عبد الرحمن في كتابه هُنا وهناك، ص ٢١٢.

تقدمها من أنفسنا إلى الغير ومن علاقتنا بالآخر. ولا يتم التواصل إلا إذا انتظم هذان الوجهان، أي أن يقع تقاطع لا يكافئ بتجدد بين هاتين القوتين المتكاملتين والمتكاملتين. يتمثل كل تواصل إذن في إيجاد توازن إجمالي بين الوجه الإيجابي والسلبية من جهة، وحق التبادلات والأحياز الخاصة من جهة أخرى، وذلك بشكل آلي بالنسبة إلى السبق الاجتماعي. ولا ينبغي أخذ لفظي "إيجابي" و"سلبى" على أنهما حكم، ولكن هما مختاران مسطلحين ريفسطين، أو فيزيقيين مثل وجهي مغناطيس. ونظرية الأديار والوجود تذكرنا بدورها بـ "مبدأ القاطع" الذي أبرزه بعض علماء الأنتروبولوجيا نمو بلستيد (R. Bastide) ⁽¹⁾.

نسبة تهديد الوجه :

يتمثل البلمتان "برلون" و"لفنسون" تصنيف عدد من استراتيجيات التخاطب لضمان الاحترام المتبادل، مما لزم عنه تصنيفاً للأفعال التي تهدد الوجه، وتحديد أثر كل منهما. ولهذا يربطان بين الأفعال اللغوية وبين نسبة تهديدها للوجه، ولتر كل صنف منها، إذ يتضح لديهما أنه من البدهي أن بعض الأفعال اللغوية تهدد الوجه حقيقة، خصوصاً الأفعال التي تتعارض طبيعتها مع إرادات طرفي الخطاب؛ ومن ثم يمكن تصنيف الأفعال التي تهدد الوجه للسلبى، وكذلك الأفعال التي تهدد الوجه الإيجابي، وفق علاقتها بكل من طرفي الخطاب.

للمرسك إليه :

يهدد وجهه للدفع كل تلك الأفعال التي لا يحرم المرسل فيها حرية للمرسل إليه، ويحاول أن يعترضها، ومنها :

- 1- تلك الأفعال التي تتطلب من المرسل إليه إنجاز بعض الأفعال في المستقبل، مثل: الأوامر، والنصائح والاقتراعات، والتذكير، والتهديد

(1) ليلب بلستيد، الطاولة من لوسن إلى جرفان، ش. سفر الفيلال، ص ٨٩، ٩٠.

والتحذير؛ لأنها تمارس بعض الضغوط عليه إما بالإقدام وإما بالإحجام.

٢- الأفعال التي تتطلب منه ردة فعل إيجابية في المستقبل، باعتبارها نتيجا عليه أن يفي به لاحقا، مثل: المرض، والوعد. فهي تسبب له إحراجا، إما بقول ذلك، وإما برفضه.

٣- الأفعال التي تعبر عن أطماع المرسل فيه، أو في بعض ممتلكاته، بما يدعو إلى الاعتقاد إما بوجوب حمايتها، وإما بمنحها إيها، ومنها: المدح، تحيرات الصد والإصجاب، وتعبيرات العطف السابقة، مثل تلك الدالة على البغض، والغضب، والشفقة.

أما الأفعال التي تهدد وجهه الجلب، فهي تلك الأفعال التي تدل على عدم تكررات المرسل بمشاعره، أو رغبته، ومنها :

١- التقييمات السلبية لبعض أفعاله، مثل : تحيرات الاستهجان، والتنقد، والمعارضة، والسخرية، إذ يعبر المرسل بهذا عن عدم حبه، أو عن عدم احترامه لبعض رغبات المرسل إليه، أو لفعاله، أو خصاله الشخصية، أو قيمه. ومنها أيضا تحيرات الاعتراض، أو عدم الموافقة، أو التحدي، إذ يشير المرسل بها إلى خطأ.

٢- الأفعال التي تعبر عن عدم تكررات المرسل بوجه المرسل إليه الجلب، مثل: إخفاقه، أو عدم توفيره، أو التلذذ ببعض الموضوعات المستهجنة أمامه، أو إعلانه بأخبار غير سارة، أو تباهي المرسل بما يسهو هو أمام المرسل إليه.

يبدو أن هناك تدخلا بين بعض الأفعال من خلال تهديدها لصنفي وجه المرسل إليه، مثل: التهديد الحقيقي، أو طلب المعلومات الشخصية^(١).

للمرسل :

اختص التصنيف الآخر بالأفعال التي تهدد وجه المرسل بشقه. فمن الأفعال التي تهدد وجهه الداخلي: التعبير عن الشكر، قبول شكر المرسل إليه، أو

(١) ع. الهادي بن ظفر قصيري، استراتيجيات الجلب، ص ١٠٢، ١٠٤.

اعتذاراته، وقبول عرض المرسل إليه، عدم الرغبة بقطع الوعد، أو للتقدم بعرض .

لما الأفعال التي تهدد وجه المرسل الجالب مباشرة، فهي الأفعال التالية:
الاعتذارات، وقبول المدح، والتقدم، والإقرار بالغبث^(١).

استراتيجية الخطاب لدى المرسل :

ويُنتج المرسل خطابه وفقاً لإحدى هذه الاستراتيجيات طبقاً لبعض المعايير السببية التي ترجح انتقاء إحدى الاستراتيجيات دون غيرها، إذ "يحدد الاختيار من بين هذه الاستراتيجيات في السياق من خلال ثلاثة متغيرات سببية، هي :

- البعد الاجتماعي بين المتكلم والسامع (العلاقة التماثلية Symmetric relation) .

- علاقة السلطة بينهما (Assymetric relation) .

- القيود التي تفرضها ثقافة معينة على المرسل ونوعية تلك القيود".

وبعد كل عنصر من هذه العناصر متغيراً، نظراً لتنوع السياقات وتغيرها، فالعلاقة الاجتماعية للتنوع بين قريب وبعد، وكذلك علاقة السلطة تتفاوت من درجة إلى درجة أخرى، كما أن لكل مكان وزمان قوياً معينة.

ويسمى كل متغير من هذه المتغيرات الثلاثة الرئيسية في تحديد المرسل لاستراتيجية خطابه المناسبة، بما يمكنه من حفظ ماء وجهه ووجه المرسل إليه في الوقت نفسه، ويتم تحديد الاستراتيجية من خلال صلية ذهنية تقوم على كفاءة المرسل للتدوير، فلو وزن فيها بين العناصر^(٢).

(١) عبد الهادي بن تاجر القمري، استراتيجيات الخطاب، ص: ١٠٩، ١٠٥.

(٢) السابق، ص: ١٠٥، ١٠٦.

مثال على مبدأ الوجه :

ويمكن أن يتضح نسبة تهديد فوجه لو حفظ مائه في السياق الثقافي (بين "معلوية بن أبي سفيان"، و"خريم الناعم". فـ"معلوية" أمير المؤمنين، وخليفة الأمة، ذو المنازل العديدة الاجتماعية والدينية. ولطُرف الأخر له مكانته، ويتمتع بعلاقة وثيقة مع "معلوية"، بالرغم من أن درجته الاجتماعية أدنى من درجة "معلوية"). وذلك في حوارهما التالي :

- "نعل "خريم الناعم" على "معلوية بن أبي سفيان"، فنظر "معلوية" إلى سابقه، فقال: أي سابقين! لو أنهما على جارية! فقال له "خريم": في مثل حبيزتك يا أمير المؤمنين! قال: واحدة بالمخري، والبدوي لظلم"^(١).

لقد استعمل "معلوية" الاستراتيجية الصريحة في خطابه، بمدح سابق "خريم" ووصفها بالجمال، ففي ذلك انتقال من وجه "خريم" فالدفع بالربط بين صفاته وبين صفات الأنثى، فالجمال عامة وجمال السائق خاصة من أبرز السمات الدلالية التي تميز الأنثى عن الذكر. وفي ذلك إهانة له. وبالرغم من احتمال الإهانة إلا أن المبرر لخطاب "معلوية" هو قوة العلاقة بينهما مما جعل "معلوية" يتلفظ بخطابه غير علني بمشاعر "خريم".

وقد أخرج الخطيب "خريم الناعم" مما وضعه في موقف يتطلب منه حفظ ماء وجهه مع عدم إخلال حق وجه "معلوية" الدافع، فكان ألمه إحدى الاستراتيجيتين، إما الصمت، أو التلطف بخطاب ماء الفاتر أن يتلفظ باستعمال الاستراتيجية الصريحة كما فعل "معلوية"، فكان خطابه :

- "في مثل حبيزتك يا أمير المؤمنين".

وينتقل "خريم" من وجه "معلوية" الدافع بمجرد رده عليه! لأن رده هو احترام على خطاب معلوية أولاً كما أن خطابه يتضمن بعض عبارات السخرية؛ مما يدل على أنه لم يعد يحيا بمشاعر "معلوية" كما كان قبل الخطاب.

(١) لسد بن سعد بن عبد ربه الأنصلي، الفتوح، ٤٦/١.

بيد أن خطاب "خريم" ينطوي على بذل بعض ماء وجهه الجالب، لتقلقه بما بذل على شبه الاعتذار المسبق، وهو نداء "معلوبة" بقلبه: يا أمير المؤمنين .

كما تلفظ "معلوبة" بخطابه، الذي أهدر به شيئا من وجه "خريم" الجالب، بقوله :

- "واحدة بلغري، وللهادي أظلم" .

إذا أنجز لفعلا لغوية هي الاعتراف الضمني والاعتذار مع تقديم على مبادرته بذلك الخطاب، كما أنه يتقص شيئا من وجه "خريم" السالب، لأنه لحرجه بقول احترامه واعتذاره أو برفضه إياد، وببقاء ذلك دينا في حقه بذل على تواضع "معلوبة" مما يمهله بفكر في مجملته في المستقبل^(١).

هرمبدأ التائب الأقصى مع معيار اللبابة :

لما مبدأ التداولي الرابع، فهو "مبدأ التائب الأقصى" الذي يورده "ميتش" في كتابه (مبادئ التداوليات) والذي يحده مكملا لمبدأ التعاون، ويصوغ مبداء في صورتين تتكئان :

إحداها سلبية هي :

- لئلا من الكلام غير الموزن ،

والثانية إيجابية هي :

- لئلا من الكلام الموزن^(٢).

وبما أن مبدأ التائب معيار مشترك بين طرفي الخطاب في لحظة التناقل إليه أو وجهين متباينين، فالتائب مع المرسك إليه يُنصني إلى عدم التائب مع ذلك، والعكس أيضا، لذا يقدو المرور لمساهمة قواعد التائب للفرجة، هو

(١) د. عبد الهادي بن طاهر القوي، استراتيجيات الخطاب ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) طه عبد الرحمن، حسن والسؤاان أو فنون الخطاب، ص ٢١٦.

تصوير هذه التباينات، وإثراها المنعكسة في استكمال المرسل للتجديدات غير المباشرة .

والثقل وفقاً لما يتضمنه هذا المبدأ، من شأنه أن يحول دون النزاع بين طرفي الخطب، كما يؤكد حضور التعاون بينهما. وبذلك يترجح حضوره على مبدأ التعاون، وهذا ما يفسر الثقل بالخطب حسب الاستراتيجية غير المباشرة، إذ إن الثقل حسب مبدأ التعاون يخل بالعلاقات الاجتماعية، عند الأمر أو لنهي لما يتضمنه من مباشرة في الخطب. وهذا ما يحدو بالمرسل إلى الثقل بما تتضمنه قاعدة اللهاقة، باستكمال التعبير غير المباشر، كما في التدرج الآتي :

- أحرني سيارتك .
- أريد أن تحرني سيارتك .
- هل يمكن أن تحرني سيارتك ؟
- لطفاً تحرني سيارتك .

إذ يحذر المرسل عن كسبية واحدة هي استمارة السيرة في المستقبل، ولكن تعبيره تدرج في اعتبار اللهاقة في خطابه، فلعلها كلها لهاقة؛ لأنه أمر صريح مما قد يؤثر بعض المعارضة والرفض. وأكثرها لهاقة هو آخرها، إذا كان ثمة لم يتبين فيه إلحاح المرسل أو محاولة إكراه المرسل إليه .

ولذلك شدّد بعض الباحثين الآخرين على توظيف مبدأ التلذّب، إذ يرى "باخ" و"هارنوش" ضرورة إضافته إلى قاعدة العلاقة في قواعد مبدأ التعاون عند "جرليس"، كما يرون ضرورة اعتبار قانون الأخلاق في الخطب، خصوصاً عند تجاوز الأعمال اللغوّة؛ فالسلوك الأخلاقي مطلب ضروري من وجهة نظرهما، وبهذا فهما لا يبحثان كثيراً عما يذهب إليه "لويس"^(١).

قواعد التلذّب المتفرعة على مبدأ التلذّب الأقصى :

تتفرع على مبدأ التلذّب الأقصى قواعد ذات صورتين: سلبية وإيجابية :

(١) د. عبد الهادي بن ظافر الشويخ، استراتيجيات الخطب ص ١١٢، ١١٣.

١- قاعدة التباينة، وصورتاها هما على التوالي :

أ- قلل من خسارة الخير،

ب- أكثر من ربح الخير.

٢- قاعدة السفاء، وصورتاها هما :

أ- قلل من ربح الذات،

ب- أكثر من خسارة الذات.

٣- قاعدة الاستئصال، وصورتاها هما :

أ- قلل من ذم الخير،

ب- أكثر من مدح الخير.

٤- قاعدة التوليع، وصورتاها هما :

أ- قلل من مدح الذات،

ب- أكثر من ذم الذات.

٥- قاعدة الاتفاق، وصورتاها هما :

أ- قلل من اختلاف الذات والخير،

ب- أكثر من اتفاق الذات والخير.

٦- قاعدة التماثل، وصورتاها هما :

أ- قلل من تناقض الذات والخير،

ب- أكثر من تماثل الذات والخير^(١).

نقد مبدأ التائب الأقصى :

(١) د. حله عبد فرسن، حسن واليزان أو الدكتور الحكيم، ص ٢١٩، ٢٢٠.

لما كانت قاعدة التباينة هي السبب الرئيسي في استعمال المتكلم للتعبير غير الشائعة، فيبدو أن "ليس" يرد إليها قواعد القالب لـ "الكوف" وخطط التواجه لـ "برلون" و"ليفنسن"، ذلك أنه جعل للتباينة درجات، وبنى هذه الدرجات على سلم الاختيار المستند من "الكوف"، وسلم السلطة وسلم التضامن المستمد من "برلون" و"ليفنسن"، متحققا إليهما سلم الربح والخسارة الذي أتى به من بعده. أما القواعد الأخرى، وهي قاعدة السقاء، وقاعدة الاستحسان، وقاعدة التواضع، وقاعدة الاتفاق، وقاعدة التماثل، فتقتضي بطوركاف مؤمنة للمتكلم تنفيذ حصول عمل تهنئتي منتصف بوصف التقرب؛ وعلى هذا فإن مبدأ التآكلب الأقصى الذي تتولد منه هذه القواعد وتمثل مبدأ التواجه من جهة اعتباره للبعد التقريبي من العمل التهنئتي الخاص بالمخالطة.

بيد أننا نلاحظ أن هذا التقرب يشوبه الميل إلى التظاهر، والنزعة إلى الغرضية، بمقتضى أمرين اثنين: أحدهما، الخاصية اللاتناظرية لمفهوم التآكلب الأقصى، والثاني، خاصية الربح والخسارة لمفهوم التباينة والسقاء.

لما للخاصية اللاتناظرية لمفهوم التآكلب الأقصى، فستضاهيها أن كل ما كان مؤدبا بالمتباعدة للمخالطة فهو غير مؤدب بالنسبة للمتكلم والمكس بالمكس، وقد جاءت قواعد التآكلب الأقصى كلها لفئة بهذه الخاصية، بحيث إن كل ما حسن في حق أحد المتخالطين أتبع في حق الآخر؛ فإذا كان المدح مثلا حسنا في حق المخالط، فإن المتكلم يتصور به، بل الذم هو الحسن في حقه. لكن هذا التصور للتآكلب الأقصى يجعل من التآكلب محل تنازع بين المتكلم والمخالط، فإذا ألد منه أحدهما، لا يفيد منه الآخر؛ والملاحظ أن ما كان من التآكلب لا يتم إلا إذا انتفع به طرف واحد، لا يمكن أن يكون تآكلا صادقا، ذلك لأن التآكلب الصالح من شأنه أن ينتفع به المتخالطان معا ولا يتضرر به أي منهما^(١).

لما خاصية الربح والخسارة لمفهوم التباينة والسقاء، فستضاهيها أن الأقوال والأفعال التي يأتي بها المتكلم والمخالط تكثر بحسب الفائدة التي ليرها، لكن هذا التصور للأقوال يجعل من السبل التهنئتي للمخالط صلا أشبه به "للمعاملة التجارية" منه بالمعامل الأخلاقي، إذ يصور ملقوما بـ "الخدمات" التي يقدمها كل

(١) د. ج. عبد الرحمن، حسن وقبحان أو شعور القابل، ص ٢١٨.

من المتكلم والمخاطب، بمعنىهما إلى البعض، إن لم يكن متقوماً بأصناف من "المصالح" تنزل فيها علاقة المتكلم بالمخاطب منزلة علاقة المدين بالدين؛^(١) فالذي يطلب من غيره لمرأ يكون كمن حصل على "خدمة" منه، والذي يكون قد وقع منه أي لغيره، يكون كمن عليه دين الاختيار، حتى إذا عفا عنه هذا الغير، كان صفوه بمنزلة إغناء لهذا الدين. وحتى صار العمل التهديبي قلماً على مفهوم الخدمات والمصالح، فلا يمكن أن يكون عملاً تهديبياً خالصاً، ذلك لأن العمل التهديبي للخاص من شأنه أن يقوم على التقييم والمعايير المتحوية، فبرئتي الدخول فيه عن النظر إلى علاقته بالغير من جهة ما يحقته من أغراض.

ولما كان مبدأ التائب الأكس، وإن اتبني على التقرب، ذهب فيه مذهبه بجعله قلماً على الظاهر وعلى تحصيل الأغراض، لزمنا طلب مبدأ يأخذ بالتقرب، لكنه يرفع عنه الظاهر، فيكون تقرباً صادقاً، كما يجرد من الفرضية، فيجعله تقرباً خالصاً^(٢).

ومبدأ القصد :

ملهمه لغة^(٣) :

يطلق القصد على معان كثيرة منها:

الأول : الاعتماد والامتناع، والتوجه تقول: قصده، وقصد له، وقصد إليه إذا آمنه، ومنه أيضاً : قصده السهم ، إذا أصابه فقتل مكانه^(٤).

الثاني : استقامة الطريق، ومن ذلك قوله تعالى: (وَظَلَى اللَّهِ قُصْدُ السَّبِيلِ) (التحلق/ ٩)، قال ابن جرير : « والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه »^(٥).

الثالث : التحذير، والوسط وعدم الإفراط^(٦)، فمنه قول الله تعالى: (وَالْقَصْدُ بَيْنَ مَشْيِكَ وَالْعَصْفَيْنِ أَنْ تَكُونَ الْخُسْفَىٰ) (القصص/ ١٧)، (المعجم/ ١٩).

(١) طه عبد الرحمن، الحسن والوزان أو التوازن المطلق، ص ٢١٩.

(٢) محمد بن فارس، معجم اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد حارون، دار الفكر، ١٤٢٩هـ، ١٩٧٧م، ص ٩٥٥.

(٣) الطبري، جامع البيان عن تفهيم أي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المسعود التركي، دار مجهر، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ١٧/ ١٧٩.

(٤) ابن منظور، لسان العرب ٢/ ٢٥٢.

ومنه ما روي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه قال : « كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلته لسهلاً وخفيفته لسهلاً »^(١) أي : وسطاً بين الطويلة والقصيرة .

الرابع : التقرب ، يقال : بيننا وبين السماء ليلة القعدة : أي هيئة سهلة ، ومنه قوله تعالى : (لَوْ أَنَّ هَذَا قَرِيبًا وَمَتَرًا فَاَصْبَحْنَا لِلْآيَاتِ كَوْنًا) (التوبة/ ٤٦) ، «أي : موضعاً قريباً سهلاً»^(٢)

اصطلاحاً

التقصّد فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم ، أو هو دراسة معنى المتكلم^(٣).

آراء الفيلسوف فيه :

فقد « جعل كل من أرسطو Austin وسرل searl المقصّد مركزاً في التفرّق بين المعنى التحديري "معنى الكلام في المقنوط" ، وقوة الأفعال القرصية أي : النتيجة التي يقصّد المرسل نقلها »^(٤).

ولقد بنى (ديوجراند) مفهومه للنص على مفهوم التقصّد ، إذ يقول : « إن النص تجلّ لعل إنساني ينوي به شخص أن ينتج نصاً ويوجه السامع به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة ».

وولم يضح من كلام (ديوجراند) أنه لا بد من توفر إرادتين للمرسل : هما : إرادة التكلم باللفظ اختياريّاً ، وإرادة مرجبه ومقتضيه^(٥).

كما تناول "جرانيس" مفهوم التقصّد من خلال تعريفه للدلالة غير الطبيعية موضحاً أنه المعنى بالاهتمام وأن القائل إذا قصد شيئاً ما من خلال جملة معينة ، فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يلفظ بهذه الجملة ليقاها للتأثير في مخاطبه بفعل فهم هذا المصطلح لنتيجه. ويرتبط مفهوم الدلالة غير الطبيعية ارتباطاً وثيقاً بمعنى التقصّد. وهكذا يشدّد "جرانيس" في التوصل للتعوي على لوليا القائل وعلى فهم المصطلح لهذه التوليا^(٦).

(١) لمخرجه منظم في (مصحفه) من حديث جابر بن سمرة تعليق : عبد القززال مسعود فراقه الطبعة الأولى مركز القائل فيلاني حديث رقم ٨٦٦.

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ٣/ ٣٥٢.

(٣) ديمسود نيلان ، أفاق جديدة في البحث اللغوي فيليبس ، ص ١٢.

(٤) ديمسود نيلان ، أفاق جديدة في البحث اللغوي فيليبس ، ص ١٨٩.

(٥) نفس المصطلح والأجزاء ، ص ١٩.

(٦) أن بولك ، وجهه موشتر ، هداية القوم (مجموع جود في التوصل) ، ص ٥٣.

أراء القدماء فيه :

فلقد ذهب بعض الأصوليين إلى تعريف قنية بالقصد والعزم ، قال النووي : «قنية هي القصد إلى الشيء ، والعزيمة على فعله ، ومنه قول الجاهلية : نوافه لطف بحفظه ، أي قصدك به »^(١) ، وقال القرطبي : « هي قصد الإنسان بقلبه ما يريد به فعله »^(٢) .

وتعريف النووي والقرطبي لقنية بالقصد والعزم من باب التوسع في الاستعمال ؛ وذلك لتقاربها في المعنى . وأكد القرطبي ذلك في موضع آخر ، فقال : « قنية والقصد والعزم مقاربة للمعنى »^(٣) .

والأصوليون شموليون على أن الحرية بالمقاصد والذوات ، لا بالأفعال والأفعال المجردة . ومن أظهر بالأفعال والأقوال دون النظر إلى القنية والقصد بكون قد جنى على الشريعة ؛ لذلك يقول ابن القيم : « إياك أن تهمل قصد المتكلم وذنبه وحرقه فتجني عليه وعلى الشريعة وتنسب إليها ما هي بريئة منه »^(٤) .

دلالات مفهوم القصد :

وقد تحدثت دلالات مفهوم القصد في المعالجات النظرية ، فهو دل على أحد ثلاثة :

دل على الإرادة ، أو دل على معنى الغمط ، أو دل على هدف الخطاب .

١ - القصد بمفهوم الإرادة : يؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه ، فتصبح الأعمال تلزمة للمقاصد المبتغاة لدى فاعلها ، لا تلزمة لشكلها الظاهري فقط ، وذلك مثل بعض الأعمال المتعلقة بالصدق ، فعندما

(١) الخطيب القرطبي ، مواهب الجليل للشرح مشتمل الفقيه كشاف ، ذكرها سيرته دار عالم الفقه ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م ، ٢٢٠/١ ، النووي في شرح شرح الشهاب ، طبعة كلية معية لكافة الفقه والقوانين ، دار الفقه ، دمشق ٢٠٠٢ م .

(٢) القرطبي ، مخيركة كشاف : مسند جدي ، ١٤ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٤ م ، ٢١٠/١ ، ومواهب الجليل ، ٢٢٠/١ .

(٣) القرطبي ، الأنوار في بركات القنية ، تحقيق ودراسة : د . مساعد بن سالم الفلاح ، ١٤ ، مكتبة الحرمين ، الرياض ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م ، ص ١٢٦ .

(٤) ابن القيم إمام الحرمين ، ١٧/٣ .

ينوي المتزوج أن يدفع للصدوق إلى المرأة، فإنه يأخذ حكم الزوج، أما عند ورود التوبة بعدم الوفاء فإنه يتصف بحكم آخر. وكذلك من استدان ديناً ولم ينو الوفاء به، فإنه يُعَدُّ سارقاً .

وما يمارسه النفس في عمل بعض العقود التي تظاهرها البيع وبلطنها الربا، ليس إلا حيلة ظاهرية لا تشفع لهم لأن "الأعمال بالنيات"^(١). وما هذه الحيل إلا إستراتيجيات صممة يمارسها الناس للوصول إلى غايات يبتغونها، وعليه فإن هذه الإستراتيجيات لا تقف حائلاً دون معرفة مقاصدهم منها.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن قصد المربح باعتباره إرادة يؤثر في خطبه بدرجة أقوى، خاصة في إنجاء الفيل النوبي؛ لاحتضاره على توفر الإرادة من صميمها. وكذلك في ترتيب الخطاب للتشليل عليها^(٢).

إننا نستطيع القول بأن تبحث في كيفية الوقوف على مراد المتكلم، وللخلل الذي يقع في ذلك يؤثر بثلاثة أشياء، هي :

الأول : الألفاظ وما تحمله من دلالات :
ونذلك لأن الألفاظ قد تحمل أكثر من دلالة، وقد يحورها احتمالات تؤدي إلى الخلل في فهم مراد المتكلم .
الثاني : للمتكلم نفسه :

إن معرفة مدى صدق المتكلم ورغبته في توصيل مراده إلى المستأصطب، وعادته في كلامه، والطرق التي يسلكها في توصيل مراده، كل ذلك يؤثر في الوقوف على مراده^(٣).

الثالث : المستلقي :
إن قدرات المستقين على فهم مراد المتكلم من كلامه تختلف اختلافًا كبيراً وهذا يرجع إلى أمرين؛ الأول : التفاوت في الأذهان، والثاني : التفاوت في تحصيل التوسل التي تعين على معرفة مراد المتكلم، وهي لا تتوقف على الألفاظ وحدها، فإن « دلالات الألفاظ ليست لذاتها بل هي تابعة لتعدد المتكلم وإرادته »^(٤).

(١) إسترطبيات الخطيب ص ١٨٩ .

(٢) ينظر ذا المنسحر خير الفقيه القرطبي بين الفهم والسموع، مجلة الفلك والفهم، عدد خاص لشبوات المشرق العربي ثلاث كلفة الألسن، جامعة القاهرة ٢٠٠٦ ص ٨٠٢ .

(٣) الأدبي الإحكام في أصول الأكتاب ص ١٢ .

ولهم بنية الحالات للتسدية، كالاتقاد، أو الرغبة، أو الرجاء، أو الخوف، أو الإدراك البصري، أو بنية أداء فعل ما. نحتاج أن نجري تمييزاً بين محتوى الحالة ونسب الحالة الذي توجد عليه. هكذا، على سبيل المثال، يمكننا أن نرجو أن تمطر، أو نخاف أن تمطر، أو نعتقد أنها ستمطر. في كل حالة من هذه الحالات، لدينا المحتوى نفسه - وهو أنها ستمطر - غير أن المحتوى يُقَدَّم لنا في أنماط فسدية مختلفة. وهذا التمييز بين المحتوى وأنماط يُرَحَّل إلى الإدراكات والأفعال التسدية. نستطيع أن نرى أنها تمطر، بمجرد أن نعتقد أنها تمطر، ونستطيع أن نتوي الذهب إلى السينا بمجرد أن نرهب لو أنك ذهبت إلى السينا. في جميع هذه الأمثلة، المتغيرات هي قضايا كلية و لديها شروط الحقيقة^(١).

٢. القصد بمعنى المتكلم : لا يتجسد القصد إلا بالقلمة، إذ جُعلت عليه دلالة، "لأن الله تعالى وخب الألفاظ بين عباده تعريفاً ودلالة على ما في نفوسهم، فإذا أراد أحدهم من الأخر شيئاً حركه بمراده وما في نفسه بلفظه، وربط على تلك الإرادات والمقاصد أحكامها بولسطة الألفاظ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من أحكامها بولسطة الألفاظ"^(٢).

وهذا الكلام يشبه كلام "ابن جني" في حاجة الاعتقاد إلى القول، وذلك لأن "الاعتقاد إلى القول، يخفى فلا يُعرف إلا بالقول، أو بما يقوم مقام القول: من شاهد الحال؛ فلما كانت (الاعتقادات) لا تظهر إلا بالقول سميت قولاً؛ إذ كانت سبباً له، وكان القول دلالة عليها، كما يُسمى باسم غيره، إذا كان ملائماً له (.....) فالجواب أنهم إنما فعلوا ذلك من حيث كان القول بالاعتقاد أشبه منه بالكلام؛ وذلك لأن الاعتقاد لا يُفهم إلا بغيره، وهو العبارة عنه، كما أن القول قد لا يتم معناه إلا بغيره (....) والقول قد يكون من المقتر إلى غيره (....) فكان إلى الاعتقاد المحتاج إلى البيان أقرب، وإن يعبر به عنه ليق" (٣). ولذلك، فهناك من يرى أن للتعبيرات قد تؤكد المقاصد التي هي المعاني نفسها، مثل "تشاطبي" الذي عُدَّ فصلاً تحت عنوان "للمعاني هي المتصورة (.....) ومنها: أن يكون الاعتداء بالمعاني، وإلما أصلحت الألفاظ من أجلها. وهذا الأصل معلوم

(١) عن ميرزا الباق والفتاح والشيخ (فتاوى في العلم القرآني)، ترجمة سيد القاسمي، ص ١١٦، ١٥٠.

(٢) ابن قيم الجوزية، إعلام السالكين من رب الملقون، ١١٧٣.

(٣) ابن جني، الفصاح، تحقيق محمد علي الجوزة، طبعة تفسيرية العامة للكتاب، ١٩٩٩ م، ٢٠١، ٢١.

عند أهل العربية؛ فالتلفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى المقصود^(١).

وقد قسم ابن القيم الألفاظ بالنسبة للمقاصد إلى ثلاثة أقسام، وذكر الرأزي قسمًا رابعًا لذلك.

قال ابن القيم: «الألفاظ بالنسبة إلى مقاصد المتكلمين ونياتهم وإراداتهم لعمادتها ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يظهر مطابقة القصد للفظ، والظهور مرادف تنتهي إلى اليقين والقطع بمراد المتكلم بحسب الكلام في نفسه وما يقرن به من القرائن المعالية واللفظية وحال المتكلم به وغير ذلك، كما إذا سمع المائل والمارف بالقصة قوله ﷺ: (إنكم مشرؤون ربكم هذا)؛ كما ترون الشعر أوله البدر ليس بوجهه سبحانه، وكما ترون الشمس في الظهيرة صحوًا ليس بوجهها سبحانه، لا تضارون في رؤيته (لا كما تضارون في رؤيتهما).

القسم الثاني: ما يظهر بأن المتكلم لم يرد معناه، وقد ينتهي هذا الظهور إلى حد اليقين بحيث لا يشك السامع فيه، وهذا القسم نوعان: أحدهما: أن لا يكون مرادًا لمقتضاه ولا لفرد، والثاني: أن يكون مرادًا لمعنى يخالفه؛ فالأول كالمكره والقسم والمجنون ومن اشتد به الغضب والمسكران، والثاني: كالمعرض والموتى والمفلز والمتأول.

القسم الثالث: ما هو ظاهر في معناه ويحتمل إرادة المتكلم له ويحتمل إرادته غيره، ولا دلالة على واحد من الأمرين، واللفظ يدل على المعنى الموضوع له، وقد انتهى به اختيارنا^(٢).

وأما القسم الرابع الذي ذكره الرأزي، فهو: أن يقصد المتكلم معنيين مختلفين، قال: «لأنه ربما لا يكون المتكلم واقفًا بصحة الشيء على التحين إلا أنه يكون واقفًا بصحة وجود أحدهما لا محالة حينئذ يطلق اللفظ المشترك، إنلّا يكذب ولا يكذب ولا يظهر جهله بذلك فإن أي معنى يصح فله أن يقول أنه كان مرادًا^(٣)».

(١) الشنقي، الموقفات في أصول الشريعة، ٣١٦/٢.

(٢) إعلام المرئيين، ٨٦، ٨٧.

(٣) الرأزي، المسؤل في علم أصول الفقه، تحقيق: محفل لسان عبد البرجورد، على منصف معرض، ط٢، مكتبة نزار سبستان، تبرك، مكة المكرمة، الرياض، ١٤١٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ١/١٣٦.

وعليه يمكن القول إن للشكل الخطابي ليس كافيًا للدلالة على قصد المرسل في فعل لغوي معين؛ مما ينتج عنه زوجًا من للعلاقة بين شكل الخطاب والقصد، فقد يطابق شكل الخطاب قصد المرسل، وقد لا يطابقه. وينتج عن هذا التفاوت بين علاقة القصد بالشكل خياران، يستعمل المرسل أيهما شاء للتعبير عن قصده وفق ضلوس السياق. ويتحدد كل خيار في ما يمكن تسميته بـ"استراتيجية"، يكون معيارها هو دلالة التشك على القصد. فيتلور طبعًا لهذا المعيار استراتيجيتان، ولا يحول هدف للخطاب الرئيس دون اختيار إحداهما دون الأخرى^(١).

للمجمل والكلمات معان بوصفها أجزاء من الجملة. ويتحدد معنى الجملة بمعاني الكلمات، والترتيب اللغوي للكلمة في الجملة. غير أن ما يعنيه المتكلم بمنطوق الجملة يعتمد، ضمن حدود معينة، على مقاصده. لأنه لا يستطيع أن يقول أي شيء، ويعني كل ما يحلو له. لا يستطيع مثلاً، أن يقول: "ثلاث زائدًا اثنين تساويان أربعة"، ليعني أن "شكسبير" كان شاعرًا وممرحًا ممتازًا. في الأقل لا يستطيع أن يقول ذلك دون مزيد من التهيئة المناسبة. ومعنى الجملة هو بالكامل معاكسة أحرف اللغة، غير أن الجمل هي أدوات للتفاهم والكلام. وهكذا ورغم أن اللغة تمارس الإكراه على معنى المتكلم، فإن معنى المتكلم يبقى للصورة الأولية للمعنى اللغوي؛ لأن المعنى اللغوي للجمل يؤدي وظلفة تكون متكلمي اللغة من استعمال الجمل؛ لكي يعوا بها شيئًا في المنطوقات. ومعنى منطوق المتكلم هو للفكرة الأولية عن المعنى لأهملنا في تحليل وظائف اللغة^(٢).

وقد اختلف علماء الأصول في أيهما أولى بالاختيار القصد بمعنى الإرادة أم القصد بمعنى المتكلم؟ فترى أن المقصد ليست تكملاً، وإنما هي الأساس في الخطاب، كما في صريح القرد مثلاً. وهذا ما يسمى بالإرادة البليطة، إذ يجعل "ابن قيم الجوزية" "قاعدة الشريعة التي لا يجوز عهدها أن المقاصد والاحتياجات محبذة في التصرّفات والعبارة كما هي محبذة في التقريبات

(١) د. عبد الهادي بن طاهر التبريد، استراتيجيات الخطاب، ص ١١٦.
(٢) جين ميوله، العقل واللغة والتعبير (الطبعة في العلم الفرنسي)، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

والمبادئ: فالقصد والفئة والاعتقاد يجعل الشيء حلالاً أو حراماً، وصحيحاً أو فاسداً، وطاعة أو معصية^(١).

وفريق آخر يرى أن العبارة هي بالقصد للظاهر من صيغة القصد، أي ما يتلطف به المرسل، حتى لو لم تتفق مع قصده الباطن، لأنه يصعب التأكيد من المقاصد عند مخالفتها لمقتضى الإنطباع، وهذا ما يحدث في الإستراتيجية الشخصية، مثل قول المرسل: نتوخى خدمة المجتمع بكل ما أوتينا من قدرة. فالمرسل يودع المرسل إليه بأنه في خدمته، وقد لا تكون حقيقة الأمر كذلك، فخطابه مجرد تقرب منه ليكسب لفته، ويميل إليه دون غيره، وليس للمرسل إليه إلا لفته بظاهر التلطف^(٢).

٣- القصد بمعنى هدف الخطاب:

١- مفهوم الهدف:

الهدف هو "ما يسمى المرسل إلى تحقيقه بالعلم"، وما هذه الأفعال إلا الأعمال الخيرية التي يجردها المرسل في الخطاب.

ويمثل الخطاب نشاطاً تواصلياً، موجهاً إلى تحقيق هدف: وقد أجمع عند من قبلين على هذا الأمر، بل عدوا التوجه لتحقيق الهدف هو ما يجعل من الخطاب فعلاً لغوياً، وهذا يؤدي إلى اعتبار أن لكل خطاب هدفاً، انطلاقاً من أن "الهدف هو القوة الدافعة التي تقف خلف للتواصل الإنساني؛ ومن ثم فالهدف يؤثر في إنتاج المفردات كما يؤثر كذلك في تأويلها. وتساعد الأهداف على تحديد علاقة الأفعال بالمفردات فتتلطف بالتعبيرات التي نعتقد أنها ذات علاقة بالهدف الذي نريده". والهدف من عناصر السياق التي تسبق إنتاج الخطاب، وله بذلك دور في التأثير على المرسل وتوجيهه في اختيار الإستراتيجيات الخطابية؛ من حيث أدواتها ولفظها اللغوية المناسبة التي تكفل تحقيقه^(٣).

(١) ابن قيم الجوزية، إعلام المرءين عن رب العالمين، ١٠٧/٣، ١٠٨.

(٢) أسرار الهيئات الخطابية، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٣) د. عبد الهادي بن طاهر القيرواني، أسرار الهيئات الخطابية، ص ١٤٩.

بـ أنواع هدف الخطب :

ويتكوّن الهدف من مستويين: نفعي، وكلي، فالمستوى النفعي يقع خارج الخطب، وهو الغاية الفعلية التي يريد المرسل أن يحققها: مثل: تحقيق الأهداف الاجتماعية كالمصالحة بين متخاصمين، أو الأهداف التنظيمية مثل تنمية قدرات الطلاب، أو الأهداف الاقتصادية مثل جذب رؤوس الأموال للإسهام في التنمية، أو الأهداف العسكرية مثل استسلام العدو، أو الأهداف السياسية مثل البدء في التفاوض الدبلوماسي بين بلدين .

أما الهدف الكلي فيتمسّد في الفعل القوي الذي يمارسه المرسل من خلال عملية التفتّط بالخطب، بغض النظر عما إذا نجح في تحقيق الهدف النفعي أم لا . وهو الخطوة الضرورية التي يتوصل بها المرسل إلى تحقيق الهدف الأول^(١).

جـ- أهمية هدف الخطب :

ثلوي بعض المناهج للغة الهدف أهمية قصوى في دراستها، إذ تُعنى "المناهج الوظيفية، في الأصل، بالمعالجة التداولية لألف مُستعمل للغة، التي يحققها من خلال أشكال لغوية معينة (....) ومن ثم تفترض أن ما تتجزء المفردات من وظائف، هو تجسّد لتلك الأهداف".

ويتبوأ هدف الخطب أهميته انطلاقاً من أن "كلّ سلاح من أخطر أنواع الأسلحة النفسية للسيطرة على الأعمال والأشياء، وما أمر للدعاية بالخطب والإعلانات بالأمر الهين. وفي الانتخابات التثاقفية والمحاكم غالباً ما يكون الجاذب للظفر لئلاّ الجهتين على استخدام سلاح اللغة"^(٢). ولأنه من أهم عناصر السياق، فإن له دوراً موجّهاً في اختيار الاستراتيجية ذاتها، بل إنه عنصر أساسي من عناصر تعريف الاستراتيجية، في نظر "ملان ديلاك"، الذي يعرفها "بأنها التصور عن أفضل السبل الفعلية من أجل تحقيق الهدف".

(١) د. عبد الحادي بن هاجر القنيري، استراتيجيات الخطب، ص ١١٩، ١٥٠.
(٢) د. تمام حسام، مناهج البحث في اللغة، دار الفيلسوف، ١٤٠٠م، ١٣٥٤هـ، ص ١٠.

ولا تقتصر أهمية الهدف على مجال تحليل الخطاب ذاته، بل إن الهدف عنصر مهم من عناصر وصف الدروس اللغوية، وتفسيرها في بعض علوم اللغة، إذ نجد حاضراً في بعض الأبواب النحوية والصرفية والبلاغية^(١)، ومن ذلك ما يدل به ابن جني إذ قدّ فصلاً في الخصائص سماه "مطلب في إصلاح اللفظ"، أشار فيه إلى أثر هدف الخطاب في الصناعة اللفظية، أي ما يمارسه المرسل عند إنتاج خطابه استجابة لنوع سببية، ولأن الالفاظ على المراد من المعنى، أي على هدف الخطاب، محصلة، فإن العرب قد عذبت بها^(٢)، اقتنع ذلك من قوله: "ومن إصلاح اللفظ قولهم: كان زيداً صرور. اطمأن أصل هذا الكلام: زيد كسرور، ثم أرادوا تأكيد الخير فزادوا فيه (إن) فقالوا: إن زيداً كسرور، ثم إنهم بالغوا في تأكيد التشبيه فقدموا حرفه إلى أول الكلام عطية به، وإعلاماً أن هدف الكلام عليه، لما تقتضت الكلف وهي جارة لم يجر أن تبشر (إن) لأنها ينقطع عنه ما قبلها من العوامل، فوجب لذلك قبحها، فقالوا: كان زيداً صرور"^(٣).

وبين النص السابق أن هدف المرسل هو التشبيه، ولذلك اقتضت استراتيجيات الخطاب المباشرة أن يبني المرسل خطابه في أكثر من مرحلة، ليحقق به هدفه في أوضح صورة وأقوى درجة، ولهذا صعد إلى استعمال لغة التقديم في الأدوات (الكاف)، بعد أن استعمل أداة التوكيد المنطوق لسياق الخطاب. فحقق الهدف، وهو إغيار المرسل إليه بالتحية بين صرور وزيد، بل زاد على ذلك بأن بالغ في التشبيه لتقريب صورته ويصف درجته إلى أقصى حد يستطيعه^(٤).

د. أثر الهدف في بنية الخطاب :

يولي المرسل هدف الخطاب أولوية عند إنتاج خطابه في بعض المواقف مثلاً يفيد في الخطاب التوجيهي^١ إذ يكون التوجيه أولى من إبراز ذات المرسل أو سلطته، وكذلك أولى من التركيز على إبراز ذات المرسل إليه^٢ لأن المرسل

(١) د. حمد الهادي بن طاهر الشويح، استراتيجيات الخطاب، ص ١٥٢.

(٢) همان نامه ص ١٥٢.

(٣) ابن جني، الخصائص، ٣١٧/١.

(٤) د. حمد الهادي بن طاهر الشويح، استراتيجيات الخطاب، ص ١٥١.

يكتفي - لإدراكه ذلك- ببنية الخطاب المعينة التي تعيد ظاهر الخطاب إلى أصل تركيبه اللغوي وإشاريته. فالخطاب التالي :

- ممنوع الدخول .

يبدأ بكلمة ممنوعة في قالب اسم المنعول، بيد أنه يمكن للمرسل أن يصوغ خطابه في أكثر من قالب لغوي، مع المحافظة على وضوح الهدف، من خلال خطابات بدلية من حيث التركيب، من قبيل :

- أُنْصَح من الدخول .

بهناك ذات للمرسل وللدلالة عليه يعرف المنعوعة في الفعل المنعوع الذي يمثل (الأنا) صاحبة السلطة، والإشارة إلى المرسل إليه، بالأداة اللغوية للدلالة عليه (الضمير المتصل الكاف) .

وهذه الأولوية هي التي تجعل الاستراتيجية للمباشرة أكثر حضوراً في بعض أنواع الخطابات، في حين تكون التضامنية أو التوجيهية هي الاستراتيجية الفلسفية في سياق آخر^(١).

هـ- أثر التقييم في تحديد هدف الخطاب :

يوظف المرسل هذه الآليات الصوتية في بعض الاستراتيجيات الملزمة لظاهرة للتكذب مثلاً، بسبب من هدف الخطاب، الذي يوجه المرسل إلى انتقاء ما يناسب منها، فمن أداب المرسل "أن يراعي مخار. كلامه، بحسب مقصده وأهراضه، فإن كان ترغيباً قرنه باللين واللفظ، وإن كان ترغيباً خلطه بالخشونة والحنف، فإن لحن اللفظ في الترهيب - وخشوعته في الترحيب خروج عن موضعهما، وتمثيل للمقصود بهما، فمصدر الكلام لغزاً، والغرض للتقصود لهو^(٢).".

(١) ج. البكري بن خلف الشيرازي استراتيجيات الخطاب، ص ١٥٤.

(٢) الفارابي، أدب الدنيا والدين، ص ١١٨.

ويمكن تحقيق الهدف بمجرد التصويت بالخطاب التثني، وذلك كما في الحوار التالي بين الطارق وصاحب الدار :

- الطارق: هل يوجد أحد في الدار؟
- صاحب الدار: لا، لا يوجد أحد!
- الطارق: للسلام عليكم ورحمة الله وبركته.
- صاحب الدار: وعليكم السلام ورحمة الله وبركته، تفضل بالدخول!

إذا حقق الطارق هدف الخطاب، وهو السؤال، وكان ولئماً في قصده الذي يتطابق مع دلالة الخطاب الحرفية. أما خطاب صاحب الدار لمجعله التثني هو التثني، ولكنه في الوقت نفسه إخبار بأنه موجود، لأنها ستطفي دلالة التصويت على دلالة الخطاب التثني، وهم التمازض الظاهر بينهما، لذلك لا تفي باللائحة لتحقيق هدفه دون الالتفات إلى ما قد يمارضه من تركيب الخطاب أو دلالة المجمية

أنواع القصد:

١. مؤخر "سورل" بين القصد للذي يمتلكه البشر والحيوانات جوهرية، وذلك النوع من القصد الاستثنائي للكلمات والجمل والصور والمسططات والكتابات، كما مؤخر هذين النوعين من القصد عن نسبة القصد استعمالها، التي لا تنطوي حرفياً على لاداءه بالقصد، بل هي مجرد تشبيه بـ "كان". وقد مثل لذلك بالأقوال التالية :

أ. أنا جائع جداً الآن.

ب. في الفرنسية: "Je grand faim en ce moment" تعني أنا جائع جداً الآن.
ج. التباينات في حديثي جائعة للمخيلات.

تحول هذه الأقوال الثلاثة جميعاً إلى ظاهرة القصد للجوع، غير أن وضع النسب الثلاث مختلف تماماً. يبين القول الأول القصد الداخلي للمتكلم، فهو يمتلكه بصرف النظر عما يملكه أي شخص آخر عنه. ويبين القول الثاني أيضاً القصد بالمعنى الحرفي، لكن القصد المتمثل في الجملة الفرنسية ليس داخلي، بل هي مستمدة من القصد الداخلي للتألفين بالفرنسية. وهذه الجملة نفسها يمكن أن تستخدمها الفرنسي لكي يعني بها شيئاً آخر، أو ربما لكي لا تعني أي شيء على

الإطلاق. وبهذه الدلالة فإن معناها ليس بدخلي للجملة، بل هي مستمدة من التفاعلين اللذين يشكلون قصد داخلي. وكل معنى لغوي مستمد من قصد .

ولا يبين القول الثالث أية قصد بالمعنى الحراري على الإطلاق. فـ "الجرع" الذي تظهره نباتات حديقتي ليس سوى أداة تشبيه خلاص "كان". فهي تلوي لتفقد المغذيات، وأنا أصف وضعها تشبيها لها بالناس والحيوانات. أنا أنسب لها قصد لا تمتلكه في الواقع، وإن كانت تنصرف وكان لديها قصد؛ ولذلك فهناك نوعان من القصد الأصلي، الدخلي والمستمد، ولا يُعد قصد التشبيه بـ "كان" نوعاً ثالثاً. لأن التشبيه بـ "كان" ليس سوى نسبة مجازية أو استعارية. والقول إن كذا ما لديه قصد تشبيها بـ "كان" ليس سوى طريقة في القول إنه تنصرف وكان لديه قصد، بينما هو في الحقيقة لا يمتلكها^(١).

٢. كما حُز "سرير وولسن" بين نوعين من القصد: مقصد تبلغ محتوى، ومقصد تحقيق هذا القصد نتيجة للعرف المغلوط عليه، ويسميان أولهما بالقصد الإخباري وتأتيهما بالقصد التواصلية

أولاً : القصد الإخباري : أي ما يقصد إليه القائل من حمل مُخاطبه على معرفة معلومة معينة .

ثانياً : القصد التواصلية : أي ما يقصد إليه القائل من حمل مُخاطبه على معرفة مقصده الإخباري .

إن تعريفات "سرير وولسن" للمقصد الإخباري والقصد التواصلية - مع أن العديد من منظري التواصل لا يرون ضرورة إلا للمقصد الإخباري - هما من العوامل التي تجعل صياحي نظرية المناسبة من بين ورتة "جرايس" ولو أن تعريفاتهما للدلالة الطبيعية لا تشبه التعريف الذي يقدمه "جرايس" لها. كما يصبح الأمر أكثر بالنسبة إلى مفهوم آخر اقترحه "سرير وولسن"، وهو مفهوم التواصل الإشاري الاستدلالي المرتبط مباشرة بالمقصد الإخباري والقصد التواصلية^(٢). وننقل على الفرق بينهما بقه عندما نقول عند مزيد مثلاً إنها

(١) حين حول القائل وولسن من ١٣٩: ١٤١، ينصرف.
(٢) أن يولد وجه سرشار، فتدلياً يوم (علم جيد في التواصل) من ٧٩، ٨٠.

لصوبت بوعكة يوم العيد فهي أولاً: تقصد الإخبار بهذا القصد وثقناً: تقصد شيئاً آخر خافئاً هو أن تخلق لدى زيد الاعتقاد بأنها مريضة، وإذا فرضنا أن زيداً يعرف هذا القصد، ولكنه لا يثق في كلام هذه، فإن قصدها الخافئ هنا لم يتحقق، وما تحقق، هو التقصد الإخباري، ولهذا لم تستطع هذه إقناع زيد بقصدها للخافئ رغم أنها لم يفتته بما تريد^(١)، ولذلك ينكر "سيرل" أن تقلل جملة ما مقصداً مزدوجاً يتمثل في إيلاج محتوى جملة، والإعلام بهذا القصد الأول، بموجب قواعد تواضعية تتمكم في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة^(٢).

(١) د. عبد السلام حشور، عندما أقراصل لغوي، ص ٥٤.
(٢) أن يولي، وجاه، موشتر، القنولية اليوم (علم جديد في القراصل)، ص ٥٤.

الباب الثاني
الاتجاه الوظيفي

الفصل الأول

مفهوم الوظيفة وأهم أعلامها

مفهوم الوظيفة :

لغة : يقول "ابن منظور" (وظف: الوظيفة من كل شيء: ما يتكرر له في كل يوم من رزق، أو طعام، أو علف، أو شرب، وجمعها الوظائف والوظائف. ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً، لزمها إياه، وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل)^(١)، فالوظيفة صوماً هي الدور.

لما مفهومها الاصطلاحي قد عرفت بمفاهيم متشعبة خلال تاريخ الأسماء، منها :

١. إقامة صلة بين المتكلم والسماع: بناءً على تصنيف لطرز الجمل، يتم التأكيد على أن المتكلم يريد إما نقل عنصر معرفي أو الحصول على معلومة أو إصدار أمر.
٢. بلورة الفكر والتعبير عنه: يبين اللسان الجهد الذهني المؤخذ الذي يدخل الوحدة على التقنية في المعمل التجريبي. وهكذا تكون ماهية اللغة بلاغات فعل تمثيل الفكر.
٣. التواصل: استحصل نظام نقل مرسال. يشكل هذا المرسال تحليلاً لأي تجربة إلى وحدات استوية. فوسمح بذلك للبشر بإقامة الصلات فيما بينهم .

لا تبدو هذه التخصصات دائماً على هذه الدرجة من الحسم فقبلاً لبحر "رولان بربال" "لسان افترع لكي يسمح للبشر بأن يتقنوا الأفكار فيما بينهم. ولكن لكي يسمح للكلام بهذا التواصل، لا بدّ له من أن يكون صورة للفكر، مما يتطلب

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٨/ ١٦٠، ١٦١.

بلى تكون البنى للتخوية بمثابة نسخ للبنى الفكرية فتمه نواصير بين الوظيف والواصلية والوظيف التمثيلية، للثانية وسيلة للأولى^(١)

وقد عرف "مدرسة مارتينيه" في كتابه "عناصر الفلسفات، لأممية" وظيفة اللغة بأنها أداة للإبصار. كما يرى أنها مزودة البناء. وكذلك يرى أنها تتناسب مع تنظيم خلص لمصطلحات للتجربة للثانية^(٢).

ويتبين مما سبق أن وظيفة التواصل لمد أهم وظائف اللغة، وتتمثل في نقل معلومة من المتكلم إلى المسموع، أو التعبير عن فكرة، أو إصدار أمر أو الاستئذان من شيء، فجميعها وظائف تؤديها اللغة لإقامة التواصل.

وقد أسهم في نشأة الاتجاه الوظيفي كثير من الباحثين، الذين رفعوا راية لدرس اللغوي الحديث في أوروبا وأمريكا، وسجل أهم هؤلاء العلماء موضحين أهم أفكارهم فيما يلي:

أولاً: مدرسة براغ

هي واحدة من أهم المدارس اللغوية في العالم، وظلت إسهاماتها في حالة حركة دائمة عبر عقود القرن العشرين، ومازال فاعلاً في مطلع القرن الحادي والعشرين. أما الطريقة التي نشأت بها، فقد بدأت بتشكيل فريق من اللغويين التشيك والروس وغيرهم اجتماعاً وصغراً (١٩٢٦م)، يعتمد على ميلاي وأفكار "دي سوسير" في اللغة، باعتبارها نظاماً من الرموز، وتميزت بأراء أعلامها بالربط بين اللغة ووظيفتها أي تحليل اللغة بهدف الكشف عن وظائف مكوناتها البنوية، وهو مبدأ وسمة فارقة بينها وبين المدارس الأخرى المعاصرة لها.

ويذكر لهذه المدرسة شغفها بالجوانب الجمالية والأدبية في الاستعمال اللغوي، وتجاوزهم منهج الثلاث عند الوصف إلى التفسير^(٣). كما يذكر لهذه المدرسة أن الاتجاه الوظيفي بدأ يبرز إلى الوجود وتكون ملامحه على يد

(١) بول فاورماتسكيان باليونان، ينقل إلى الألمانية، ترجمة بلال رحمة، المغرب، ١٩٩٢، ص ٨٨.

(٢) د. منار حجازي، الفلسفات ودلالة "الكتابة"، ط١، مركز الأبحاث المنشوري، ط١، ١٩٩١، ص ١٣٦.

(٣) د. أسد هرايج، الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الفلسفية، مكتبة الأنجلو، ط١، ٢٠٠٩، ص ١٦٥، ١٦٦. وينظر كذلك: فصول في درس اللغوي، ط١، دار فضاء، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٧٥.

أعلامها الذين استلغوا من أراء "دي سوسير" بقدر ما استلغوا منطلقاتها النظرية في أصلها، وكونوا لأنفسهم نظرية لغوية^(١) على أنها لم تحدد منهجها إلا بالانطلاق من تحديد اللغة من حيث كونها نظاماً وظيفياً، يرسي إلى تمكن الإنسان من التعبير والتواصل. فإذا كان دور اللغة هو توفير أسباب التواصل، فإن دراسة اللغة ينبغي أن تراعي ذلك، فكل ما يضطلع بدور في التواصل ينتمي إلى اللغة، وكل ما ليس له مثل هذا الدور فهو خارج عنها، فالأولى وحدها هي التي لها وظيفة؛ ومن ثم أطلقت لوظيفة على العمل أو الدور للمؤن (التبليغ)، كما تصفت "مدرسة براغ" باهتمامها بالوظيفة حيث يقول أحد الباحثين : "إن أخص شيء تمتاز به هذه الدراسة عن غيرها هو اعتقادها الأساسي على العمل (أو الدور) الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليغ؛ ولهذا سميت الفرضيات المتفرعة عنها (ومنها مدرسة مارتين الفرنسية) بالوظيفية"^(٢).

وقد تجاوز اهتمام مدرسة براغ حدود الدراسات اللغوية الضيقة، فغاصوا في الدراسات الأدبية والجمالية، حتى أنهم لاهموا أحياناً بنخب المنهجية، وإخراجهم البحث اللساني عن طابع العلمية، وهي حقبة لكنها "سفسون"^(٣).

وقد تبلورت أفكار "مدرسة براغ" في مرحلتي هي :

١. قد اعتبرت "مدرسة براغ" هذا المنطلق لتدريس خاصة الأصوات، وتجنباً منهجاً للتمييز بين ما هو وظيفي فيها وما ليس وظيفياً، وكان "تروبيستكوي Tronbestkoy" هو الذي يطور في أحدى مظهر نتائج أعمالها في كتابه: "مبادئ الأصوات الوظيفية"^(٤). كما اعتبرت مدرسة براغ والتحليل الوظيفي للجملة، والمستويات الثلاثة للجملة: للنحوي، والصرفي، والدلالي، تتفاعل

(١) عبد القادر الشهيري ومحمد فتحي: لم يفكر في اللغة، ط٢، منشورات المعهد القومي للدراسات والبحوث، تونس، ١٩٩٠، ص ٤٠.

(٢) عبد الرحمن الحاج صالح، منطلق إلى علم اللغات الحديث، ط٢، مجلة اللغات، الجزائر، شباط ١٩٩١، ص ١١٧.

(٣) جفري سانسون، مدارس اللغات - عشاق والتطور، ترجمة د. محمد زكية كحل، ط٢ جامعة الملك سعود، ١٩٩٧، ص ١١٧.

(٤) عبد القادر الشهيري ومحمد فتحي: لم يفكر في اللغة، ص ١١٧.

خلال عملية الاتصال اللغوي لتنتج الكلام الذي يقوم بالتعبير عن الوظيفة المقصودة من تفاعل هذه المستويات وهي التواصل^(١).

٢. "ماتهيوس Mathesius"

ثم جاء "ماتهيوس" موضوعاً تطور "مدرسة براغ" في تبلي الاتجاه الوظيفي؛ ففكر قائلًا: "حققت الأفكار التي أذاعتها مدرسة براغ اللغوية نجاحاً سريعاً لأنها لم تكن وليدة المسئلة، وإنما كانت نقيـبـ"ضرورة فكرية ملحة" لدى هذه المجموعة العلمية الدولية". وتعد بلويبة براغ خطوة في تطوير الفكر النظري الذي ساد القرن العشرين: فهي كانت بمثابة محطة من محطات النموذج المعرفي ما بعد الوضعي في اللغويات والنشيرية، الذي استلهه "دي سوسير" والشكلانيون الروس^(٢).

٣. لويس هيلمسليف "L. Hjelmslev" (ت ١٩٦٥م)^(٣).

أ. ثم اسهم "هيلمسليف" بفكرة تحليل المعنى، وذلك بالكشف عن الوظائف التي تحده، مشيراً إلى أن دخول الشكل اللغوي في إطار علاقات بنية معينة، هو الذي يحدد وظيفته ويصلبه معناه^(٤).

ب. كما جاء "هيلمسليف" بالجلوسقية التي حلت الوظيفة من خلال فهم رياضي صارم. علاقة تسمية بين كلمتين، علاقة تنشأ بين نقطتين ثابتتين في هذه العلاقة الدائرتين.

ج. ولم يجوز "هيلمسليف" أن تصنف وحدات لغوية ما إلا طبقاً لوظيفتها وليس طبقاً لمعناها.

د. إن "هيلمسليف" لا ينفي عن اللغة وظيفتها، والليل على ذلك ما كني به "جون دويوا" في معجمه، حيث يقول إن "هيلمسليف" بهتم بالوظيفة في إطار العلاقات اللغوية التي تربط بين الجمل في اللغة، لكنه يضيف قائلًا: "بين النص اللغوي ومتناز يكونه قايلاً للتحليل إلى وحدات جد صغيرة، حكس

(١) اقتباس شارده، القسبي الفرنسي في نصو التحرير والتقريب لأن مشهور "مدرسة القاهرة نموذجاً". رسالة ملجستو، جامعة الجزائر، كلية الآداب، ٢٠٠٥، ١، ص ١٠.

(٢) لويوسر بولوايه بلويبة مدرسة براغ، ترجمة حمام نليله مشهور ضمن كتاب من تشكيلات إلى ما بعد القنوية، (تراف. د. جابر صغور)، ط ١، القيس الأمي للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٦.

(٣) ينظر لك: اصول في القوس اللغوي، مدرسة كوبنهاغن، ص ٢٤.

(٤) در تمام حائل، اللغة بين السهوية والفلسفة، ط دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، دت، ص ١٢١، ١٢٢.

ما نجده في بعض الأشكال من التواصل، مثل إشارات المرور الضوئية للحمرء والخضراء... فإنّ نظهر اللغة كنظام من الأشكال خلافاً لأنظمة التواصل المضافة من علامات غير قابلة للتحويل، مثل إشارات المرور والنظام الحركي ... إلخ»

ويُستبعد من كلامه أن وظيفة التواصل قائمة في اللغة، غير أنه من الأولى والأحق أن يولي الباحث اللساني اهتمامه واهتمامه لدراسة هذا النظام لا من ناحية وظيفته كوظيفة - أي الفلية منه والنتج الذي نحله منه- بل يجب أن يخلص من هذا الجانب ليدرس اللغة، كميدان للبحث خلص ومتجرد عن باقي الجوانب التي نحتاج فيها إلى استعارة مناهج أخرى؛ لكي ندرس بها اللغة، وعليها أن نهتم بالوظيفة التي تكمن في العلاقات اللغوية .. وذلك القصر "مولمسليف" في ميدان بحثه على اللغة^(١).

٤. جاكوبسون "R. Jakobson" (١٨٩٦-١٩٨٢م).

أ. كان "جاكوبسون" من أبرز علماء اللسانيات الذين لفتوا الانتباه إلى وظائف اللغة، وأن مفهوم اللغة يجب أن يُدرس بوصفه نظاماً وظيفياً، وأن الكشف عن هذا النظام إنما يتم من خلال وظيفة العناصر الداخلة فيه^(٢).

ب. يعتمد "جاكوبسون" من جهته على وظائف الكلام (في نظرة المتكلم من كلامه)، ونظرة السامع، وعلى الرسالة، والسياق، وعلى الاتصال بين المرسل والمستقبل، وعلى محدد الكلام "code" فكلاً عناصر تبهم في تحديد الوظيفة الاتصالية أو التعبيرية أو التنظيمية الإنشائية أو الشعرية أو وظيفة الحد أو الربط للمعنى فيما بينها^(٣).

ج. أهم الملامح للوظيفية عند جاكوبسون .

١- تنقية التفكير الأكاديمي :

(١) ر. رابن نور الفون، نظرية التواصل والسميات السنية، ط١، مطبعة ملوس عام ٢٠٠٧، ص ١٤٧.

(٢) يُنظر: الوظيف عند جاكوبسون، ص ١٤١.

(٣) د. محمد السامير جاني، المدرس السنية في التراث العربي، ص ٧٦.

يرى "جاكوبسون" أن العلاقة الثنائية تسيطر على مختلف المستويات اللغوية، فكما نجدتها في الأصوات، نجدتها في الدلالة وفي غيرها^(١) ومن العلاقات الثنائية التي نقرأها:

- أ. التزامن والتعاقب.
- أ. المحور الاستبدالي والمحور النظمي.
- أ. الانتقاء والتنسيق (انتقاء الكلمات والتنسيق بينها في الجملة).
- أ. قلعة الهدف/ وما وراء القلعة فالهدف من اللغة هو التواصل، وما وراء اللغة هو شرح المبهم من الكلمات.
- أ. الخطب الخارجي والخطب الداخلي بين مرسل ومستقبل، أو أن يمثل أحدهما الدورين.
- أ. ثنائية السمات للتصنيفية^(٢).

٢- التفرقة بين النحو والدلالة :

يرى "جاكوبسون" أن النحو يهتم بعلاقات البنية الخطية والتركيب فيما بينه، أي يهتم بمحور للتتابع (السلسلة المنطقية) وتعتمد الدلالة على إبراز التفرقة بين التركيب؛ أي يهتم بمحور الاستبدالات^(٣)، وهذا قد يؤدي بنا إلى اعتبار وظيفة وعظيمة صنعها، وذلك كون النحو الوظيفي لا يحصر دراسة النحو في البنية الظاهرة فقط بل يراعي ملائمتها للخطب، وحال المخاطبين، ومقاصد الكلام وأغراضه^(٤).

ثانياً: المدرسة الفرنسية .

لم تتبلور للنظرية الوظيفية في كل مظاهرها مع مدرسة براغ، فقد تواصل بنائها وصقلت مبادئها ومفاهيمها في فرنسا عن طريق "إيميل بنفيسنت" و"أندريه مارتنيه".

(١) قلعة الطبل، بركاء، نظرية الألفية عند رومان جاكوبسون، ط١، المؤسسة العلمية الفرنسية، ولفتر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص٢٢.

(٢) سابق لسمه، ص١٠.

(٣) سابق لسمه، ص١١.

(٤) القاموس الشارح لسمه، القاموس العربي في النحو، قصير وقصير، ابن خلدون، مطبعة جامعة الجزائر، ص٢١.

١ - التعريف به :

هو لسانى فرنسي، اهتم بالبحر اللغوي الهندلوروي، وفتح نظرية
للجذر الثلاثي (صامت، صامت، صامت)، ونقش نظرية "دي سوسر" حول
اعتباطية الإشارة .

كما يُعد "إميل بنفنيست" واحداً من لطلاب المدرسة الوظيفية، ومن أهم
علماء اللغة المعاصرين. وير أن اختصاصه تجاوزت إطار هذا التخصص الضيق
نوعاً ما، حتى عدت لفظة اللغة هي شغله الشاغل، وظاهر أنه تكرر في ذلك
بمدرسة أوكسفورد الإنجليزية، وهو ما يبدو جلياً في كتابه (فصلها اللسانيات
العلمية)^(١).

بعد خصائص النظام السيميولوجي عنه :

يركز "إميل بنفنيست" - سواء في طرحه اللساني كما في طرحه
السيميولوجي - على سمة الوظيفة التي تتصف بها جميع أنظمة التواصل، وهو
القول: «إن السمة التي تقسم بها شتى الأنظمة، التي تمثل المعول الذي يجعلها
تدخل في نطاق السيميولوجيا، هي قدرتها على الدلالة أو مدلولتها وتكونها من
وحدات دلالية أو "علامات". ويجب علينا الآن أن نصف خصائص الأنظمة
ال مميزة .

إن لنظام السيميولوجي يتميز بالخصائص التالية:

١. كبنية تأدية للوظيفة.
٢. مجال صلاحية.
٣. طبيعة علامته ووعدها.
٤. نوعية توظيفه.

(١) د. وليس نور الدين، نظرية التواصل والعمليات السيميائية، ص ١٢٨، ١٢٩.

فكما كيفية الثانية للوظيفة، فبها الطريقة التي يعمل بها التنظيم ولا سيما
الحلقة (البصر، السمع... إلخ) التي يخلطها .

ولما مجال الصلاحية فيه المجال الذي يفرض التنظيم نفسه فيه بحيث
يتعلم لتعرف عليه وقباعه. وأما طبيعة العلاقات وحدها فهي رهن الشروط
السلفاة الفكر، وفيما يتعلق بنوعية التوظيف، فإن العلاقة هي التي تربط بين
العلاقات، وتمنح كل علامة وظيفة متميزة أو مستقلة عن الأخرى^(١).

وبعكس "ليميل بنفوسيت" هذا الرأي قائلًا: «إن النظرة السيميولوجية
تقلب هذه العلاقة بحيث إن اللغة وحدها هي التي تسمح بوجود المجتمع، فكلغة
هي التي تجمع البشر، وهي أساس العلاقات التي تؤسس المجتمع».

وإذا نظرنا بعين الحقيقة، فإن اللغة لم تلت إلا لتعزز جانب التبادل القائم
بين بني البشر، ولا سيما في المعاملات المالية. فإذا كان الإنسان قد اعتد
العصر الذي يجمع بينه وبين أخيه الإنسان، فقد ألى على نفسه أن يعبر صا
شعر به ليتبادل بتلك المنافع، سواء أكانت مادية أم ممتوية لم خيالية.

ج - وظيفة اللغة في إقامة التواصل :

يتكرر "بنفوسيت" أن اللغة: «تتمثل في القول الذي يحول إلى موقف ماء فإذا
تكلمنا فليكن نتكلم دائمًا عن شيء ما - يتكون من حيث الشكل من وحدات مستقلة
تمثل كل واحدة منها علامة».

وتنتج اللغة وتُستعمل في إطار أهم إشورية مشتركة بين أعضاء مجتمع
واحد، وتمثل اللغة أيضاً التحقق الوحيد للتواصل بين ذات المتكلم وذات
المخاطب. وتمثل اللغة لهذه الأسباب مجتمعة التنظيم السيميوطيقي الأمثل،
وتصطبنا فكرة واضحة عن وظيفة العلامة، كما تتفرد بتقديم صورتها
للمتكلمين^(٢).

(١) : رابن فور هين: نظرية التواصل والمخاطب المبدئية ص. ١٢ - ١٣٢.

أ- التعريف به :

يُعد "أندريه مارتنيه" من أخلص أتباع منهج "ترويتسكى" في مجال اللغويات، وهو من أكبر المؤيدين للمعيارين لأفكار مدرسة براغ، ويُعتبر مفهوم الإنتاج الوظيفي للتكامل الصوتي من أهم المفاهيم الأساسية التي أعتد عليها "مارتنيه" لتفسير التغيرات الصوتية^(١)، كما أنه يعد وظيفة التواصل من أهم وظائف اللغة، حيث يقول: "من هنا نرى أنه ينبغي للغة أن تُخدم كوسيلة تواصل بين جماعة لغوية واحدة، وعليها أن تتلائم في كل لحظة مع متطلبات هذه الجماعة، ينبغي أن تتطور"^(٢).

ب- أهم أفكاره :

ويمكننا أن نستخلص مما كتبه "أندريه مارتنيه"^(٣) بعض القواعد الوظيفية منها :

١. وظيفة اللغة :

يعد " مارتنيه " الوظيفة التواصلية للوظيفة الأساسية للغة في المجتمع اللغوي، وهذه الوظيفة تزودها اللغة باعتبارها مؤسسة إنسانية، رغم اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر، فهي الوظيفة الجوهرية للغة عنده، ولكنه لا ينفي بقوة الوظائف التي تزودها اللغة، بل يقرُّ بها ويعدّها ثانوية، كما يرى أن اللغة ليست نسخاً للأشياء ونقلًا لآثارها، بل هي بنى منظمة ومتراصة ومتكاملة، يتطلع المتكلم من خلالها إلى عالم الأشياء والأحاسيس، وهو ما ينتج الخبرة الإنسانية فتُعلم لغة أجنبية مثلاً لا وطني وضع علامات جديدة

(١) جورج مولان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة د.عبد الحفيظ عزوي، وزارة التعليم العالي، ط٣، سورية، ديتس، ١٩٧١.

(٢) أندريه مارتنيه، وضعت الأفكار، حوار ثلاث ترجمة نادر مزراح، ط١، دار الكتب الجديدة، طبعته ٢٠٠٧، ص ٣٢٠.

(٣) ديفيد إي. هيلفيلد، اللغة (١٩٦٠م)، وظيفيات اللغة (١٩٧٠م)، اللغة وظيفية (١٩٧٠م).

للأشياء المألوفة، وإنما هو اكتساب نظرة تحليلية مغايرة؛ بالتحرف على بنى لغوية تمكس الواقع بطريقة مختلفة عن اللغة الأم^(١).

٢. ذكر "مدرسه" مارتينيه " ثلاثة اتجاهات رئيسية ذات علاقات حميمة فيما بينها، وهي^(٢):

- اتجاه الفونولوجيا (علم الأصوات العام) ويمتشي بخطط الأصوات العامة ووصف صورها (الفونولوجيا الوصفية).

- اتجاه الفونولوجيا الوظيفية (العلم بتطور الأصوات عبر الزمن).

- اتجاه اللسانيات العامة.

٣. التقطيع المزدوج :

هذا التقطيع يظهر في ميل الإنسان إلى التعبير عن أفكاره، ورغباته، الأفكار، واهتماماته الشخصية، التي تمثل تجربة في جوهرها وسمى لإيصالها للغير، ويكون ذلك إما بصيغة فرح أو صرخة ألم، وإما بحركة دالة، وهذا السلوك لا يرقى إلى مستوى الإيلاج اللغوي؛ لذلك تفككه التجربة الإنسية التي تهمرت صياغتها في اللغة إلى سلسلة من الوحدات الدالة، ثم إلى عدد من الوحدات الصوتية^(٣). وبعد مارتينيه " التقطيع المزدوج أساس نظريته، الذي يرى فيها أن اللسان البشري يختلف عن بقية الوسائل التكنولوجية لكونه مزدوج للتقطيع، أي أن الأقوال اللسانية تتكون من مستويين مختلفين هما :

- مستوى التقطيع الأول^(٤)؛

(١) - ميلل زكريا، الإنسية (علم اللغة الحديثة) كلمات شيبينا، ط٢، دراسة فلسفية لدراسات وفننر وفيلز، بيروت، ١٩٨٥م، ٢٥٢، ٢٥٤.

(٢) - محمد سعيد بنقي، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٦٦-٧٠.

(٣) - رونالد لافور، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر هادي، منشورات وزارة التربية والتعليم العالي، الجمهورية العربية السورية، ١٩٨٠م، ص ٨٦.

(٤) - نسان يوراف، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٠٥.

وفيها نحصل على وحدات ذات مضمون معنوي (المملول) وصوت ملفوظ (دال)، وتسمى هذه للوحدات مონيمات، مثال : ولجعد/ ت / د ر س / ي

نلاحظ أن هذا المثال يحتوي على أربعة مونيمات متتلفة، ويسمى معنى كل لفظة مملولا، وصيغتها الصوتية دالا، وهي وحدات صغيرة يستحيل تحليلها إلى وحدات دالة أصغر منها، ويمكن أن نستبدل بها وحدات أخرى ضمن قائمة مفتوحة، مثل ككتب درسي، قرأت قصتي، ... الخ .

ويمكن تقطيع المونيمات إلى وحدات دنيا سلبيضا. مجردة من كل دلالة، ولكنها مميزة تسمى فونيمات، وهي محدودة في كل لغة^(١)، مثال: كتب عسر درسه، نزل القرآن بلسان عربي .

تقطع (كتب) إلى ست وحدات مميزة أي ستة فونيمات: / ك / ت / ب / و كذلك نزل : / ن / ل / ز / ل / د / ل /

تطلقا من هذا يكون التقطيع المزوج قانونا أساسيا من قوانين اللغة البشرية^(٢).

٤. وتطلقا من التمييز المهم بين الظواهر الصوتية والظواهر التكنولوجية (الحرفية والوظيفية) يضع " مارتنيه " في تقابل الشروط الضرورية للتواصل حيث يشترط وجود أقصى ما يمكن من الوحدات التي يشترط فيها أن تكون على جانب أكبر من الاختلاف، مقابل بذل أقل ما يمكن من الجهد بحد من الوحدات الأقل تباها^(٣).

(١) ملهم بها من بعض صوري: الصلوات الفصحى (علم ترتيب) الجزائر، ١٩٩٠، ص: ٧٤.

(٢) د. أحمد سبكي: مباحث في الصلوات، بيان الصلوات الجماعية، طرابلس، ١٩٩٤، ص: ١١٢.

(٣) د. محمد الصغير بناني: مدارس الصلوة في التراث العربي، ص: ٧٠، ٧١.

* والبحث عن الانسجام بين هذين الشرطين يؤدي إلى الاقتصاد اللغوي أو إلى تمسين المردود الوظيفي .. فكل وحدة من وحدات العبارة تصبح خاضعة إلى نوعين من الضغوط المتتابلة^(١):

- ضغط نبري نتج عن تعاقب الأنطاف في سلسلة الكلام، وبه (تجانب) بين الوحدات المتجاورة وضغط عمودي تفرضه الوحدات أو الكلمات المنحدرة في السدى والتي كان بالإمكان أن تحل في ذلك الموضع .

- فالضغط الأول قائم على التمثال، والضغط للثاني على التباين، وهذا الاتجاه الوظيفي يظل الوظيفة نفسها إلى التركيب النحوية.

* كما ميز * مارتنيه * بين الكلمات الوظيفية .. فيكون التمييز بين الأدوات التي لها الصدارة، وبين الأدوات المتممة التي تأتي في آخر الكلمة أو بين التصيغ المرفوعة التي تحين الهيئة، أو الجهة، أو العدد، أو أدوات التعريف والتذكير، وهو ما سيتضح فيما يلي :

٦. الدراسة التركيبية :

استطاع * مارتنيه * أن يطور التحليل التركيبي للجملة، انطلاقاً من النتائج التي توصلت إليها للدراسة التكنولوجية، فوضع القواعد الأولية لهذا التحليل الذي يقوم على أساس وظيفة العناصر اللسانية في التركيب وطرق ترتيبها^(٢).

ومن الملاحظ أن التحليل التركيبي في اللسانيات قد تخلى -سنة عاملة- عن مصطلح (كلمة) لما قد يحدثه من اضطراب في المفاهيم؛ ولأنه يطلق على وحدات صغيرة أوتن معنى كلمة مثل: من، وعلى، وعل... ويطلق أيضاً على وحدات ليست صغيرة، وتتكون من عناصر لكل واحد منها وظيفة، مثل: خرج، ولخرج، فكلها يتضمن الحروف الدالة على الخروج، ولخرج يتضمن زيادة على ذلك الصيغة الدالة على الأمر الموجه للمغلب المفرد المذكور، لهذا كان

(١) - محمد الصغير بلقي، مدارس لسانية في غرب العربي، ص ٧١

(٢) - محمد صلي مياست في اللسانيات، ص ١١٢.

من الضروري توخي مصطلحات أكثر دقة، تفي بمفهوم للوحدة الصغيرة، وقد استلحمت للنظرية الوظيفية على هذا المفهوم بالمونيم^(١).

ويرى " مارتينه " أن العلاقة التي تربط المونيمات في النظام اللغوي تتجلى في حالات، هي :

أ. العلاقة المستقلة :

هي وحدات دالة تتضمن في بنيتها دلالة وظيفتها، وتمثل في الظروف مثل : اليوم، غدا، أحياء، ... والعلاقة التي تربط هذه للوحدات بخبرها من الألفاظ قائمة على أسس دلالتها الفئوية، لا باعتبار مواقعها في التركيب، أو توضعها بترتيب مثل :

حُرِّمَ الأديب لأم .

لفظة (لأم) يمكن أن تظهر في مواقع مختلفة، إذ يمكن القول أيضاً:

لأم حُرِّمَ الأديب .

وحُرِّمَ لأم الأديب^(٢).

ب. العلاقة الوظيفية :

لا وظيفة لها في حد ذاتها، بل تساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى، كما يمكن لها أن تستقل بنفسها في السياق اللغوي الذي ترد فيه، مثل: حروف الجر، ولغات التنصّب والجزم في العربية، نحو: ذهب الطالب إلى الجامعة .

(إلى) لفظة وظيفية، لا وظيفة لها في حد ذاتها، لكنها تجر الاسم الذي يأتي بعدها -الجامعة- وظيفية (فيكون اسماً محذورا)^(٣) .

(١) وهناك مصطلحات أخرى لفظة مونيم، منها الترجمة الفرنسية (نظم)، المناسخ الفنية المتعددة ص ١٠٨.

(٢) منهم بها حر ويحي صوي . القاموس المعاصر ص ٧١ - ٧٢.

ج. اللفظة التابعة :

هي اللفظة المقترنة باللفظة الوظيفية التي تحدد وظيفتها، مثل الاسم للمجرور المقترن بحرف الجر، فلفظة (الجامعة) في المثال السابق هي لفظة تابعة مقترنة باللفظة الوظيفية (إلى)^(١).

وهناك لفظة تابعة مقترنة بالموقع تحدد وظيفتها من خلال موقعها، فتغير الموقع يؤدي إلى تغير وظيفتها النحوية مثال: زارنا عبد الكلية: (الكلية) مضاف إليه وهي لفظة مقترنة بالموقع .

د. العبارة المستقلة :

تتألف من لفظة وظيفية مقترنة بلفظة تابعة، لا تحدد وظيفتها النحوية من خلال جزء واحد من عناصرها، بل من خلال تركيب العناصر مجتمعة، ومنه على سبيل الفكر: الجار والمجرور، والمضاف والمضاف إليه، والذات والمنعوت،.... مثال :

زرت مع صديقتي معرض الكتاب.

عبارة (مع صديقتي) تدل على المعية لا تفهم من خلال جزء واحد من العبارة، بل من خلال ارتباط المنصتين معاً، ويجوز تغيير موقعها.

هم المركب الإنشائي^(٢):

هو القوة التي تقوم على أسسها الجملة، وترتبط ارتباطاً مباشراً أو غير مباشر بالعناصر اللسانية، مثال: اليوم تنتصر على العدو .

(١) عبد القادر السجوي، ومحمد الشلبي، علم المدارس السلفية، من: ٤٨.

(٢) المدارس السلفية المفسرة، من: ١١٠.

هذه الجملة تحثري على لفظة مستقلة (اليوم)، وعبارة مستقلة (على المدور) ولفظة (تنتصر) مكثفة بنيتها قادرة على إنشاء رسالة دون أي إضافات أو إحقاقات، ومن ثمة فهي تسمى المركب الإنشائي، وكل ما يضاف لها يسمى لفظة أو إحقاقاً لأن الكلام يستقيم بدونها من الناحية الوظيفية، ولا يخبر للعلاقات بين المنطوق المسافة؛ ولهذا فوظيفتها غير أساسية. وإذا تحلقت تعلقاً مباشراً بالمركب الإنشائي فهي تؤدي وظيفة أولية، وإذا تحلقت تعلقاً غير مباشر به فهي تؤدي وظيفة غير أولية، مثال: اشترى المعلم كتاباً قيمًا للفتنة (كتاب) مفعول به مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالمركب الإنشائي، فهو يؤدي وظيفة أولية ولفظة (قيماً) نعت، يتعلق تعلقاً غير مباشر بالمركب الإنشائي عن طريق المفعول به؛ ولذلك فوظيفته غير أولية. وكـ ميز " مارتينييه " بين نوعين من الإحقاق هما :

- الإحقاق بالمحط :

هو الذي يبقى الكلام مطابقاً لبنية الجملة للنواة، إذا حذف العنصر الأولي (المحطوف عليه)، مثال: حضر للعشاء والأشراف، فإذا حذف المحطوف الأولي (العشاء) تصبح الجملة (حضر الأشراف) مطابقة للجملة الأولى.

- الإحقاق بالتبعية :

ويختلف عن الإحقاق الأول، ففيه يتميز الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر الأولي (المتبوع)، مثال: كفاءه بهجزة كبيرة من الكتب

لا يمكننا حذف العنصر الأولي (جائزة)؛ لأن وظيفته التركيبية تختلف عن للعنصر التابع (كبيرة). ومفهوم الإحقاق عند " مارتينييه " يتضمن وظائف مختلفة: كالنعت والوصف إليه والمفعول والمحطوف. ومن منطلق التماثل الوظيفي للبنية التركيبية، يُعرف الجملة بقوله: هي كل تركيب تتصل عناصره بركن إنشائي وحيد أو متعدد عن طريق الإحقاق^(١).

(١) د. أحمد صليبي، مباحث في السبوت، ص ١١٤، ١١٦.

٧. أشكال الوحدات التركيبية :

تتخذ الوحدات التركيبية أشكالاً مختلفة، فثارة تكون مجرد ألفاظ بسيطة، وثارة أخرى تطرأ عليها ظواهر تجعل منها ألفاظاً من نوع خاص، الألفاظ المميزة والمندمية، والمفروقة والمشاركة، وثارة تكون مزلفة من جزئين فالكثير على شكل صوغ مركبة، تحمل صل الوحدة التركيبية الواحدة: للصيغة الاتحادية والصيغة التركيبية.

أ. اللفظة البسيطة :

هي الوحدة الدنيا للتقطع الأول مزودة بدال ومدلول، ويمكن أن نستبدل بها وحدات أخرى على المحور الاستدلالي في المحيط نفسه، مثال :

أحمد طالب نجيب:

يمكن أن نستبدل باللفظة (نجيب) وحدات أخرى على المحور الاستدلالي، مثال:

مجتهد، كسول، ذكي، مجر.

كما يمكن لللفظة البسيطة أن تقرر بوحدة أخرى على المحور التركيبي، مثال:

هذا طالب نجيب، جاءت طالبة نجيبة، انتهت بنجباء القسم.

ب. اللفظة المتمترجة :

ويكون فيها الدال منطوقاً على مدلولين أو أكثر ولا يمكن فصلهما من الناحية الشكلية، مثال: صيغة جمع للتكسور في اللفظة (أبطال) لها مدلولان، أحدهما يمثل معنى لمفرد (بطل) والثاني يمثل معنى الجمع، ولا يمكننا التمييز الخطي بين المدلولين في أبطال حين يسهل ذلك لسميخ الجمع السلام، مثال: مسلم، مسلمون، مسلمت، فمدلول للمفرد ومدلول لجمع يمثلهما في جمع للتكسور دال هو الدال المتمترج (أبطال).

ج. اللفظة المفروقة :

هي عكس اللفظة الممتزجة، وفيها يتجزأ الدال إلى جزئين أو أكثر؛ لتحديد مدلول واحد غير قابل للتجزئة، مثال: أوردت للممرضة ثوبها.

تدل على التثنية في هذا المثال ثلاث علامات هي :

(ت) في (أوردت)، و(ة) في (الممرضة)، و(ها) في (ثوبها)^(١).

د. اللفظة الاحتمية أو الصغرية :

هي غواب شكلية متوقعة، ويرمز لها أثناء التحليل بعلامة تفصلية على شكل صفر (0)، ويوضح ذلك في اللغة المكتوبة بوجود علامتين شكليتين هما الفتححة والهاء المربوطة مع المؤنث وغوبها مع المنكر، مثل:

معلم ① معلمة

مدرس ② مدرسة

كما تتجلى في الأفعال، مثال : كتب ③ كتبت = كتب + ت.

هـ. اللفظة المشتركة :

هي دال واحد يتقاسمه مدلولان أو أكثر، ولا يمكن استقلالها بمدلول واحد يحدده السياق، مثال: لتقسم، لصيغة المضارع نجده مع: المخاطب للمفرد المذكر (تنت)، مع الغائب المفرد المؤنث (هي).

و. الصيغة الاحتمية :

هي وحدة قابلة للتحليل شكلاً ومغنياً إلى وحدتين دلتين أو أكثر، إلا أنها لتتصرف تركيبياً كمفردة واحدة وتتحدد لأداء وظيفة واحدة، مثال : (جولت

(١) المدارس الصغرية المتوسطة، ص ١١٢، ١١٣.

المفر، لم ككثوم، جملة القول... فقد تكون مضاعفا ومضاعفا إليه، أو صفة، وموصوف أو أسماء مركبة، أو صيغة جامدة، وهي تُعامل معاملة للقطعة الوحيدة.

٨. يؤكد "مئريه" مارتينيه " أهمية علم اللغة الوظيفي، بقوله عن هذا العلم، إنه ليس فصلاً من علم اللغة، بل هو علم اللغة كله... ولن وظيفة واحدة لو بنية هي التي تسمح بالوصول إلى التفسير للكل للوظيفة اللغوية"^(١). وهذا يشير إلى أهمية الجنب الوظيفي في تحليل اللغة وفهمها، وتصوير الواقع المرتبطة بها؛ لأن مثل هذا الجانب يمتلك القدرة على كشف المعاني التي يهدف النظام اللغوي إلى توصيلها، الأمر الذي يؤكد ارتباط الوظيفة بالمعنى، ولن كل وظيفة محددة مهما كان نوعها تؤدي معنى محدداً في سلسلة الوظائف أو المعاني التي ترتبط بالبنية اللغوية. ولراء يؤكد في موضع آخر أن «... الوظيفة الرئيسية للأداة التي تمثلها اللغة هي وظيفة الإيلاج»^(٢).

نخلص من هذا التصريف إلى أن النحو عند "مارتينيه" هو تحديد وظيفة كل عنصر، وعلاقته بهيكل المفرد في الكلام. وقد رأى "مارتينيه" أنه توجد وسائل ثلاثة لوصف العلاقات في النحو، تقوم على مبادئ العلاقة والرتبة، وهذه الوسائل هي: الإكتفاء، والرتبة، واللجوء إلى وحدات مختصة لا وظيفة لها معينة في ذاتها^(٣). كما رأى أن هناك عناصر ثلاثة يمكن أن تُحل في الجملة، وهي: المسند (أي لموى الكلام)، والمسند إليه (وهو الفاعل غالباً في اللغة الهندية الأوروبية)، والمماط الإلحاق (كائنات، والمطف، والإضافة، والظرف)^(٤). ويرسم "مارتينيه" مراحل ثلاثاً لعملية التحليل هي: مرحلة التقطيع (استخراج الوحدات الدالة). ومرحلة مقابلة الوحدات المستخرجة، ومرحلة إقامة تقسيم للكلمات بناءً على وظائفها.

(١) د. يحيى أحمد، اللغة الوظيفي ونحوه، في تحليل اللغة، مجلة علم الفكر، لندن ١٩٨٩، ص ٣٢.

(٢) أندريه مارتينيه، مبادئ تحليلات اللغة، ترجمة د. أحمد السمو، ١٩٨٥، ص ١٢.

(٣) مسدي القوي، العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، دراسة وظيفية، رسالة مقروءة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الزيتونة، ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩، ص ٢٥.

(٤) أحمد محمد قنبر، مبادئ تحليلات، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩، ص ٢٤٦.

وبعد عملية التحليل تأتي عملية العرض، وهي عملية ذات هدف تعليمي، ولها مراحل ثلاث أيضاً، وهي على التوالي: ^(١)

١. مرحلة التجهيز : وتتعلل في وضع قائمة للأقسام الموجودة، وتعداد الفروقات في هذه الأقسام .
٢. مرحلة التصريف : ويمكن من عرض مختلف الوجود التي يظهر فيها للدال، وفي عرض مختلف أوضاع هذه الوجود .
٣. مرحلة علم التركيب : الذي يبين كيف تتكلم الكلمات لتشكل كل الأقوال الممكنة .

رغم ما كتبه "مارتينيه" وما حققه من مكافأة علمية بين اللسانيين بالهتئين وعلماء، خاصة فيما يتعلق بطم الأصوات الوظيفي وبقدرة التركيبية، فقد رلوا أنها بلغت مرحلة متميزة من مراحل تطورها لدى "مارتينيه"، إلا أننا نجد محل انتقاد من وجهة نظر بعض الباحثين؛ وذلك في كون ما كتبه أموراً سطحية يتشبه فيها برأيه وبالفكره بخلاف علماء اللغة المعاصرين الآخرين، من أمثال "جاكوبسون"، و"شومسكي" فقد رلوا أنهما كتبا أموراً صيقة تشهد بحقيقتها ^(٢).

ثالثاً: المدرسة الإنجليزية :

يتعامل المنحى الوظيفي عند مدرسة لندن مع المستويات أو الأنظمة الأربعة في التحليل اللغوي (الأصوات، والمفردات، والفتح، والدلالة)، ويرز فيها توجهاً؛ أحدهما يتزعه "فيرث" والآخر يتزعه "هاليداي"، وسجل دورهما فيما يلي :

١. أما "فيرث" Firth فقد اهتم بالمعنى وسباق الحال؛ حيث دعا إلى التركيز على المعنى في دراسة اللغة، وذلك في إطار للعلاقات المتشابهة التي يبرز فيها الكلام للكلام بمعناه ليس وليد لحظة محددة، وإنما هو حصيلة مؤلف عديدة في المجتمع، فاللغة تُدرس بمراعاة

(١) معنى البربر، فمختلفات التركيبية في قرون قديم، ص ٢٨٤.

(٢) هذا هو شارف، المنحى الوظيفي في تفسير الفهم والتفكير ابن مشور ص ١٠٠ هترة سرفه، ص ٢٢٠ شرف.

سبق الحال؛ وذلك لكونها جزءاً من حياة المجتمع، وفي هذا الجانب يبدو توتر "هيرث" بفكر "ميللوسكي"^(١).

٢. أما "هاليداي Halliday" فقد اعتمد بما عُرف بالتحول النحوي أو النظمي فوضع أسسه النظرية، وواصل البحث في إطاره اتباعه، ويُعتبر من أكثر النظريات تكاملاً عند مدرسة لندن، ومن مبادئه:

- وظائف للتركيب تحدد إلى حد بعيد الخصائص البنوية لها (الصرفية، والتركيبية...).
- النحو مبني على أساس تعدد وظائف اللغة طبقاً للتركيب أو البناء اللغوي. فاللغة غاية بعد مستلها ما يحور به عن كل أفكار ومشاعر^(٢).

يقترح التحول النحوي وظائف ثلاثة للغة، تمثلها البنية مرتبطة بالنشاط اللغوي والبيئة الاجتماعية، وهذه الوظائف تؤدّيها رسائل ثلاث أيضاً تسمى تصاقاً، وهي:

- أ. الوظيفة التمثيلية: وهي وظيفة تمثيل الواقع، ويطبقها نسق التحدية. ويتمنن نسق التحدية مفاهيم دلالية كمفهوم "المتقبل، والمُتلَق"، كما تشمل أيضاً ظروف الكلام الحالية وملابساته.
- ب. الوظيفة التعلّقية: وهي وظيفة التعلّق بين المشاركين، ويطبقها نسق للصيغة. ويحور هذا النسق عن مفهوم "الجهة، والتضحية"، والتضحية بدورها مكونة من "فاعل، ومفعول، وتوابع".
- ج. الوظيفة النصية: وهي وظيفة تنظيم الخطاب طبقاً لمقتضى الحال ويطبقها نسق المحور ويشمل العلاقات ذات الطابع التداولي إذ يحور عن مفاهيم تداولية (أو نصية)، كمفهوم "التعليق" ومفهوم "التمعّط، والجديد". والوظائف الثلاثة تتكامل في بنية لغوية واحدة لتحقيق الوظيفة الأساسية للغة، وهي التواصل والإبداع، هذا الإبداع اللغوي يتمثل في قدرة المتكلم على خلق معانٍ جديدة، لا في قدرة المتكلم على

(١) يحيى أحمد، الامتداد الوظيفي ونحوه في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، العدد ١٠، وزارة الإعلام، الكويت ٢٠٠٤م، ج ٣ (فبراير، مارس، أبريل) ١٩٨٩، ص ٨٢.

(٢) صليل نفسه، ص ٨٦.

توليد أو خلق جمل جديدة كما يرى التحويليون (وهذا المثال يوضح الاختلاف الجذري بين اتجاه "تشومسكي" للسقلائي واتجاه "هلبادي" الوظيفي، فطلي حين ينظر "تشومسكي" إلى اللغة على أنها شيء مبرق، ينظر "هلبادي" إلى اللغة على أنها شيء نفعله)^(١).

رابعاً: المدرسة الهولندية :

"سيمون ديك" (S.C. Dik) (١٩٦٠-١٩٩٥م).

أ- يحدد "سيمون ديك" (١٩٨٩م) القدرة التواصلية في نظرية النحو الوظيفي بأنها: "ما يمكن (مستعملي اللغة الطبيعية) من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللغوية، أي ما يمكنهم من التفاهم والتفكير في مدحهم المطلوبتي (بما في ذلك من معارف، وعقائد وأفكار معينة وإحساست) والتفكير حتى في سلوكهم الفعلي من طريق اللغة"^(٢).

ب- وقد جاء "سيمون ديك" مناصراً للنحو الوظيفي، فبين أن النحو الطامح إلى الكفائية يسمى إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات :

(الكفاية التواصلية، الكفاية التفسيرية، الكفاية النمطية)

١. الكفاية التواصلية :

ترتبط الكفاية التواصلية بين خصائص العبارات اللغوية وكونها مستعملاً، وتتحقق هذه الكفاية في نحو ما إذا كان قادراً على كشف التفاعل القائم بين بنية اللغات الطبيعية ووظيفتها التواصلية. ويكتب "ديك" (١٩٨٩م) في معرض تعريفه للكفاية التواصلية: "تريد من النحو الوظيفي أن يكشف لنا عن خصائص العبارات اللغوية التي لها علاقة بالكيفية التي نستعمل بها هذه العبارات، وأن

(١) يعنى لمدى الاتقاء الفهمي والبروز في تخطي اللغة من ٨٩.

(٢) لمدى اشتراك أعضاء لغة معينة في السموات الوظيفية، فنية تتحدث أو تتقبل ذوي التنوع، ذو الإنسان في اللغة المبرق ١٩٩٥م من ١٦.

يفعل ذلك بالطريقة التي تمكن من ربط هذه الخصائص بالتواعد والمبادئ التي تحكم التفاعل اللغوي^(١).

٢. الكفلية النفسية:

يسمى النحو الوظيفي إلى تحقيق الكفلية النفسية، و"يكون النحو كفلياً نفسياً إذا لم يفترض مع الفرضيات النفسية حول إنتاج اللغة وفهمها"^(٢). ويتم ذلك بالاستفادة من نتائج أبحاث علم النفس، وعلم اللغة النفسي، ومنابعة تطورات النمذج النفسية، ومطابقتها سواء منها "نمذج الإنتاج" أي إنتاج المتكلم الحرة للحرية وصياغتها، أو "نمذج الفهم" أي تحديد الطريقة التي يحل بها المخاطب الحرة للحرية ويؤولها التحويل للنمذج. وبذلك تطلق أفراد هذا النحو العمليات القائمة في ذهن للمتكلم/ والمستمع أثناء إنتاج المتطلب وفهمه، فالنحو الوظيفي يلقي من نموذج التواعد التي شكك في وظيفتها النفسية كالتواعد التحويلية^(٣).

٣. الكفلية التعملية :

يحقق النحو الكفلية التعملية إذا استطاع أن يضع نمواً للغات طبيعية متباينة نمطياً، وأن يصف ما يؤول وما يخالف بين هذه اللغات المختلفة (ديك ١٩٧٨م)^(٤)، وتكتفي الكفلية التعملية في لغة ما أن تظل قواعد وصف ظواهرها لاصقة بخصائص هذه اللغة، وأن تتميز بدرجة عالية من التجريد؛ لتستطيع وصف الظاهرة نفسها في أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية، ويصحب تحقق هذا النوع من الكفلية، بل قد يستحيل سرد هذا أن كل لغة تتميز بخصائص يستمولوجية، ومقومات فكرية وقائمة حضارية. وإلى هذه الصعوبة يشير "موتوكول" بقوله: "فيذا اتفقت كثيراً من الوقائع اللغوية للغات معينة كان من المعسر انطباعها على لغات أخرى، وإذا كانت موزعة في التجريد أصبحت عاجزة عن رصد الوقائع اللغوية كما تحقق في لغات معينة. وهكذا، يتحيز على النظرية الرامية إلى الحصول على درجة مقبولة من الكفلية التعملية أن تصوغ

(١) لاند اشتراك، لغات اللغة العربية في السجلات الوظيفية، ص ١٩.

(٢) سمور سولن بقره، لغة اللغة وعلم اللغة لسوس ودراسات دار العلوم الدينية، الإسكندرية، ١٩٩١، ص ٢٢.

(٣) لاند اشتراك، فركلت اللغوية في اللغة العربية، دار الثقافة، دار البيضاء، ١٩٨٥، ص ١١.

(٤) لاند اشتراك، دراسات في لغة الوظيفي، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦، ص ٢٦.

مبناها وفواعدها وتمثيلاتها متروخة تروسل بين التجريد والملموسة، يؤولها لوصف لكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية^(١).

خلصاً؛ المدرسة الأمريكية :

كذلك أسهمت المدرسة الأمريكية اللغوية في الاتجاه الوظيفي، ونال هذا المفهوم عدهم اهتماماً أكثر من غيره، نظراً لأهميته؛ لكونه يعنى بالقيمة الاتصالية للغة، وما يمكن أن تشمل عليه من مستويات تتعرف من خلالها، على مختلف الوظائف التي تملح بها علاقات هذه اللغة داخل أنظمتها المختلفة. وقد برز من علماتها :

١. إدوارد سيبير Edward Sapir (ت ١٩٣٩م)^(٢) :

أ. وقد وصى "إدوارد سيبير" مسألة التفاعل بين مفهومين أساسيين من مفاهيم اللغة، هما مفهوم الشكل ومفهوم الوظيفة، وتنبه إلى استحالة قيام علاقة وحيدة الاتجاه بين الوظيفة والشكل "إن نظم الأشكال" شيء، واستعمال هذا النظام (تحميد الوظائف) شيء آخر... إن الوظيفة (أن يكون لدينا شيء نقوله) تسبق الشكل (قول هذا الشيء بطريقة ما)^(٣). وهكذا ربط "سيبير" القول بالقدسية التي تعمل على تشكيل الصلية اللغوية بما يتسجم مع هذه القدسية وأهدافها الإبلائية، وبما يسمح للمرسل بالتوصل ما يرضع فيه للأخر.

ب. رأى "سيبير" أنه من الممكن دراسة الشكل اللغوي من حيث كونه نظاماً تركيبياً من أنظمة اللغة، دون أن يعنى ذلك دراسة الوظائف المتصلة به؛ ومن ثم فإن مفهوم (الوظيفة) ظل حاضراً لديه، يفرض عليه مركزته بشدة عند كل دراسة له للأشكال اللغوية واستعمالاتها المختلفة. مع العلم أن أي شكل لغوي سيؤدي وظيفة مغفورة للوظيفة التي يمكن أن يؤديها شكل لغوي آخر. كما يمكن للشكل نفسه أن يحتوي مجموعة وظائف تكشف عنها عناصر هذا الشكل وعلاقته بالاستناد إلى البنية القواعدية لهذا الشكل. وقد

(١) لسان الترك، كسلا اللغة العربية في الصافات الوظيفية، ص ٢١.

(٢) ينظر لنا أصول في القوس اللغوي، ص ٨١.

(٣) جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة الدجيب عزاري، ص ١٦٦.

يعود بعض هذه الوظائف إلى وظيفة مركزية يكون منوطاً بها هدف مركزي، يتولى الإصاح عن هذه الوظيفة. إذ نرى/ مثلاً، داخل شكل لنوي معين: وظيفة للصوت يكشف عنها علم الأصوات، ووظيفة للمقطع يكشف عنها علم التشكيل الصوتي، ووظيفة للسبقة وشتقاتها وتصريفها يكشف عنها الصرف^(١) وهكذا.

ج. بين "سايبر" أن للنظم اللغوي لغة يحتوي في مستواه الصوتي على الضلصر، والعلاقات ووظائفها، وأن هذه الضلصر هي التي تكون اللغة وتباين بينها.

د. يرى "سايبر" أن كل لغة ذات نظام مثالي، تعال التوابع، وتفرض هذا المنهج (أي للتحويل) على كل الأشخاص الذين يتكلمونها، قصد تحقيق تواصلهم الاجتماعي، وبذلك تكون قد أسست لكرهم.

هـ. ينكر "سايبر" أن اللغة وسيلة لتكوين الفكر: فالأشخاص الذين ينطقون بألسن مختلفة، فليهم يرون العالم بكيافيت متباينة؛ ولذلك فإنه يصير على ضرورة عدم فصل اللغة عن الثقافة^(٢). فينكر أن النماذج السببية طيقة بالنماذج الثقافية- الاجتماعية، والأنماط السلوكية للأفراد (داخل المجتمع). فاللغة جزء أساسي من هذه الثقافة، بل أحد مكوناتها الأساسية^(٣). وانطلاقاً من هذه الحثية، فإن اللغة لا تخرج من كونها رموزاً صوتية، وحسب لأجل التواصل بين بني البشر. وقد اكتسبها الإنسان أثناء نموه اللغوي في بيئته؛ ولذلك فإن "سايبر" يذهب للاعتقاد بأن اللغة تسهم بالضرورة في تكوين ثقافة المجتمع.

و. يميز "سايبر" بين التواصل الكلامي والتواصل غير الكلامي، فيوضح أن حدث التواصل الكلامي يكون مقروناً عادة بحركات جسمية معينة، ويتجهت في الصوت، وبإيماءات وإشارات لا تخفى أهميتها في التواصل على الرائي والمسمي.

(١) جورج مونك، علم اللغة في القرن العشرين: ص ٨٨.
(٢) د. ميشال زكي، الألفية (علم لغة الحديث)، ص ٢٢.
(٣) طري، سلسون، المدارس الفلسفية، ص ٢٩.

وقد نعت التواصل الكلامي بأنه نسق شعوري، والتواصل غير الكلامي بأنه «نسق لا شعوري... ويمكن أن نزول حتمياً للرميز المنسوب للحركة من وجهة النظر النفسية كسبب في السياق ذي أهمية على الكلمات المستعملة حقيقة». ثم قال: «إننا نجد أنفسنا أمام نزاع بين التواصلات الظاهرة والعلنية (أو المضمرة) أثناء تطور التجربة الاجتماعية للفرد». فمشكلة السلوك الخارجى يبقى الشرط الأول الذي يمكننا من الترابط في مجتمع ما - كما قال «الدور سابر» - رغم أن هذه للمشكلة لا تتبقي من فساد التواصل، إن لها دائماً قيمة الإنتمال أو رد الفعل للتواصل.

ويعطينا «سابر» مثلاً على ذلك يشرح به هذه الظاهرة قائلًا: «إننا حينما نعتقد على الذهاب إلى الكنيسة، فإن أفراداً آخرين من المجتمع يعطوننا مثلاً على صنف من هذا النشاط، ونستطيع أن نقول إننا استقبلنا رسالة أثرت في طريقة سلوكنا».

ز. إن وظيفة اللغة عند «الدور سابر» هي النطق وتعلل المستوى كله في مثل هذا النوع من التواصل المشكل أثناء تطور التجربة الاجتماعية للفرد. وتكون أنواع السلوك الأخرى (الحركية منها والنفسية...) (إلخ) تنعز السلوك الكلامي.

وذكر «الدور سابر» أن التواصلات تختلف فيما بينها، وذلك ناتج عن الاختلاف في معاني الرسائل، الناتج بدوره عن اختلاف الأشخاص والمختلف علاقتهم الاجتماعية. وذلك طبقاً للإطار العقلي أو لغة الاقتصاد أو الأمة بأجمعها^(١).

ج. ويظهر جلياً مما كتبه «سابر» في الفصل الذي خصصه للتواصل أنه قد أعلل جل العناصر - وإن لم تكن كلها - بالدراسة والتفصيل بحيث تناول في تحليله المرسل، والمستقبل، والرسالة، والتنظيم، والوقت، والقلم، والتشويش، والإغلب، والفعل المعقد (Feed-back)، وكذا مفهوم الاقتصاد في الطاقة للتقوية. وفي ذلك تتجلى إحاطته بعملية التواصل الكلامية منها وغير الكلامية. وفي المسار نفسه نجد «سابر» يضع مع صديقه «ورف» نظرية تدعى

(١) ر. وليس نور الدين، نظرية التواصل والعلاقات المعقدة، ص ١١٧، ١١٨.

باسمهما وهي "نظرية وورف وسليور" ومغزاها أن اللغة هي التي تفرض على المجتمع كيف ينظر إلى العالم^(١).

٢. "جون جيمبرز John jumpers"

وهو عالم متخصص في اللسانيات الاجتماعية الإثنولوجية، فلم بتطوير تحليل للتفاعلات اللغوية في اتجاه واحد بشكل خاص. وقد تأثر هذا الباحث الأمريكي تأثراً صلباً بمدرسة "بلاو لثو" وبـ "جوفمان" وبالمناهج الإثنولوجية (عبر مدرسة شيكاغو)، من جهة، كما تأثر من جهة أخرى باللسانيات الاجتماعية "لابوف"، وبالأنثولوجيا اللسانية "سليور". وشهدت أصلاً "جيمبرز" المنشورة في الولايات المتحدة منذ سبعينيات القرن العشرين، أصداء واسعة ابتداء من الثمانينيات. والخلاصة التي خرج بها من هذه التأثيرات العلمية المختلفة تسمى "إثنوغرافيا للتواصل" وبشكل أدق هي "لسانيات اجتماعية تفاعلية" أو كما يقول هو "مقاربة توليفية للمحادثة". وهذه للتسميات المختلفة تشير إلى زاوية الدراسة المعتمدة.

ينطبق الأمر بتحليل :

- الطريقة التي يستعمل فيها المتكلمون تنويعات مختلفة من لسان واحد أو من لسان متعددة، أثناء التفاعل (مبدأ: تبادل السنن والتنويع المشترك الذي يقوم به المجتمع اللسان).
- كيف تسهم هذه الاختيارات في استراتيجيات التفاعل.
- كيف تنشئ هذه الاختيارات أطراً عقلية لتكوير المفروقات.
- فيما تعد هذه الاختيارات دالة.
- أي استدلالات تتلخص على المؤشرات، وأي مؤشرات تلعب.
- كيف تشكل توجيهات التفاعل في الحالة المستقرة للتواصلات بين متصلين وينمون إلى مجموعة لسانية إثنولوجية ولسانية اجتماعية مختلفة^(٢).

(١) د. رافيس إدو هين، نظرية التواصل واللسانيات المتبادلة، ص ١٢١.

(٢) د. صابر العبدالله الشوايها والجماع (مبتذل وإسوس)، ص ١٢١، ١٢٠.

الفصل الثاني

تصنيف الوظائف اللغوية

العناصر الوظيفية

اللسان الطبيعي البشري هو أداة توصل بموجبه ثقال التجربة الإنسانية، بشكل مختلف عند كل جماعة، إلى وحدات ذات محتوى دلالي وتعبير لفظي، يمثل في المفردات. ويتجزأ التعبير اللفظي بدوره في وحدات تمييزية متعاقبة هي في كل لسان لفظ محدود العدد. تختلف طبيعتها وروابطها فيما بينها طبقاً للسان الذي تنتمي إليه^(١). يسمح مفهوم الملائمة اللغوية بأن يميز من بين المعطيات المتوفرة لديه ما يندرج في صلب دراسته مما يندرج في مجالاتها الهامشية. فهو يتقدم إلى تحليل دقيق للوقائع اللسانية، وحصر محكم لمختلف المستويات الصوتية والوظيفية والصرفية والتركيبية والنحوية والمعمجة، وحصر محكم للتحسين والتضمين في ما يخص الدلالة والأسلوب. هذا الملاءمة هو أساس الأنسبة الوظيفية، التي تدرى أن دراسة لسان ما تعني البحث عن الوظائف التي تزدها العناصر والأساليب والأولويات الداخلة فيه. ويسمح هذا المنظور بتمييز الواقعة الملائمة من غيرها في مجموع الوقائع التي تقع تحت الملاحظة. لا يختلط الكلام إذاً، وهو الحقيقة الملاحظة، بالحقيقة اللسانية؛ لأن بعض العناصر فقط هي ملائمة. وقد أقام "دي سومير" تضاداً بين اللسان والكلام. الأمر الذي منعه من التنبيه إلى أن التمييز الأسلي يجب أن يكون بين الوقائع الكلامية الملائمة (لأنها تسهم في التواصل) والوقائع الكلامية غير الملائمة. فلم يصل إلى التمييز المزدوج؛ لأنه لم يمع لأن الالفاظ حقيقة لسانية مثلها مثل الإشارات، التي هي وحدات ذات وجهين^(٢).

١) المعنى الوظيفي للكلمة :

لقد كان جهد الوظيفيين منصّباً على إدراك للمعنى الوظيفي الذي يؤديه أي عنصر في البناء اللغوي، ودوره في عملية التفويض، لأخذوا يفسرون العلاقات

(١) قول ابن خلدون بالهون، مثل إلى الإنسانية، ترجمة طلال وعبد، ص ٦٦.

(٢) مثل إلى الإنسانية، ترجمة طلال وعبد، ص ٦٧.

للنحوية التي تربط مكونات الجملة أو عناصرها، أو بين التراكيب، ذلك أن "الكلمات الوظيفية تتميز عن الكلمات المعجمية، بأنها غير مستقلة، وهي لا تكتسب معناها إلا بالنسبة للبنى النحوية التي تدخل فيها"^(١).

لذلك الوظيفي يسمي إلى اكتشاف الوظيفة قبلية للخاصة النحوية، فيبحث عن العناصر التي تقوم بدور التمييز بين المعاني وتفسير المعنى النحوي للكلمة فنية إدراك، معنى الجملة يظهر ببيان موقعها فيها ونوع علاقتها بغيرها من الكلمات المستعملة معها في التركيب، فربط المعنى بالنحو مرده إلى جفاف اللغة المتصل في تبليغ معنى أو فكرة في ذهن المتكلم إلى السُخْطِط، حتى كان النحو تلمين هذه المهنة، والحرص على أدائها على الفضل وجه ممكن^(٢).

فالتحليل الوظيفي يصل على ربط النظام اللغوي بالوظائف التي يمكن لهذا النظام أن يؤديها من خلال التراكيب المختلفة التي تشكل بنية هذا النظام وأسلوبه. مع النظر إلى أن كل تركيب أو بناء لغوي يمكن أن يؤدي وظيفة مختلفة^(٣)، ومن ثم، لا يمكننا بأية حال من الأحوال أن ننظر إلى الوظيفة بمعزل عن النظام الذي تندرج فيه. فالنظام هو تنظيم لمكونات البنية وضبطها، وليس هذا التنظيم سوى علاقات قواعدية محكمة للعناصر المتشكلة والمتقاطعة فيه، والتي هي وظائف ذاتها، نتسكن بالكشف عنها من معرفة طرق الاستعمال اللغوي وعلاقته.

وهناك من يقول بوظيفتين للصوت: واحدة تسهم في تحديد للدلالة، والثانية تأتي من وجوده داخل ليقاع معين. وفي الحقيقة، فإن كلا من الوظيفتين تؤكد الوظيفة للدلالة للصوت. ربما لا تقتصر هذه الوظيفة على اتصالها بالأسوات بشكل مباشر، بقدر اتصالها بالطريقة التي تتدخل بها هذه الأسوات. ويبقى المعنى هو للمركز الذي تسمى إليه مختلف الوظائف التي يتم للكشف عنها في هذا الإطار.

أ- أهمية المعنى الوظيفي للكلمة :

(١) م. أحمد حزين، المدارس اللغوية، دار الآداب، بيروت، ١٩٥٥، ص ١٠٩.

(٢) السابق، ص ٧٤.

(٣) فريمان دي سوسور، محاضرات في الأسس العلمية لدراسة اللغة، يوسف عازي، حيد قصر، دار فنان للثقافة، بيروت، ١٩٨٤، ص ٨٨.

فنذا الباحثون يسعون لتحديد المعنى الذي تكشف عنه المباني التحليلية للغة وهو ما أطلقوا عليه "المعنى الوظيفي"، الذي يشتمل بالتحديد والاحتمال، فالمعنى الواحد صالح لأن يُعبر عن أكثر من معنى وظيفي، كالاسم المرفوع الذي يصلح ليعان حكا، كفاعل أو نقيه لو لمبتداً أو خبر... إلخ، و"الظروف التي تكون للظرفية المحضة، وقد تتحول إلى أدوات للترط أو الاستفهام أو التعليل"^(١). و هذا التحديد والاحتمال في المعنى الوظيفي يقف بإزاءه تعدد في المعنى لمعجمي، "فتعدد المعنى الوظيفي للمعنى الواحد يجعل الظاهر في النص يُحاول جهده واستنارة بقرآن مختلفة أن يُحدد أيُّ المعاني المتحددة لهذا المعنى هو المقصود"^(٢) و يتبدى هذا للمعنى الوظيفي على مستوى النظام الصوتي والصرفي والنحوي معاً أي هو في الواقع وظيفة المعنى للتطليل، ثم يأتي المعنى للمعجمي للكلمة مفردة، واما الفصل بين مستويات النظام اللغوي إلا على سبيل التعليل فتتفاد أما الاستعمال فيكون فيه منمذج، "وإذا امتنع المعنى الوظيفي لسكن إعراب الجملة دون حاجة إلى معجم أو مقام"^(٣).

بهذه أمثلة للاختلافات الوظيفية في اللغة العربية :

- مثال لاختلاف الوظيفة الصوتية: إن (الفونيم) يتكون من مجموعة علامات مميزة، ويتغيرها ويتغير المعنى، كما هو الحال بين (كن) و(طن)، < ت > له علامات مميزة تختلف عما يوجد في < ط > من سمات مميزة، ومن ثم كان لكل منهما معنى يخالف الآخر. وكذلك لتأمل الفرق بين فونيمي "السين والصاد" في معاني الكلمات مثل (سار، وصار)، < س > يختلف عن < هـ > حيث التلخيم والترفيع، ومن ثم اختلفت الأدلة^(٤).

- مثال لاختلاف الوظيفة الصرفية: هناك صيغة واحدة قد تنفذ أكثر من معنى كصيغة (الفتح) تدل على المشاركة كما في (استبقا زيدا وعسروا)، كما تتقل الفعل المتعدي إلى لازم نحو: (جمعت القوم فلجمعوا).

(١) ابن هشام، معاني الذهب، لسانك التبع محمد يحيى الفون، ط الثاني، القاهرة ١٩٨١.

(٢) إسماعيل حجاز، اللغة العربية معناها ومبناها، ط ٢، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨، ص ١٨٠.

(٣) إسماعيل حجاز، ص ١٧٧.

(٤) يظفر الله: اللغة وطعم اللغة قديمة وحديثة، ط ١، دار فؤاد، ليبيا، القاهرة، وفتش، الإصدار ٢٠١٠، ص ١٦٤.

- مثال لاختلاف الوظيفة النحوية: كما في (لَنْ، وَلَنْ) فهما متفقتان خطأ وصوئاً، ومختلفتان معنىً وأصلاً، فالأولى حرف تأكيد ولا ينصرف، والثانية صيغة الماضي من الفعل بَنَى بُنْيَانًا، أي بَنَى^(١).

- مثال لاختلاف الوظيفة الدلالية: وبحثت ذلك عندما يدل اللفظ الواحد على معانٍ متعددة لا يفرق بينها إلا السياق نحو: (لفظة عين) فهي تدل على عين الماء، وعين الركب، وعين الميزان، والعين القاصرة^(٢).

- مثال لاختلاف الوظيفة المعجمية: فمرّدها إلى الأحرف اللغوية التي لمست من الفجذع النصيح المشترك مراعاتاً مختلفة واستيقناً، وفق مختلف البلدان العربية، للدلالة على المفهوم عنه. إن ما يعرف بـ"جلف" في المشرق للعربي يُعرف بـ"تهج" في المغرب العربي. والـ"ملصقة" المشرقية الاستعمال، هي "مجزرة" في الاستعمال اللغوي للمغربي، وهو استعمال لا يروجُ البتة، بهذه الدلالة، في بلدان المشرق العربي؛ لأنه قد يرتبط في أخلادهم بمفهوم المجازر البشرية، والأمر ينطبق أيضاً على كلمة "العافية" التي تعني لدى المشرقيين "الصحة" ومنها تعبير -"الله يملك للعافية" في حين أنها لا تقع موقعاً حسناً في ألسان المغاربة لأن دلالاتها ترتبط في مجتمعهم بـ"قتل" أو "جهنم".

إن تنوعت الاستعمال اللغوية هذه التي توقف عندها مختلف اللسانيين لا يمكنها أن تتخذ شكلاً صارماً وثابتاً، فهي تتكامل وظاهراً في مختلف وجوهاها وفق الرؤية التراملية الأدلالية، فالتنوعات اللغوية التي تُظهِرُ إياها في مراحل سابقة، من حيث كونها متميزة، لم تعد تتمتع بهذه الخطوة حاليّاً. لقد خسرت بمعنىً من "حظوتها" أو "تميزها" لإقامة الاستعمال الدارج المتداول بشكل مطرد. وفي المقابل، فالتنوعات اللغوية التي كانت أُلّ حنطرة تتقدم حاليّاً وتكتسب مواقع جديدة وتروج في مقامات تواصلية، كانت في السابق حكرًا على تنوعات لغوية أخرى^(٣).

(١) - لمجد نعيم القراحي: علم دلالة بين الفصح والتخيل في الدراسة العلمية للدراسات والنشر، ١٩٩٢، ص ١١٨.

(٢) - ابن فارس: المعجم، في لغة الفصح، شبكة طباعة القاهرة، ١٩١٠، ص ٢٠١، والسويدي: المعجم في علوم اللغة وأقسامها، شرحه محمد أحمد جاد الحولي وعلي محمد الجبالي، محمد أبو الفضل إبراهيم، في دار المعارف، دت، ٣٧٤-٣٧٣/١.

(٣) - لغوية مغربية وحديثة لغوية، حروف الفصح، ص ٨٥، ٨٦.

٢) المعنى الوظيفي للجملة :

تعد النظرة الوظيفية للجملة امتداداً للمناقشة التقليدية الحسية التي كانت تحدث في نهاية القرن التاسع عشر حول ثنائية الموضوع subject والمحمول predicate، وكان لأسلاف الفلسفة في براغ "فكتور مارتني" الذي كلف أفكاره مؤثرة في نشأة مدرسة براغ نشاط بارز في هذه المناقشة. وقد عبر "ماتيويس" عن أفكاره في شكل ثنائيات متميزة، تتعلق بالطرفين الأساسيين للجملة، وتعتبر كيفية ترعيبها في الوظيفة التي تؤديها الجملة. وهذه الثنائيات هي ثنائية الموضوع topic والتطبيق comment، أو البؤرة focus، وثنائية المتقدم Theme والمتأخر rheme، وثنائية المسلمة given والإضافة new فالمعتمد هو الشيء المتحدث عنه الذي يفترض المتكلم معرفة المخاطب له، والمتأخر هو الجزء المتمم للجملة الذي يضيف إلى معلومات المخاطب السابقة معلومات جديدة تتصل بالمتقدم، والمسلمة هي ما يقدمه المتكلم من معلومات يدركها السامع من مصدر ما في المحيط (أي المقلم أو النص السابق)، والإضافة ما يقدمه المتكلم من معلومات لا يدركها السامع من مصادر أخرى^(١)، ففي الجملتين :

- ١- مؤسس الدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان .
- ٢- معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية .

نجد أن المعنى الإنشائي (أو النسبة الخارجية كما يقول للمنطقة والبالغيون) ولحد فهماء، إذ كلاماً ما يفيد أن تأسيس الدولة الأموية كان على يد "معاوية بن أبي سفيان"، وبناء على ذلك فهما مترادفان تقريباً، ولكن من الواضح أنهما يستعملان في سياقين مختلفين واختلاف السياقين يفسر بما يتقده المتكلم بشأن ما يعرفه المخاطب حول موضوع الجملتين، فكل جملة من الجملتين تفترض أن أحد الطرفين يعرفه المخاطب وهو "معاوية بن أبي سفيان" في الجملة الأولى، وتأسيس الدولة الأموية في الثانية، وأن الطرف الثاني غير معروف، وهو من أسس الدولة الأموية في الجملة الأولى؟ ومن هو "معاوية بن أبي سفيان" في الجملة الثانية؟ فالمعلومات التي يفترض المتكلم أن المخاطب

(١) Halliday, M.A.K. & R. Hasan, Cohesion in English, London: Longman, 1976, p. 45.

يعرفها تسمى مسئلة given information والمعلومات التي يضيفها تسمى إضافة أو معلومات جديدة new information، وكما هو واضح فإن بنية كل جملة من الجملتين السابقتين محكمة بالوظيفة التي يريد للمتكلم أن يؤديها خطابيه، ففي ١ كانت للوظيفة (أي للفرض الإبلاهي) هي الإعلام بمن أسس الدولة الأموية، وفي ٢ كانت للوظيفة هي التعريف "بمعنوية بن أبي سفيان". إن الفرق الأساسي في معالجة البنيويين والوظيفيين لهذه الجملة يتمثل في أن البنيويين يصفونها كما هي في حين أن الوظيفيين يتعاملون عن سبب كونها كذلك، أي أن البنيويين يحاولون الإجابة عن كيف أو ماذا وأن الوظيفيين يحاولون الإجابة عن لماذا^(١).

أ- معايير تحديد وظيفة الجملة :

يرى "لندريه مارتنيه" أن وظيفة اللغة في التواصل ترجع إلى مراعاة لنوع الاستعمالات اللغوية التي تنال للنصر الأساسي في تطور الأक्स صوماً. هذه المسئلة اللسانية تتصل بمسئلة معالجة الأक्स في اشتقاقيتها، أي في تعبيرها القديم عن الحراك الاجتماعي. وهي مبدأ أكثر حذر عند اللسانيين يعتمدونه في رصدهم اليومي لمختلف الاستعمالات اللغوية التي تمكس حقبة الفرد المتكلم وحسنه التناولي؛ فضلاً عن روحية الجماعة الحاضنة له والمحمزة لروحه اللغوي. ومن باب أولى القول إن التبادلات والانتماشات التي تشرب الأक्स صوماً تُعد نتيجة طبيعية للسرورات والتحولات الاجتماعية؛ بيد أن التطور أو الانفتاح الذي يلحق باللغة الإنسانية في مختلف أوضاعها، أو بمستويات الفهم حينه، يورد في الواقع إلى عوامل مؤثرة تتصل بعوالم متداخلة منها الثقافية والتعليم والوسائطية والمعلوماتية^(٢).

١. معيار الرتبة :

تختلف اللغات في حرية الرتبة، فاللغة العربية تنعم بالحرية لكونها تعتمد على أرتبة الإعراب، التي تميز المعلومات المسئلة من المعلومات الجديدة.

(١) . محمد محمد يوسف، أسرار الجماعات القبايل في ثقافة الجبلية، بيروت: مجلة علم الفكر، ج١، ع١٢، ص٢٠٢.

(٢) لندريه مارتنيه، وعشيت لغوي، حول ثقافته ص٨١.

مثال: (منح المتفرقين للمدرسون جوائز تقديرية) فنصب "المكتوبين" دل على مغلوذتها، ورفع "المدرسون" دل على فعليتها، على حين تعد الإنجليزية من اللغات التي تكون فيها الرتبة مقيدة إلى حد كبير، ولذا فهي تلجأ إلى قرينة التلغيم، أكثر من غيرها، في تحديد المعلومات التسلسلية والمعلومات الجديدة، وكذلك المعنى للسجور.

٢. معيار المطابقة :

يُستمد على المطابقة لتحين وظيفة الجملة، فإلا نقولنا في العربية ضربت موسى يسمرا، ذلك ثاء التثنية في الفعل على كون القاطل (يسرا)، وموسى (المفعول) وهي قرينة لمطابقة^(١).

٣. أداة التحريف :

يمكن من خلال (ال) في العربية تحيين العنصر الجديد في الجملة من العنصر المضاف، فوجودها يدل على أن هذا العنصر معلوم لدى المخاطب، في حين يكون غيابها دالا على تفكيره وعدم معرفته، ومن ذلك قوله تعالى (لَمَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رُسُلًا فَنُصِّيٰ فِرْعَوْنَ رُسُلًا) (الزمل/١٥، ١٦) فقد أشارت كلمة "رسولا" للخلفية من أداة التحريف إلى مرجع غير معروف، في حين كان دخول (ال) على كلمة رسول للتفدية سببا في تحديد المقصود بالرسول^(٢).

٤. دور المتكلم :

ويرى اللسانيون اللغويون أن المخاطب هو الذي يقرر لها من المعلومات ينبغي أن يعد من المسلمات، وأنها ينبغي أن يعد حديثا، وقد أكد "هافدي" هذه الحقيقة عندما ذهب إلى القول بأن الذي يحدد وضع المعلومة ليس بنية الخطاب بل المتكلم^(٣).

(١) ابن جني الفسلف، ٣٥/١، ص١٥٠.

(٢) محمد سعد يوسف، أصول قواعد العرب السلفية الحديثة، ص ١٢٨.

(٣) جيب برنارد، ج بول تحليل الخطاب ترجمة وعطف د. محمد لطفي قزويني ود. منير هريكي، ص ٢٢٥.

٥. الاعتماد على المعنى الدلالي :

ونلك من خلال جعل قولة ما جوتًا لسؤال نسأل، لنظر كيف يمكن أن نعرف المعلومة الجديدة من خلال طرح الأسئلة في المقولات الآتية :

من ١- ماذا فعل القطة؟ ج١- لقد أكل الفلر.

من ٢- ماذا حدث للفلر ؟ ج٢- لقد أكله القطة.

من ٣- هل للكلب أكل للفلر؟ ج٣- لا، بل القطة هو الذي أكل للفلر.

من ٤- هل الفلر أكل القطة؟ ج٤- لا، بل الفلر هو الذي أكله القطة.

لا حظ أن المعلومة المسئلة يشار إليها بالضمير، كما في الجواب رقم ١، حيث انير إلى القطة بالضمير المستتر في "أكل".

ويقسم اللغويون ما يُعروف عليه بالمتقدم ثلاثة أقسام : المتقدم الموضوعي، والمتقدم الشخصي، والمتقدم النصي. فمثال المتقدم الموضوعي القطة في نحو "القطة أكل الفلر". ومثال المتقدم الشخصي بصرلة في نحو "بصرلة، أذاك لا يعجبني". ومثال المتقدم النصي على أي حال في نحو "على أي حال، حاول أن تعيد للنظر في أذاك وسترى"^(١).

تصنيف الوظائف اللغوية :

مما لا شك فيه أن اللغة تتدخل بصورة فبالة في حياتنا، فتكيف تعاملنا وتفاعلنا مع الآخرين. إننا نستعملها كي نلهم، كي نستفهم ونسأل، كي يشكر بعضنا بعضًا، كي نتجادل ونتناقش.... إلخ؛ ويتفق أكثر علماء اللغة المعشئين على أن وظيفة اللغة هي: للتعبير والتواصل والتفاهم، رغم أن بعضهم يرفض لتقييد وظيفة اللغة بالتعبير والتواصل؛ فالتواصل إبدى وظائفها إلا أنه ليس الوظيفة الرئيسية؛ ومن ثم سميت الوظيفة اللغوية إلى قسمين هما الوظيفة المعرفية cognitive والأخرى الوظيفة الانفعالية emotive.

(١) د. محمد يونس، أصول تفاعلات اللغوس النفسية الحديثة، ص ١١٤، ١٤٩.

أولاهما : الوظيفة المعرفية التي تُعنى بها اللسانيون وفلاسفة اللغة، وتنحصر في كونها وسيلة لأداء المطروحات، مثلما يحدث في الأمر والنهي والاستفهام؛ ومن ثم يذكر "بينت": (أن وظيفة للتواصل تتمثل أساساً في سعي المتكلم إلى إبلاغ المتلقي بأمر ما أو إلى نسبة عمل ما إليه)^(١). وهذه الوظيفة يرجع إليها الفضل في تطوير الثقافات والحضارات بين الشعوب على اختلاف أجناسها ولغاتها وموروثاتها، كما يرجع إليها الفضل في ظهور الفلسفة والعلم والأدب، وانتقالها من موطنها الأصلي إلى غيرها من الثقافات الأخرى.

وثانيتهما : الوظيفة الانفعالية وهي التي تُعنى بها علماء اللسانيات الاجتماعية، ولها تقوم لغة بدور للتواصل بين أفراد المجتمعات البشرية؛ لإقامة العلاقات الاجتماعية وتثبيتها، كـ (الشكر، والتحية، والمجاملة)؛ ولذا تُعنى محللو لغة الخطاب كـ "برلون وعفوسون" (١٩٧٨م باللغة المستعملة لتنسيق الأدوار والعلاقات، وتضمن الأقران، وتحديد التبادل في الأدوار عند المحادثة، وإسعاد كل من المتكلم والمتلقي. ومن أوضح ما يمثل هذا الجذب من الاستعمال اللغوي أن قدرًا كبيرًا من المعاملات اليومية بين الناس إنما تقوم على اللغة، بوصفها بالدرجة الأولى أداة اتصال بين الأفراد أكثر من قيامها على اللغة بوصفها أداة لعمل^(٢). وقد حاول فلاسفة الموضوع للمنطقية التمييز بين الوظيفتين بجعل أولاهما المنوطة بالاعتناء لأن اللغة فيها تُستعمل كأداة رمزية تشير إلى الوقائع الموجودة في العالم الخارجي، ولا يزيد فعل اللغة على أن يكون تصويرًا لهذه الوقائع. وعبارة اللغة في هذا المجال - على الأكثر - هي العبارات الخبرية. أما الوظيفة الانفعالية فمملوغة وظيفية ثقافية؛ لكونها تُستعمل في إخراج الانفعالات التي تنضطرب بها نفس المتكلم كما يفعل الشاعر مثلاً، وعلمًا ما تكون للجميل الإثباتية هي المعبرة عن هذه الوظيفة^(٣)، وهذا الإجمال لم يُرض كثيرًا من اللغويين؛ لذهاب مذاهب شتى في تصنيف هذه الوظائف وسببها فيما يلي :

١. تصنيف مالتون لسكي (ت ١٩٣١م) :

(١) ج ب برتون، ج بول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق د. محمد لطفي قزاملتي، دار طوق القديس، ص ٢.

(٢) تحليل الخطاب، ص ٢.

(٣) جون جوردن، اللغة والفهم، ترجمة عبد القادر عراقي، علم المعرفة، بيروت ٢٠٠٧م، ص ٣١، ٣٢.

٥. الاعتماد على المعنى الدلالي :

ونلك من خلال جعل قولة ما جوتًا لسؤال نسأل، لنظر كيف يمكن أن نعرف المعلومة الجديدة من خلال طرح الأسئلة في المقولات الآتية :

من ١- ماذا فعل القطة؟ ج١- لقد أكل الفلّ.

من ٢- ماذا حدث للفلّ؟ ج٢- لقد أكله القطة.

من ٣- هل للكلب أكل للفلّ؟ ج٣- لا، بل القطة هو الذي أكل للفلّ.

من ٤- هل الفلّ أكل القطة؟ ج٤- لا، بل الفلّ هو الذي أكله القطة.

لا حظ أن المعلومة المسئلة يشار إليها بالضمير، كما في الجواب رقم ١، حيث انير إلى القطة بالضمير المستتر في "أكل".

ويقسم اللغويون ما يُعروف عليه بالمتقدم ثلاثة أقسام : المتقدم الموضوعي، والمتقدم الشخصي، والمتقدم النصي. فمثال المتقدم الموضوعي القطة في نحو "القطة أكل الفلّ". ومثال المتقدم الشخصي بصرلة في نحو "بصرلة، أذاك لا يعجبني". ومثال المتقدم النصي على أي حال في نحو "على أي حال، حاول أن تعيد للنظر في أذاك وسترى"^(١).

تصنيف الوظائف اللغوية :

مما لا شك فيه أن اللغة تتدخل بصورة فبّالة في حياتنا، فتكيف تعاملنا وتفاعلنا مع الآخرين. إننا نستعملها كي نلهم، كي نستفهم ونسأل، كي يشكر بعضنا بعضًا، كي نتجادل ونتناقش.... إلخ؛ ويتفق أكثر علماء اللغة المعشّين على أن وظيفة اللغة هي: للتعبير والتواصل والتفاهم، رغم أن بعضهم يرفض لتقييد وظيفة اللغة بالتعبير والتواصل؛ فالتواصل إبدى وظائفها إلا أنه ليس الوظيفة الرئيسية؛ ومن ثم سميت الوظيفة اللغوية إلى قسمين هما الوظيفة المعرفية cognitive والأخرى الوظيفة الانفعالية emotive.

(١) د. محمد يونس، أصول تفاعلات اللغوس النفسية الحديثة، ص ١١٤، ١٤٩.

أولاهما : الوظيفة المعرفية التي غني بها السامعون وفلاسفة اللغة، وتنحصر في كونها وسيلة لأداء المطروحات، مثلما يحدث في الأمر والنهي والاستفهام؛ ومن ثم يذكر "بيت" : (أن وظيفة التواصل تتمثل أساساً في سعي المتكلم إلى إبلاغ المتلقي بأمر ما أو إلى نسبة عمل ما إليه)^(١)، وهذه الوظيفة يرجع إليها الفضل في تطوير الثقافات والحضارات بين الشعوب على اختلاف أجناسها ولغاتها وموروثاتها، كما يرجع إليها الفضل في ظهور الفلسفة ولطم والأدب، وانتقالها من موطنها الأصلي إلى غيرها من الثقافات الأخرى.

وثانيتهما : الوظيفة الانفعالية وهي التي غني بها علماء اللسانيات الاجتماعية، ولها تقوم لغة بدور التواصل بين أفراد المجتمعات البشرية؛ لإقامة العلاقات الاجتماعية وتثبيتها، كـ (الشكر، والتحية، والمجاملة)؛ ولذا غني محللو لغة الخطيب كـ "برلون وعفوسون" (١٩٧٨م) باللغة المستعملة لتنسيق الأدوار والعلاقات، وتضامن الأقران، وتحديد التبادل في الأدوار عند المحادثة، وإسعاد كل من المتكلم والمتلقي. ومن أوضح ما يمثل هذا الجذب من الاستعمال اللغوي أن قدرًا كبيرًا من المعاملات اليومية بين الناس إنما تقوم على اللغة، بوصفها بالدرجة الأولى أداة اتصال بين الأفراد أكثر من قيامها على اللغة بوصفها أداة لعمل^(٢). وقد حاول فلاسفة الموضوع للمنطقية التمييز بين الوظيفتين بجعل أولاهما المنوطة بالاعتناء لأن اللغة فيها تستعمل كأداة رمزية تشير إلى الوقائع الموجودة في العالم الخارجي، ولا يزيد فعل اللغة على أن يكون تصويرًا لهذه الوقائع. وعبارة اللغة في هذا المجال - على الأكثر - هي العبارات الخبرية. أما الوظيفة الانفعالية فمملوغة وظيفية ثقافية؛ لكونها تستعمل في إخراج الانفعالات التي تنضطرب بها نفس المتكلم كما يفعل الشاعر مثلاً، وعالمًا ما تكون للجمال الإثباتية هي المعبرة عن هذه الوظيفة^(٣)، وهذا الإجمال لم يُرض كثيرًا من اللغويين؛ لذهبوا مذاهب شتى في تصنيف هذه الوظائف وسببها فيما يلي :

١. تصنيف مالتون لسكي (ت ١٩٣١م) :

(١) ج. ب. برتون، ج. بول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق د. محمد لطفي قزاملتي، دار طبع الحديث، ص ٢.

(٢) تحليل الخطاب، ص ٢.

(٣) جون جوردن، اللغة والفهم، ترجمة عبد القادر عراقي، عالم المعرفة، الكويت ٢٠٠٧م، ص ٣١، ٣٢.

وضع "ماليوفسكي" تصنيفاً للوظائف اللغوية مرتبطاً بعمله عن الموقف والمعنى (١٩٢٣م). وقد جعل وظائف اللغة - في هذا التصنيف - في مقولتين اثنتين واسعتين، هما: الوظيفة التداولية Pragmatic function، والوظيفة السحرية Magical function. ولما كان "ماليوفسكي" أنثروبولوجياً، فقد عني بالاستعمالات العملية أو التداولية للغة من ناحية (وهي التي فرغها - بعد ذلك - إلى الاستعمالات القاطنة والاستعمالات السردية). ومن ناحية أخرى، عني بما للغة من استعمالات طقوسية، أو سحرية. وهي تلك الاستعمالات التي ترتبط بالأنشطة الاحتفالية الرسمية، أو الدينية في ثقافة بعينها^(١).

٢. تصنيف كارل يوهان (ت ١٩٣٤م) :

وقد كان "يوهان" قد حصر الوظائف اللغوية في ثلاثاً^(٢):

- أ. والفة تعليمية: ترجع إلى موضوع الحديث أي إلى المحتوى الإرجاعي، ويمكن أن نطلق عليها (الوظيفة الوصفية).
- ب. والفة تعبيرية: وهي ترجع إلى المتحدث وتشير إلى حالته الفكرية والعاطفية بالنسبة لموضوع الحديث.
- ج. والفة تداوية: وترجع إلى المخاطب ومشاركته في التواصل كطرف مرتبط ومعني بالرسالة.

٣. تصنيف شتون/ ويغر (ت ١٩٤٦م) :

وضع الأمريكان "شتون" و"ويغر" نموذجاً مؤسساً على النظرية الإعلامية ومكوناً من: المرسل، والخبر، والشفرة، والقبلة، والمستقبل. وينطبق هذا النموذج على المعالجة التوضيحية لتوصيل النصوص أيضاً :



(١) ديميد الجند الجبل والافتراق ط٢، مجلة الأراب، ٧-٢٠٠٧، ص ٢٣.

(٢) جون ديويده اللغة والفكر، ترجمة عبد العزيز عزي، ص ٦٥.

وقد راق لـ "سورنسكي" أن يربط هذا النموذج بالاتصال النصي، فمع حدث الاتصال - حيثما يكون نقل الأخبار في هيئة نصية- يزدى المؤلف دور المرميل ويوضع النص ذاته في شفرة، أي في صيغة لغوية، يطعن إليها المرميل والمستقبل وتتلمب النقل صرقة (سحبة أو بصريّة) مختلّة. وقد تملّزم خصوصيات القصد، والموقف تغيرات في مكونات الشفرة والصيغة النصية^(١).

٤. تصنيف ديسموند موريس (١٩٦٧م) :

قدم "موريس" - في دراسة له عن الأجناس البشرية من وجهة النظر إلى سلوكية الحيوان - تصنيفاً آخر لوظائف اللغة، فيما أسماه بـ "الحديث الإعلاني information talking"، و"الحديث المزاجي mood talking"، و"الحديث التروفي (الترثرة) grooming talking".

لما الأول، فهو تبادل المعلومات تبداً مشتركاً. وكلّ "موريس" يرمي إلى إظهار هذا النوع أولاً، بالرغم من أن تاريخ حياة الإنسان والطفل - كما يقول "هاليداي" - يبين أنه يأتي في آخر ما حده من أنواع. ولما الثاني، فهو وظيفة للتعبيرية عند "برهزر"، وكذلك عند "جكوبسون". وقد عرف النوع الثالث بأنه من أجل الحديث؛ كان له وظيفة جمالية ووظيفة للتلاعب .

كذلك، فقد عرف النوع الأخير بأنه للترثرة المهذبة التي لا معنى لها في مناسبات اجتماعية. وهذا ما أشار إليه "ماليونفسكي" في حديثه عن المحافظة الاجتماعية؛ أي الاشتراك في المعنى أثناء الحديث، على نحو ما نجد في استعمال الناس تعبيرات مثل: يوم جميل، ليس كذلك! فمثل هذه التعبيرات، تُعد - بحسب "هاليداي" - طريقة لتزييت التفاعل الاجتماعي^(٢).

٥. تصنيف ليهتش (١٩٧٩م) :

يتصل تصنيف "ليهتش" اتصالاً محكماً بملاحج جوعرية خمسة في أي موقف اتصالي، وهي :

(١) ديسموند موريس، المبدأ والاشارة من ص ٣١، ٣٥.

(٢) السابق نفسه، ص ٣٦، ٣٧.

١. الموضوع subject-matter.
٢. المبتكر Originator (كالمتكلم أو الكاتب).
٣. المستقبل Receiver (كالمستمع أو القارئ).
٤. قناة الاتصال Cannel of Communication.
٥. الرسائل اللغوية ذاتها Linguistic Message.

وتطبق كل وظيفة من الوظائف الخمس توجه للغة إلى عامل من العوامل السابقة :

الوظيفة	توجه اللغة إلى عامل
الإعلامية :	الموضوع
التعبيرية :	لمتكلم/ الكاتب
للتوجيهية :	المستمع/ القارئ
الاجتماعية :	قناة الاتصال
الجمالية :	الرسالة ^(١)

٦. تصنيف كوستاف جيوم :

أ. يعد "كوستاف جيوم" "Gustave Guillaume" من أعلام المدرسة الوظيفية الذين طوروا نظرية في اللغة عرفت بـ "السيكو- نسقية" "Psycho-systematique" أو علم النفس الميكانيكي، ويعد هذا المنهج اللغة «بشكلًا» يرتبط بحركة الفكر، بدلا من أن تكون نظام اختلافات» فقط كما قال "دي موسير".

ب. وقد ميز "جيوم" على صعيد القول أو الكلام بين:

- والقيمة المركزية : وظيفة للتواصل .

- والغلب الثلوية : لا يمكن تحييدها بالنسبة إلى الوظائف الباقية إلا كإزياج استكمال للسان.

(١) مصدر الجمع، الصيغة والإشارة من ١.

ج. الأداة التواصلية لأغراض غير التواصل هي :

- وظيفة إظهارية : تبرير الخطأ بين المتكلم والمستمع. وتصلح اللغة لتأكيد وجود الذات والتفكير.
- وظيفة جمالية : استعمال اللسان في تواصل أفضل.
- وظيفة بلورية الفكرة : تدخل الملائكة بين اللسان والتفكير في مجال علم النفس، لأن التفوي لا ينظر إلا في الفكر للمنطوق.

- طرائق لسانية لا تفسر وجودها العلاجات للتواصلية منفردة :

- وظيفة تعبيرية: إظهار إرادي للملغة بواسطة القوالب، إيج.
- وظيفة دمجية: يحاول المتكلم أن يولد عند المستمع بعض التأثيرات العاطفية دون أن يشاطره إياها (كحال الخطوب والكاتب، إيج...).
- وظيفة تكيفية: تستعمل اللغة للتحدث عن اللغة (أحمر هو لمت) (١).

٧. تصنيف بوير :

إذ يفسر "بوير" تطور القدرة على استعمال اللغة وظلها، بأنها لتتبع إلى ثلاث شعب: قبيولوجية، نفسية، والاجتماعية. فالقدرة عند الإنسان، هي أصلها، هي بلا شك موروث جيني في حين يكون الطورق التفوي شئنا يكتسبه الإنسان من خلال التعلم والممارسة، بيد أنه يظل بحاجة إلى الفعل للتقني والاجتماعي لاستعمال ما تعلمه. وتتحصر وظائف استعمال اللغة عند "بوير" في أربع وظائف، مرتبة من الأدنى إلى الأعلى هي :

- أ. الوظيفة التعبيرية: (لتعبير الشخص عن حالاته الداخلية).
- ب. الوظيفة الإشارية: (لتبليغ الشخص المعلومات المتعلقة بحالاته الداخلية إلى الآخرين).

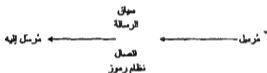
- ج. الوظيفة التواصلية: (لوصف الأشياء في المحيط الخارجي).
- د. الوظيفة المعنوية: (لتقديم المرحح وتبريرها).

(١) دخل إلى الأمانة، ترجمة طلال وعبد، ص ٩١، د. ميشال زكريا (الاصول علم لغة حديثة)، ص ٨٤.

ويرى "بوبر" أن هذه الوظائف تكون هراء، بحيث يتزامن ظهور الوظيفة التي تقع في المرتبة الأعلى مع ما دولها من وظائف، في حين لا تتضمن الوظيفة الدنيا ما يطوها من وظائف^(١).

٨. تصنيف جاكوبسون (١٩٩٦-١٩٨٢م) :

الفكرة الأساسية لـ "جاكوبسون" تحيد الموقف الممثلة إلى سياق واحد. فالموقف الاجتماعية توصف بالنسبة إلى "موقف علم". وهذا الموقف يوضحه "جاكوبسون" في رسم بياني أصبح اليوم مشهوراً، وهو يحدد على حوامل متحدة لا تنفصل في التوصل الكلامي. وهذا الرسم البياني يأخذ الشكل التالي^(٢):



فالمرسل (أو المتكلم) هو مصدر الرسالة، أي المكان الذي تقع فيه خطوط الرسالة وتكمل. فضلاً عن أن مصطلح "مرسل" لا يُطلق على الأشخاص وحدهم بل يطلق على الأجهزة أيضاً. فالمرسل يرسل رسالة لأنه يرسل إشارات ذات قوة وشكل معينين.

لما المرسل إليه أو المستقبل، فهو الذي يقوم بفك الرموز وفهم النص. والمرسلة تتركز على المغزى الذي يختار منه المرسل ما يحتاج إليه للتعبير، ثم ينظمه في مقولة يبعثها إلى المرسل إليه. ولكنها لا يمكن أن تُفهم أو تُفك إلا ضمن سياق لردّها إليه (وهو ما نسميه المرجع) ويمكن فهمه من قبل الملقّي. ثم تأخذ الرسالة نظاماً مشتركاً بين باث وفك الرموز. وأخيراً لابد من

(١). عبد القوي بن طاهر، القوي، استراتيجيات الخطاب، ص ١٤.

(٢). لفظة قبل بركة، الفكرة الأساسية عند روبن جاكوبسون، ص ١٤، ١٥.

وجود قناة اتصال بين المرسل والمرسل إليه لإكتمال للتواصل. إن كل واحد من هذه العناصر السابق ذكرها يؤكد وظيفة لغوية مختلفة^(١).

وقد رأى "جكوبسون" أن هناك ست وظائف للاتصال كان قد صنّفها كما يلي :

أ. الوظيفة التعبيرية :

تحدد هذه الوظيفة الملائق بين الرسالة والمرسل، فعندما نتصل بالآخرين عبر الكلام، أو أي نمط من أنماط الدلالة، فإننا نرسل - في الحقيقة، لذكرا تكون نسبة طبقا لطبيعة المرجع، إلا أنه باستطاعتنا أيضا أن نعبّر عن موقفنا إزاء هذا الشيء، فنحسه جيدا أو سيئا، بدميلا أو بشما، مرغوبا فيه أو منفرا، مستعزما أو مضحكا .

وتتسلل الفاحية الانفعالية الصرفة في اللغة في حروف التمجيد، وهذه الحروف تتحدد عن أساليب اللغة المرجعية عبر تمثيلها الصوتي (نلاحظ فيها تنبّهات صوتية خاصة، كما نلاحظ أصواتا غير معروفة في بقية المواضيع)^(٢)، وفي الوقت نفسه عبر دورها التركيبية، فحرف التمجيد ليس طعصرا من عناصر الجملة، إنما يعادل الجملة للجملة^(٣).

ب. الوظيفة التثنيةية أو (الأمرية) :

وهي وظيفة تشعيرية أو أمرية تحدد العلاقات بين الرسالة والمستقبل لأن غاية كل تواصل هو الحصول على رد فعل أو استجابة من هذا المستقبل^(٤). ويمكن أن يتوجه هذا النداء أو الأمر إما إلى نكاه وإما إلى حليلة للمستقبل بحيث يتضح التمييز على هذا المستوى - بين الموضوعي والذاتي، والمرئي

(١) ر. عطية العليل بركة، القضية اللغوية الحديثة، ص ١٥٤، ر. صر لوكان، اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠١، ص ٣١، ٣٧.

(٢) جاكوبسون، مولان، ميكي، غارناس ولغرون، القواعد لغويات ومقارنته ترجمة عز الدين القبطي وزهر حوت، طبع في طبعات دار البيضاء، ٢٠٠٧، ص ٦٦، ٦٧.

(٣) ر. راجس نور الدين، نظرية التواصل والعمليات المعنوية، ص ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، صر لوكان، اللغة والخطاب، ص ١٠٤.

(٤) جاكوبسون، مولان، ميكي، غارناس ولغرون، القواعد لغويات ومقارنته، ص ٦٧، ٦٨.

والمعلماني، علاقة تبرز للتمارض القائم بين الوظيفة المرجعية - التي سنتحدث عنها فيما بعد - والوظيفة المعلمانية.

وهكذا تظهر هذه الوظيفة في الرسائل التي نتوجه إلى المستقبل؛ الإشارة انتباهه أو لتطلب منه القيام بعمل معين وتدخل جملة الأمر، والاستقبال، والنداء، وللمتني، والأساليب الإنشائية صومًا ضمن هذه الوظيفة للتأثيرية^(١).

ج. الوظيفة المرجعية :

تظهر هذه الوظيفة في الرسائل ذات المحتوى، وهي التي تتناول موضوعات وأحداثًا معينة، وتشكل هذه الوظيفة التبرير الأساسي لسلية التواصل.

ذلك أننا نتكلم وعلينا الإشارة إلى محتوى بعينه، نرغب في إيصاله إلى الآخرين، وتبادل الآراء معهم حولها^(٢)، وهي من أهم الوظائف، إن لم نقل إنها الوظيفة الأساسية، لأننا نتحدث غالبًا لتخبر ونبليغ ونعلم؛ لهذا عدها غيره قاعدة كل تواصل^(٣).

د. الوظيفة الإنشائية :

وتهدف هذه الوظيفة إلى تأكيد وتثبيت أو إيقاف التواصل ويصنف "جاكوبسون" بناءً على ذلك كل العلامات التي تنشئ التواصل أو تسعى إلى إبطائه أو إيقافه، كما تتمد إلى التأكيد من فاعلية التواصل مثل ما يحدث عند قولنا ونحن نتكلم هنا: "ألا، أسمعني؟" أو إلى قلة اقتناء المتحدث أو التثبيت من عدم إيصاله الخط الهاتفي: "قل أسمعني؟" أو "اصغ إلي جيدًا فحبيب المستمع في الطرف الآخر "هم ... هم، أو نعم ... نعم"^(٤).

وقد أخذ "جاكوبسون" هذه الوظيفة عن "ماليونفسكي"، وباجملة فإن هذه الوظيفة تظهر في الرسائل التي تراعي إقامة الاتصال وتأمين استمراره، وتقوم

(١) د. ريمس نور الدين، نظرية التواصل والعلامات الفنية، ص ١٠٢. د. حور لوكان، اللغة والمعلماني، ص ٩٠.

(٢) د. ريمس نور الدين، نظرية التواصل والعلامات الفنية، ص ١٠٤.

(٣) د. حور لوكان، اللغة والمعلماني، ص ٩٠.

(٤) جاكوبسون مولانا ميكي، علمي وفنون، التواصل لفريق ومكروفت، ص ١٦، ١٦٦.

هذه الوظيفة على معايير تتبع للمرسل للغة التواصل أو قلعه؛ ومن ثم تؤدي دوراً مهماً في كل أشكال التواصل^(١)، وتدخل في هذا الإطار عبارات المجاملة والأدب، والأسئلة عن الصحة والطقس، والتحية والسلام، وغيرها مما أسماه "ماليبولسكي" "بالتشاورك الانتهاء"؛ حيث الخطاب لا يهدف إلى الإبلاغ (ومن ثم فليس كل تواصل يستهدف إبلاغاً). فالمحتوى هنا لا يحبر عن معلومات بل يحبر عن علاقات اجتماعية^(٢).

٥- الوظيفة التبادلية :

وقد سماها "كوتون أبر زيد"^(٣) "الألسنية للتحدية" ويبن - نقلاً عن "بيير كيرو" - أنها تهدف إلى تحديد معنى العلامات التي تستعصى على فهم المستقبل .

وتظهر هذه الوظيفة في الرسائل التي يكون محورها اللغة نفسها فتتناول بالوصف اللغة ذاتها، وتشتمل هذه الوظيفة على عناصر اللبنة اللغوية وتعريف للمفردات^(٤)، وتؤدي هذه الوظيفة دوراً مهماً لدى الملاحظة، وفي الحياة اليومية، وفي تعلم اللغة واكتسابها (اللغة الأم أو اللغة الأجنبية) وهي تلعب في كل مرة يلجأ فيها أحد طرفي التواصل (المرسل أو المتلقي) إلى التأكيد من استيعابها السنن نفسه^(٥).

٦- الوظيفة الشعرية :

المركزة على الرسالة بالذات، وذلك حين تكون الرسالة محنة لذاتها : كما في القصود الفنية اللغوية (مثل القصائد الشعرية، وغيرها)^(٦).

(١) .د. وليس نور الدين، نظرية التواصل والعمليات اللغوية، ص ١٠٦.

(٢) .د. صر أركان، اللغة والمخاطبة، ص ٥٠، ٥١.

(٣) بيير كيرو، المصطلحات، ترجمة لطيفان أبر زيد، ط ١، منشورات عريقات، بيروت، لبنان، ١٩٨٤، ص ١٢.

(٤) .د. وليس نور الدين، نظرية التواصل والعمليات اللغوية، ص ١٠٧.

(٥) .د. صر أركان، اللغة والمخاطبة، ص ٥١.

(٦) جروج سولان، علم اللغة في القرن العشرين، ص ١٢٢، ١٢٣، د. للغة الطليل بركة، نظرية اللغوية

طه رومان جاكوبسون، دراسة وأسس، ص ١٢.

بالوظيفة الشعرية ليست الوظيفة الوحيدة لأن الكلام، فهي فقط الوظيفة السائدة والمحددة، بيد أنها تزدي في النشاطات الكلامية الأخرى دوراً مساعداً ومتماً وتتصق هذه الوظيفة - التي تظهر بوضوح الناحية المصنوعة في الإشارات في التفرع الشكلي الأساسي بين الإشارات والأشياء^(١)، وقد جاء اهتمام جلكويسون بالوظيفة الشعرية بغية تحويل الاهتمام من العنصر الخارجية إلى العنصر الدخيلة للنص. ويأتي تركيزه على التوازيف الصوتية، في إطار مهلهمة الشكلانية^(٢).

وعلى الرغم من اعتراض بعضهم على هذا التقسيم، من أنه تقسيم غير كاف، وأن (جلكويسون) لم يستوف وظائف تصالات اللغة كلها، إضافة إلى بعض الناس الكامن في تصوفه، ولا سيما في تمييز وظيفة عن أخرى، وفي عدم انطلاقها من معيار لغوي حقيقي، بالإضافة إلى عدم قدرة هذه الوظائف على تصوير فعل اللغة وتطورها من وجهة نظر لغوية، على الرغم من ذلك كله، إلا أن هذا التصنف تعد من حيث شموليته، من أبرز التصنيفات التي تعالج وظائف اللغة من خلال وصف لمتعلقاتها وشرحها^(٣).

٩. تصنيف هالدياي (ت١٩٩٠م) :

اهتم "هالدياي" بوظيفة اللغة، من حيث كونها ظاهرة اجتماعية تعتمد في تطورها على نظامها الدخلي ولشكلاها الدلالية، وتنقسم إلى :

١. وظيفة لغوية : وبها يتمكن المتكلم من التعبير عن المحتوى، أي خبرته بعالم الواقع بما فيه العالم الدخلي لوجهه الخاص، وفي إجراء هذه الوظيفة يشير المتكلم إلى الناس والأشياء والأفعال والوقائع، والحالات، والفكرات، والملازمات. نحو : أنا اشتريت سيارة جديدة أمس. فيكون محتوى المنطوق جمع بين متكلم + فعل + شيء + حالة + زمن^(٤).

٢. الوظيفة التعليلية : وبها يتواصل المتكلم مع أفراد مجتمعه، ويتبادل معهم الخبرات والثقافة، وهي تتفرع عن نور المتكلم في مقام الكلام، وما يلزم به

(١) . راجع إدوين. نظرية التواصل والتصنيفات الشكلية، ص١٠٩.

(٢) . صر أوكاي، اللغة والشكل، ص٥٢.

(٣) . مدخل إلى الأساليب ترجمة طلال وجيه، ص٩٤.

(٤) . مدخل نفسه، ص٤٤.

نفسه من قيم وأعراف في تعامله مع الآخرين، نحو: "صباح الخير أملا،
نشكركم على المتابعة، إلى اللقاء، وقلنا مثلاً: كيف حالك؟، يوماً جميلاً"، يُد
من طرق إطلالة هذا الاحتكاك^(١).

وهذه الوظيفة من وظائف اللغة هي التي تعن على تأسيس للعلاقات
الاجتماعية وترسخها، وهي التي من خلالها تتحدد الفئات الاجتماعية وتشكل
وتتوي شخصية الفرد، إذ إن تمكنه من الاتصال بالآخرين والتعامل معهم يعينه
على التعبير عن ذات نفسه وعلى تطويرها^(٢).

ج. الوظيفة التنصية :

تجعل المتكلم فاعلاً على هذه النصوص، أو الربط بين أجزاء الخطاب
الوحيد، بما تقدمه من وسائل الربط وخصائص السياق الذي تستخدم اللغة فيه،
وهي التي تجعل السمع أو القارئ يميز نصاً من مجموعة عشوائية من
الحمل^(٣). ولتتأمل الفقرة التالية: "مسي الأولاد إلى السيارة. ولقت السيارة عند
حافة العشب. رمى الأولاد الكس المملوءة على السيارة. تطلع الأولاد نلحية
المظلة. اشتمل الضوء الفلانت في المظلة".

إذا تأملناه لحرقنا أن الفقرة النموذجية أكثر من مجرد تتابع من الحمل. إن
النص يستخدم أنماطاً متنوعة من المصادر النحوية للتعبير عن الأفكار ولتعلق
بعضها ببعض ويكون هذه المصادر فاعل الأكثر النتائج سيكون عبارة عن فقرة
غير متماسكة^(٤). در الوظيفة المنطقية: وهي التي تربط الأفكار ببعضها ببعض
على أساس التعادل أو التبعية، نحو: زيد سيتأخر، وعصرو أن يستطيع أن يأتي
مطلقاً^(٥).

ولنن من هذا التصنيف عند "هالديني" الاعتماد بإيراز العلاقة التي

(١) د. محمد الحيد، الصورة والإشارة، ص ١٥.

(٢) د. عبد المسعود، في نفس الأبي وإرشاد لطيفة إيساقية، ط ٢، دار ابن جرير، بيروت، ١٩٩٢.

(٣) د. مسعود أحمد، طالع، ط ١، دار الفكر، ١٩٩٢، ص ١٢.

(٤) د. ٢٠٠١، ص ٥٢.

(٥) د. محمد الحيد، الصورة والإشارة، ص ١٩.

(٦) د. هالديني، ص ١١.

الوظيفة الشعرية ليست الوظيفة الوحيدة لثن الكلام، فهي فقط الوظيفة السائدة والمهيمنة، بيد أنها تؤدي في التسلطات الكلامية الأخرى دوراً مساعداً ومتمماً وتتمتع هذه الوظيفة - التي تظهر بوضوح الناحية المصروسة في الإشارات في التفرع اللغوي الأساسي بين الإشارات والأشياء^(١)، وقد جاء اهتمام جاكوبسون بالوظيفة الشعرية بغية تحويل الاهتمام من العنصر الخارجية إلى العناصر الداخلية للنص. ويأتي تركيزه على التوزيقات الصوتية، في إطار مهاجمة الشكلانية^(٢).

وهي الرغم من اعتراض بعضهم على هذا التقسيم، من أنه تقسيم غير كاف، وأن (جاكوبسون) لم يستوف وظائف اتصالات اللغة كلها، إضافة إلى بعض اللبس الكامن في تصنيفه، ولا سيما في تمييز وظيفة عن أخرى، وفي عدم انطلاقها من معيار لغوي حقيقي، بالإضافة إلى عدم قدرة هذه الوظائف على تفسير فعل اللغة وتطورها من وجهة نظر لغوية، على الرغم من ذلك كله، إلا أن هذا التصنيف تعد من حيث شموليته، من أبرز التصنيفات التي تملح وظفت اللغة من خلال وصف استمالاتها وشرحها^(٣).

٩. تصنيف هاليداي (ت ١٩٩٠م) :

أهتم "هاليداي" بوظيفة اللغة، من حيث كونها ظاهرة لاجتماعية تعتمد في تطورها على نظمها الداخلي وأشكالها الدلالية، وتنقسم إلى :

١. الوظيفة فكرية : وبها يتمكن المتكلم من التعبير عن المحتوى، أي خبرته بعالم الواقع بما فيه العالم الداخلي لوجهه الخاص، وفي إجراء هذه الوظيفة يشير المتكلم إلى الناس، والأشياء، والأفعال، والوقائع، والحالات، والفكرات، والملازمات. نحو : أنا اشتريت سيارة جديدة أمس. فيكون محتوى المنطوق جمع بين متكلم + فعل + شيء + حالة + زمن^(٤).

٢. الوظيفة الاجتماعية : وبها يتواصل المتكلم مع أفراد مجتمعه، ويتبادل معهم الخبرات والتفكير، وهي تحفز عن دور المتكلم في مقام الكلام، وما يلزم به

(١) د. ريمس نور الدين، نظرية التواصل والعمليات النفسية، ص ١٠٩.

(٢) د. حسر أركان، اللغة والمطالع، ص ٥٦.

(٣) مدخل إلى الأسس، ترجمة خليل وهبة، ص ٩٢.

(٤) هاليداي نفسه، ص ١٤.

نفسه من قيم وأعراف في تعامله مع الآخرين، نحو: "صباح الخير أهلاً، أشكركم على التظلمة، إلى اللقاء، ولولنا مثلاً: كيف حالكم؟ يوماً جميلاً"، يُعد من طرق إتاحة هذا الاحتكاك^(١).

وهذه الوظيفة من وظائف اللغة هي التي تمحور على تأسيس العلاقات الاجتماعية وترسخها، وهي التي من خلالها تتحدد اللغات الاجتماعية وتُشكل وتقوي شخصية الفرد، إذ إن تمكينه من الاتصال بالآخرين والتعامل معهم يعونه على التعبير عن ذات نفسه وعلى تطويرها^(٢).

ج. الوظيفة التنصية :

تجعل المتكلم قادراً على بدء النصوص، أو الربط بين أجزاء الخطاب الواحد، بما تقدمه من وسائل الربط والخصائص السياقية التي تستخدم اللغة فيه، وهي التي تجعل للسلع أو القارئ يميز نصاً من مجموعة متواترة من الجمل^(٣). ولتتأصل الفترة التالية: "يسمى الأولاد إلى السيرة. ولقت السيرة عند حافة الشعب. رمق الأولاد لكلس السيرة على السيرة. تطلع الأولاد لنحية المسئلة. لتتأمل الضوء الفات في المسئلة".

إذا تأملناه أدركنا أن الفترة النموذجية أكثر من مجرد تتابع من الجمل. إن النص يستخدم أنماطاً متنوعة من المصادر النحوية للتعبير عن الأفكار وتعليق بعضها ببعض وبدون هذه المصادر فإن الأثر الناتج سيكون عبارة عن قراء غير متماسكة^(٤). د. الوظيفة المنطقية: وهي التي تربط الأفكار ببعضها ببعض على أساس التعامل أو التبعية، نحو: زيد سيُفكر، وعمر إن يستطيع أن يأتي مطلقاً^(٥).

وللمس من هذا التصنيف عند "هاليداي" الاهتمام بـ"إيراز العلاقة التي

(١) د. محمد أحمد الجبار والإشراك من: ٤٠.

(٢) د. محمد مسروق، في نفس الأسس وإثباته لثبوتية إحصائية، ط٢، دار عن دراسات وبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٢، ص٧٧.

(٣) د. مسروق أحمد أحمد، علم لغة الفصحى، مثل إلى القصة القصيرة عند هاليداي، ط٢، مكتبي الشرق، ٢٠٠١، ص٥٣.

(٤) د. محمد أحمد، الجبار والإشراك من: ٤١.

(٥) المسبق نفسه من: ٤١.

براعيا المرسل بالسبب الذي ينتج فيه خطابه، باستثمار نظم اللغة؛ إذ ينظر إلى الناس وحاجتهم إلى تأسيس العلاقة بينهم، والتعامل من خلال اللغة التي تقوم بهذه الوظيفة، أي بالوظيفة التماسكية. ولتحدد الوظيفة الثلاثية، فإنه يبدو الاهتمام بدور اللغة في القيام بمثل ذلك، أي بتشكيل الخطاب لغوياً، وفقاً لقوانين اللغة ذاتها، إذ تعتمد الوظيفتان الأولى على هذه الوظيفة بإيرازهما في النص اللغوي .. وتعد اللغة نظاماً لأداء المعنى، إذ تسهم كل وظيفة من هذه الوظائف الأربع بقسط فيه، مما يحولها إلى مكونات وظيفية، فيكون المعنى تصورياً لأن للغة تجسد معرفة المرسل، أي حين يكون المعنى تملكياً بوصف اللغة شكلاً فعلياً، ويكون المعنى نسبياً لملائته بالسباق الخارجي، و تعلق المكونات اللغوية للخطاب في نظام خطي، ويكون المعنى منطقياً عندما يعتمد على معايير للمعانيات^(١).

وفي دراسات متطورة فُهم "هاليداي" halliday تصنيفاً موسعاً لوظائف اللغة فتخصصت محاوراته عن الوظائف الآتية :

أ. الوظيفة القلبية الوسيطة :

وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها "أنا أريد" فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يُشبعوا حاجاتهم وأن يعبروا عن رغبتهم^(٢).

ب. الوظيفة التنظيمية :

وهي تُعرف باسم وظيفة "العمل كذا، ولا تفعل كذا" فمن خلال اللغة يستطيع الفرد أن يتحكم في سلوك الآخرين، لتلبية المطالب والذهي، وكذا القائلات التي نقرأها، وما تعمل من توجيهات وإرشادات.

ج. الوظيفة التلاطية :

(١) انظر المجلات المطلوبة من ١، ١٤.

(٢) د. حمدة عبد يوسف: ميكولوجية لغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٠م، ص ٦٦ وما بعدها.

وهي وظيفة "لما وأنت" حيث تستغل اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي؛ لأن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع للتفكك من أسر جماعته، فستستخدم اللغة في المناسبات، والاحترام، والتأدب مع الآخرين.

د. الوظيفة للشخصية :

من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يعبر عن رؤياه الفريدة، ومشاهره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة؛ ومن ثم يثبت هويته وكيانه الشخصي ويقدم أفكاره للآخرين.

هـ. الوظيفة الاستكشافية :

وهي التي تُسمى الوظيفة "الاستقصائية" بمعنى: أنه يسأل عن الجوانب التي لا يعرفها في البيئة المحيطة به حتى يستكمل للنقص عن هذه البيئة.

و. الوظيفة التخيلية :

تتمثل فيما ينسجه من أشعار في قلوب لغوية، كما يستعملها الإنسان للترويح، ولشحن الهمة، ولتغلب على صعوبة العمل، وإنشاء روح الجماعة، كما هو الحال في الأهلي والأهازيج الشعبية.

ز. الوظيفة الإخبارية (الإعلامية) :

وهي التي يستطيع الفرد من خلالها أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتتالية، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية، خصوصاً بعد الثورة التكنولوجية الهائلة. ويمكن أن تمتد هذه الوظيفة لتصبح وظيفة للأبرية، إنقاعة؛ لحث الجمهور على الإقبال على سلعة معينة وللحد من نمط سلوكي غير محبوب.

ح. الوظيفة الرمزية:

يرى "هاليداي" أن لفظة اللغة تمثل رموزاً تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي، ومن ثم فإن اللغة تستعمل كوظيفة رمزية^(١).

طرق الوظيفة الانطباعية :

ويحني بها للكلمات التي يؤدي بها عمل ماء، فمجرد التلظظ بها تنجز كل ما يقول لفلان: (لوصي بساعي لأخي) فمجرد التلظظ انتقلت الساعة إلى الموعد له ومن لم يكون التلظظ بالجميل لا يحني وصف حال التلوم بالقليل، ولا يتحدث على هذا النحو، كما لا يثبت التلوم بتلك الفعل: بل إن التلظظ بالجملة هو إنجازها^(٢).

مبادئ الاتجاه الوظيفي :

١. اللغة وظرف متعددة تعدد الأغراض المستعملة لأجلها، ولكن الوظيفة الاسمية هي وظيفة للتواصل .
٢. ترتبط البنية بالوظيفة لارتباطها يجعل البنية انعكاساً للوظيفة .
٣. موضوع الوصف اللغوي هو "القدرة التواصلية" للمتكلم/ والمخاطب، والقدرة هذه هي مجموع القواعد البنيوية/ والوظيفية التي تمكنه (المتكلم/ والمخاطب) من استكمال صبرات لغوية معينة لتأدية أغراض معينة في مواقف تواصلية معينة.
٤. يشكل النحو الكلي مجموعة من المبادئ العامة الرابطة بين أنماط من الأغراض وأنماط من التركيب اللغوية.
٥. تتفاضل الأنماط طبقاً لاستجابتها لمبدأ الوظيفة، أي طبقاً لقدرتها على رصد الظواهر اللغوية وتفسيرها في إطار الارتباط القائم بين البنية والوظيفة.

(١) كابل - بيتر بونتج، النقل إلى طم الله، ترجمة وتلخيص د. سعيد حسن محمود، ط١، مؤسسة السقار، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٩، ٢٠.

(٢) اللغة والبيئة، ص ٤١.

يجب أن يُصاغ النحو بحيث تكون الخصائص التركيبية الصرفية ناجمة عن قواعد تتخذ دخلاً لها للبنية الممثل فيها للخصائص للدالية والتداولية^(١).

خصائص الاتجاه الوظيفي :

١. قدرة المتكلم والسامع عند الوظيفيين هي معرفة المتكلم بالقواعد التي تمكنه من تحقيق الأغراض التواصلية بواسطة اللغة ومعرفة السامع بفرض المتكلم من رسالته^(٢).

٢. يحل المستوى التداولي والدلالي في الاتجاه الوظيفي داخل النحو مستوى مركزياً ويتولى تحديد خصائص التركيب.

٣. يدخل في التيار الوظيفي كل النظريات السلفية التي تجعل من مبادئ المنهجية العامة تفسير الخصائص الصوتية للغة الطبيعية، وذلك بربط هذه الخصائص بوظيفة اللسان الطبيعي للتواصل.

٤. يعد الاتجاه الوظيفي اللغة وسيلة للتواصل أي نسقاً رمزياً يؤدي مجموعة من الوظائف، أهمها وظيفة التواصل.

٥. يعتمد الاتجاه الوظيفي فرضية مفادها أن بنى اللغات الطبيعية لا تُؤسَد خصائصها إلا إذا رُبطت هذه البنية بوظيفة التواصل^(٣).

وحتى وجه الإجمال يمكن القول: ^(٤)إن ما يميز الاتجاه الوظيفي عدم الفصل بين البنى اللغوية ووظائفها وعدم إمكان عزل اللغة عن سياقها الاجتماعي وإعلاء الوظيفة أهمية أكبر من البنية نفسها، ورفض النسخية والتقول بالمعصوميات التي تنطبق على كل اللغات.

أهمية الاتجاه الوظيفي :

يُمكنان بالاتجاه الوظيفي في حل إشكاليات تتصل بالتعليم والتعلم، ومنها:

(١) فطرس شارد، العلم الوظيفي في النحو، تحرير وفكتور ألين حشور، مطبعة جامعة تونس، ص ١١.

(٢) د. محمد محمد يونس، بحث أصول الجماعات اللغوية السامية الحديثة، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٣) السليق، ص ١١٦.

(٤) بروجييه، ماركس، نتائج البحث الفونوني، ص ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠.

(١) تعليم النحو :

وهو الذي يقوم على أساس الوصف للغة المستعملة، وبهذا المعنى يتخير طبقاً للاستعمال، ويعرفه "مايادي" بأنه: "قواعد شُتمل في تعليم الأطفال لتكلموا ويتكلموا لغة صحيحة ويسمى أيضاً قواعد تعليمية"^(١).

وهو بهذه الصفة يهدف من خلال التعليم إلى تحقيق القدرات النحوية للمتلمذين؛ حتى يتمكنوا من ممارستها في وظائفها الطبيعية السليمة ممارسة صحيحة في مختلف شؤون الحياة، ويرجع "لوسيان تنيير" وهو من رواد المدرسة الوظيفية أن مفهوم الوظيفة اللغوي في "علم التركيب" وهو يميز بين التركيبية السكونية "الأقسام" وبين التركيبية الحركية "الوظائف"، فالتراكيبية السكونية ميدان التحليل وبها يرتكز على الترتيب الخطي المتطوعي السطحي، وأما التركيبية الحركية فتتطرق في التركيب البنوي حيث تحدد الوظائف ذاتها"^(٢).

فالنحو الوظيفي إذن لا ينظر إليه على أنه علم نظري، بل هو منهج تدريسي عملي أيضاً، ويوصفه منهجاً للتدريس لا ينبغي أن يهتم على أنه تكوين الأشكال وقواعد منعزلة قلت أو كثرت، بل إرشاد للاستعمال الصحيح وفهم لغتنا، وفي هذا يقول "جرهارد هليش": "لا يُنظر إلى المعارف النحوية على أنها مجرد مادة للحفظ بل هي مادة يواجه بها الفرد في الحوار ومن أجل الحوار التلقائي فقط مع اللغة واستعمالها الخلاق، ويطمح النحو الوظيفي إلى التحسين في معرفة الأشكال واستعمالها طبقاً لإجمالها"^(٣).

(٢) التقارب والتباعد بين المتكلمين :

لا شك في أن اللسان يلجم التقارب بين الأفراد الذين يعيشون معاً أو يتباحثون لأسباب شتى؛ ومن ثم فهذه هي مشكلة التقارب والتباعد للتفويذ إن الأفراد الذين يربطون التواصل، أيضاً كانوا يتواصلون بالأنشطة بواسطة اللسان. وفي الحقيقة إذا كان الناس الذين على اتصال فيما بينهم يتكلمون اللسان

(١) كاترين فوارة: ميداني في أساسيات الفلسفة، ترجمة شمس الدين مازور، ديوان السوريات للدراسات والبحوث، ١٩٨٤، ص ٩٢.

(٢) هليش نفسه، ص ٩٢.

(٣) جرهارد هليش: تفويذ علم اللغة الحديث، ترجمة سعيد حسن بحوي، مكتبة زهران للدراسات والبحوث، القاهرة، د.هـ ١٣٩٠، ص ٣٢٠.

ذاته أو لساناً مختلفاً، فذلك ان يتر في صق المشكلة. ذلك أنه بعد مرور فترة زمنية محددة سيقيم بينهم نوع من الإتفاق الضمني، فلما أن يتعلم اللسانون (أ) اللسان (ب) وإما يحدث العكس، ويقوم هناك خبط من لسانين وهو ما ندعوه بالمزج اللغوي التي تتيح أطم الأفراد فرصة للتفاهم .

وعندما تكون هناك حرية للاختيار في لسان معين بين طريقتين للتعبير، فنحن نختار تلك التي تكون مفهومة لنا أكثر من قبل الآخر. ومن المتعارف عليه، في لسان معين، أن أية حقيقة يُعبر عنها بواسطة كلمتين مختلفتين، تمتلك لهما فقط استعمالاً شاعرياً، بينما تُعد الأخرى بمثابة لفظة عادية. ويحدث العكس في لسان آخر مجاور. وفي نطاق العلاقات التي تتم ما بين مستعملي هذين اللسانين، نجهد لاستعمال الشكل القدر الشاعري، إنا كنا نعلم بأن القدرة على فهمنا ستصبح أكبر. إن مشاكل التقارب والتباعد اللغوي التي نصابها هنا معتدة، وخاصة في الوقت الحاضر. فلوما معنى، كان الناس يلتقون ويتخاطبون فيما بينهم وضدها يحصل التكلف. أما اليوم، فقد اختلفت المواقف: إن الناس لا يلتقون بالضرورة، جسدياً ولكنهم يتواصلون بواسطة وسائل الإعلام. ويمكن للتقارب أن يتم شفويّاً بواسطة وسائل الإعلام، وكتابياً من خلال المستندات المكتوبة^(١).

٢) اللغة أداة تواصل:

الأثناء اللغوية تنظر إلى اللغات الطبيعية على أنها بالإضافة إلى كونها بنية أو نمطاً شكلياً (صوتياً، وصرفياً، وتركيبياً، ومعجمياً) تعتبر أداة لوظيفة أساسية هي التواصل؛ فالسميات اللغوية – حسب "كونر" – هي مقارنة لتحليل البنية اللغوية تمطي الأهمية للوظيفة التواصلية لمناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقتها البنوية^(٢).

(١) كندريه مارتينييه وغريوت فلتين، جوفر الفلت، ترجمة لغوي مراجع، من ١٩٣، ١٩٤.
(٢) ليمد الفاروق، الفسفوات، فوظيفية، مدخل لغوي، منشورات حقل، ١٩٤١، ص ١٠١.

٤) تنوع مظاهر التواصل:

كما يمكن أن نؤذي اللغة وظيفاً أخرى قد تكون أشكالاً مختلفة لوظيفة للتواصل منها الوظيفة الجمالية التي هي تحويل لوظيفة التواصل من عرضها^(١)، ومنها الوظائف الست المشهورة عند "جاكوبسون" والتي اقترحها في ١٩٦٣م.

(١) عبد القادر السعدي: اللسانيات الوظيفية، ص ٤٢.

الفصل الثالث

الوظيفة التواصلية وأهم عناصرها

مفهوم التواصل :

لغة : تذكر المصطلحات أن مصطلح "communication" مأخوذ من الأصل اللاتيني "communicatio" ويعني تشاركه في شيء "تبادل قول" أو إيلاخ^(١)، ثم توسع في المصطلح فلم يصبح يدل على نقل الأخبار والمعلومات والمشاعر والسلوكيات والمصرفات... إلخ. والتواصل هو معلومة، لأن صيغة "تفاعل" المصرفة تقتضي المشاركة بين طرفين فلكل^(٢).

اصطلاحاً : التواصل هو تبادل أدلة بين ذات مرسل وذات مستقبلة، حيث لتطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الأخرى، ولتقتضي المصداقية جوباً ضاملاً أو صريحاً صا فتحدث عنه، الذي هو الأشياء والكائنات، أو بعبارة أشمل "موضوعات العالم" ويتطلب نجاح هذه العملية اشتراك المرسل والمستقبل إليه في الممان حتى يتم التواصل ولتتقاهم على الوجه الأكمل كما أراد له المجتمع اللغوي، كما تقتضي العملية قناعة تتنقل الرسالة من البعث إلى المتلقي^(٣).

وإذا بين ذلك "سونسكي" بقوله: "الاتصال نقل المعلومات بين الأفراد نقلاً مقيداً بقناة محددة إبرازاً لمكونات الاتصال الرئيسية". والوظيفة التي يبرزها هنا التعريف هي الوظيفة الفعلية أو المهيمنة في كل حدث تواصل. بيد أننا نلاحظ أن وظيفة التواصل، ليست دائماً نقل المعلومة أو صناعة الخبر ونحوهما فهما قدما لتتصرت وظيفة التواصل على عمل جو من المواقفة الاجتماعية التي تُعد مؤثراً صاعداً، يبدو معادلاً للتسليم للآخر أو الاحتضان^(٤).

(١) باتريك شرويدر، ودونيلك مانتور، ميم تحليل الخطاب، ط١، المركز القومي لدراسات، ٢٠٠٨، ص ١٠٩.

(٢) د. صبر لوكان، قلعة والمصداقية ص ٣١.

(٣) السليل المصداقية ص ٣٩.

(٤) د. محمد حميد المصداقية والإشارة ص ٩٠، ١٠٩.

كيفية إنشاء التواصل :

إن اللغة هي إحدى أهم وسائل التواصل الأساسية على الرغم من أن هذا التواصل قد يتم بوسائل أخرى. ولكي يتم التواصل فإن المتلقي (المستمع أو القارئ) ينبغي أن يفهم ما يقوله المتكلم أو ما يكتبه الكاتب. فما يريد المتكلم أو الكاتب إيصاله إلى الآخرين ينقله عن طريق وضعه في كلمات. ويقوم المتلقي بفك رموز الرسالة كاشفاً بذلك عن هدف المرسل ومحتلأ كلماته إلى أفكار.

إن الميزة الرئيسة للكلام هي قدرة كل إشارة لغوية على أن تفسر بإشارة لغوية أخرى تكون أكثر وضوحاً منها. وهذا في الحقيقة العمل الأساسي الذي يقوم به المتلقي خلال عملية التواصل. فهو يقوم بإزالة الإبهام من الرسالة بنية الوصول إلى تحديد الهدف الرئيسي من بنائها؛ ومن ثم فإن كل تواصل يعتمد على صليتين هاتين^(١).

١. عملية بناء الرسالة وهي تعتمد على اقتناء الكلمات من المخزون اللغوي للمتكلم للتناسب مع الفرض الذي يسمى إليه. وهذه العملية تتم على المحور الاستبدالي.

٢. عملية وضع هذه الكلمات جنباً إلى جنب وفق قواعد النظم التي توضع لها اللغة ليؤلف منها جملاً يرسلها إلى المتلقي. ويتم ذلك على المحور التنسيقي.

فالمفردة اللغوية لا تستطيع أن تقوم بمهمة التواصل والتبادل إلا إذا وُجدت في إطار مجموعة من المفردات تحدد الملائكات التي تقوم بينها جميعاً الوظيفة التواصلية. فكما أن المفردة اللغوية تتضح وظيفتها ضمن نظام المفردات الذي تنتمي إليه، كذلك فإن مجموع المفردات اللغوية التي تحيط بالمفردة في جملة معينة تحدد وظيفة هذه المفردة وسلاحياتها للإبلاغ اللغوي. ولتأخذ مثلاً على ذلك الجملة التالية: "أكل الولد التفاحة". إن كل مفردة من المفردات التي تتكون منها هذه الجملة تستمد معناها ووظيفتها التواصلية من المفردات الأخرى التي تتكون منها الجملة. فكل مفردة على حدة لا تعطي المعنى الواضح والتكامل الذي نحصل عليه عند وضعها في جملة معينة. ولذلك نجد "جلكوبسون" يصرّ على

(١) د. فتحة الطحل بركة، نظرية الأسس عند زيمان جاكوبسون، ص ١٨، ١٩.

وجود معانٍ وليس معنىً واحدًا. فالكلمة بذاتها لها معانٍ كثيرة، والسياق الذي توجد فيه هو الذي يحدد المعنى المتصور في الجملة^(١).

أشكال التواصل اللفظي :

١ - المشاركون :

يمكن التمييز - من ناحية - بين التواصل القائم على الحوار الداخلي، والتواصل القائم على الحوار الخارجي (وجرت عادة الباحثين على تسميتهما إلى التواصل المونولوجي والتواصل الديالوجي) كما يمكن - من ناحية أخرى - التمييز بين التواصل الفاردي والتواصل الجماعي في التواصل المونولوجي، يوجد مرسل واحد فقط هو الذي يحيط بالمعلومة. ويتسم هذا التواصل بدوره إلى :

١. تواصل للشخص بذاته.

٢. تواصل للشخص بالآخرين.

يبدو الأول إذن في تواصل المرسل بذاته، كما هي الحال في حديث الذات (التفكير بصوت مسموع). أما الثاني، فهو حديث المرسل إلى أشخاص آخرين، دون أن يجيبه هؤلاء، كما هي الحال في الخطبة والمحاضرة... إلخ .

أما التواصل الديالوجي، فهو يحرف - إلى جذب المرسل - مشاركاً في الاتصال ولذا على الأقل، هو المستقبل الذي يستطيع - في تصاليفه مستنداً (كالحوار، والاستجواب ونحوهما) - أن يقوم هو نفسه بدور المرسل. وقد يتعدد المشاركون في التواصل، كأن يكون لأشخاص عددٍ يساهمهم في تواصل ديالوجي، على نحو ما نجد - مثلاً - في المناقشات، والمصادقات الإذاعية وغيرها.

وفي الاتصال النصي المكتوب، يبقى الاتصال الديالوجي - غالباً محصوراً في مشاركين اثنين (كما هي الحال في تبادل الرسائل). ويمكننا أن ننظر إلى أنواع

(١)، كلمة السبل، وكالة نظرية الأسس: حد رومان جاكسون، ص ٦٩.

الاتصال السابقة جميعها، على أنها اتصالات فردية، من حيث إن المرسل في تلك الاتصالات، يتجه إلى أشخاص معروفين معروفين: قوا أو كثروا .

أما التواصل الجماهيري، فتمتته وسائل الإعلام التي تتجه إلى مجال واسع جداً من الأشخاص (إلى الجمهور)، والتي لا يكون المرسل فيها عادة معروفاً. ويقع هذا التواصل - في معظم الحالات - عبر وسائل التواصل الجماهيري (كالمصحف، والمنتشورات، والإعلانات والأدب، والإذاعة، والاسطوانات .. إلخ)^(١).

بهذه الرسالة :

يمكننا التمييز بين شكلين رئيسين للاتصال اللغوي: أحدهما الاتصال اللغوي المنطوق، والآخر الاتصال اللغوي المكتوب. ويبنى هذا التقسيم على أساس تقسيم اللغة ذاتها إلى لغة منطوقة ولغة مكتوبة، فمن ناحية الرموز الصوتية تكون اللغة منطوقة، ومن ناحية اللغة البصرية تكون اللغة مكتوبة . وما دمنا نتكلم أكثر مما نكتب، فإن الاتصال اللغوي المنطوق .

في الحياة اليومية. أهم وأهم من الاتصال اللغوي المكتوب، وهو -بذلك- أهم أنواع الاتصال وأهمها على الإطلاق. يقول "سلزمان": اللغة المنطوقة - للكلام - هي أهم الوسائل التي يتصل بها البشر أحدهم بالآخر، وأهمها. ولكن هذه اللغة ليست الوسيلة الوحيدة. إن أنظمة الكتابة المتعددة المختلفة المستعملة في العالم، ذات أهمية عظيمة في الاتصال. وهي -لاشكاً- مختلفة -تتمايز- على اللغة المنطوقة ببقائها للنمجي خاصة.

ويمكننا أن نضيف إلى الميزة السابقة، ميزات أخرى تتمتع بها اللغة المكتوبة، كالإعداد، والتصويب، وإعادة النظر^(٢)

قنوات التواصل اللغوي :

(١) د. محمد عبد الجبار والإشراك من ١١، ١٠.

(٢) الصالح لسان، من ٢٦، ٢٥.

بحاجة الاتصال اللفظي بين المتكلمين إلى قنوات لنقل الرسالة من المرسل إلى المستقبل، وتتوزع هذه للقنوات إلى لمسية وبصرية وسمعية، وسنوضحها فيما يلي :

١. **القناة اللمسية :** التي تعتمد على اللمس جهازًا للاستقبال. ويعد نظم الكتابة عند المكفوفين - المعروف بطريقة "برايل" - مثالاً على هذه القناة؛ لأنه يستخدم حروفاً مكونة من نقط بارزة تُستقبل عن طريق حاسة اللمس^(١).
٢. **القناة البصرية :** تعد الأنظمة الحقيقية للإشارات التي يستخدمها الصمم أنظمة رمزية، في إطار أن الرمز الشامل يمثل مفهوماً والعلاقات بين الإشارات الواردة في السياقات يشير إليها بما كتبت عليه من ترتيب أو بواسطة بعض الطمس التكوينية. فالرموز هي في الغالب ليقولية، مفهومية بصورة مباشرة، كمشكلة الأضواء أو الأنشطة أو غير مباشرة بإشارتها إلى رموز أخرى تكونت أو اشتقت منها. واللمة الرمزية التي يستخدمها الصمم تتمتع ببعض الملامح العالمية. وعلى ما يبدو فهي موحدة في القدم كما أنها تبدو مستقلة عن مختلف اللغات الطبيعية، وعلى أساس هذه القاعدة يصبح من السهل بناء عملية اتصال بين الصمم من مختلف الدول. ولهذا فهي علم الصمم نلاحظ تنهما لغويًا، على الأقل جزئيًا، لا مقابل له في عالم اللغات السمعية^(٢). ويمكن أن ندرج الاتصال اللفظي المكتوب في القناة البصرية أيضًا.
٣. **القناة السمعية :** وهي التي تقوم على كلام الناس بعضهم إلى بعض؛ أي أنها تعتمد على قنوات اللفظي، وقولمه الأصوات اللغوية. ومن أجل ذلك، نُدّ السمع جهازًا للاستقبال في هذه القناة^(٣).

من ملامح الوظيفة التواصلية عند العرب :

أولاً : **اللقاء :**

(١) . محمد عبد الجبار والإشارة من ١٦.
(٢) برايل مخرج، مثال في الفلسفة ترجمة عبد الطاهر، مراجعة وتقديم مجدي القيسي، ١٤٠.
المركز القومي للترجمة ٢٠١٠، ص ٢٦٧.
(٣) . محمد عبد الجبار والإشارة من ١٦، ١٢.

(١) سيبويه (ت ١٨٠هـ) :

كان لحنائق من علماء العربية - وعلى رأسهم سيبويه - يتناولون قواعد ما تناولا وخطيبا فهم ينظرون في تحليل بنائها وتحللها إلى ملامسها للخطيب، وحال الخطيب والمخاطب، وظروف القول ودواحيه، فلم يزلوا قواعد لشكل الإعرابي للبنى النحوية من وظائفها الاتصالية ومعانيها المقسودة، وأول هؤلاء "سيبويه"، يقول "د. حيد الزاجمي": "هل إن "سيبويه" - وكتابه هو المنقول الأول من المنهج - كان يعالج العامل في إطار (قواعد الكلام)، أو ما نسميه الآن (قواعد الخطيب) التي تنظر إلى السياق العام للحدث الكلامي، من نية المتكلم وقصد، ونية المخاطب ومعرفة وظروفه، ثم هيئة الحال التي يجري فيها الحدث"^(١)، وسنبين بعض هذه الملامح الوظيفية عند "سيبويه" فيما يلي :

٨. المقام وسياق الحال :

من أهم عوامل تحديد المعنى الوظيفي الإبلاغي للكلام: فلا يُفهم للكلام ولا جدوى من تحليله إلا في إطاره، وإلى هذا - "سيبويه" قال في حديثه عن مجيء الحال بعد الضمائر الممنوعة إليها في معن فخر أو الوعد أو التصغير للنقص: "وقد تقول: هو عبد الله، وأنا عبد الله، فآخر أو موعداً، أي اعرفني بما كنت تعرف وبما كان يلفك ضني، ثم يفسر الحال التي كان يعلم عليها أو تبلغه فقول: أنا عبد الله كرماء جواداً: وهو عبد الله شجاعاً بطلاً. وتقول: إني عبد الله مصنفاً نفسه لرؤيته، ثم تفسر حال العبيد فتقول: أكلاً كما تكل العبيد....."^(٢)، وفي موضع آخر يبين لنا "سيبويه" أهمية خفيات الكلام من مقام للمخاطبين وحالهم في توجيه معنى العبارات والتركيب، ويحذر من قتلها بذلك، فيقول: "وإنما نذكر "الخليل" رحمه الله هذا لتعرف ما يحال منه وما يحسن، فإن النحويين مما يتهاونون بالحلف إذا عرفوا الإعراب. وذلك أن رجلاً من إخوانك ومعرفة لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره لم يقل: أنا عبد الله مطلقاً، وهو زيد مطلقاً كان محالاً، لأنه إما أراد أن يخبرك بالانطلاق، ولم يقل هو ولا أنا حتى استغنت أنت عن التسمية، لأن "هو" وأنا" علامتان

(١) د. حيد الزاجمي: نظريات النحوية المسندة ومواقفها من العربية، سنن: شام حسن وأنا لغوي، إحداهما وإثبات حيد فرحمن حسن المرفوع ١٥، علم الكتب القاهرة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، ص ٢٥٢.

(٢) سيبويه: الكتاب، تحقيق أ. حيد السلام مليون، ٨٠/٢.

للمضمر، وإنما يضمن إذا علم أنك قد عرفت من بعضه إلا أن رجلاً لو كان خلف حائط، لو في موضع تجهله فيه فقلت من أنت؟ يقال: أنا عبد لله متعلقاً في حليته، كلن حسناً^(١).

يلقي هنا نظراً "سيبويه" للسباق والمقام مع أحدث الفطريات اللغوية، ففي تحليله للخطاب يركز على فهم المخلط والسباق الخارجي للكلام، وهما صند في كثير من الأحيان أهم من التركيب والألفاظ ذاتها فقد يستغنى عن هذه البنيات ويستغن عن السباق والموقف الاستعمالي للكلام، "وما يلتمس هنا الاستعمال من حال المخلط وحال المتكلم وموضع الكلام. وقد عناه هذا الاستماع إلى استكناه البنية الداخلية للتركيب القموي ورسم خطوط خلفية في تعلم العربية تعلماً يضع كل تركيب موضعاً، ويعرف لكل مقال مقالته"^(٢).

٨. الحذف وعلاقته بالسباق :

يرى "سيبويه" أنه لا يجوز الحذف إلا إذا دلت على المحذوف قرينة السباق^(٣)، وإلا كان الكلام هراء، لا تحصل به الفائدة، ومن التماذج التي أوردنا في باب ما يضمن فيه الفعل: "وذلك إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج فاستأ في هيئة الحاج، قلت مكة ورب للكعبة، حيث زككت^(٤) أنه يريد مكة. فكذلك قلت: يريد مكة والله... لو رأيت رجلاً يسند سهماً قبل القرطاس قلت: القرطاس والله أي يسحب القرطاس، وإذا سمعت وقع سهم في القرطاس قلت: القرطاس والله أي أصاب القرطاس، ولو رأيت نلساً ينظرون إلى الهلال وأنت منهم بعد فكبروا قلت: الهلال ورب للكعبة أي أهبسوا الهلال"^(٥). فـ "سيبويه" وهو يعاق على هذه التماذج العربية للتصويحة يرى أنها تعبر عن وظائف كلامية معروفة، لا تدخل في تحليلها عن السباق الذي قبلت فيه والجر الإجمالي أو النفسي الذي رافق ولائها^(٦).

(١) سيبويه، كتابه، تعليقاً، ج ١، السلام غارون، ٨١/٢.

(٢) فهد الروس، نظرية النحو العربي في ضوء نتائج الفكر القومي الحديث، بيروت، ١٩٨٠، ص ٨٨.

(٣) سيبويه، كتابه، تعليقاً، ج ١، السلام غارون، ١٢٢/١.

(٤) زككت بمعنى ألبست.

(٥) سيبويه، كتابه، تعليقاً، ج ١، السلام غارون، ٢٥٧/١.

(٦) سائب، لو جاع، عراكك في نظرية النحو العربي والتحليل، ط ١، دار الفكر، حان، الأردن.

١٤١٤ هـ، ١٩٩٨ م، ص ٦١٤.

١. الرتبة ودلالاتها الوظيفية :

كانت العرب تبني كلامها وترتبه وفق ما تملبه دواعيه وما يؤهيه من وظائف، فلا تقدم ولا تؤخر إلا من قصد توصلي، وكل تقديم أو تأخير يؤدي إلى تغيير المعنى، ويختلف ترتيب التراكيب باختلاف وظائفها، فنجدهم يقومون للتحية والإبراز، كما يقومون للتخصيص والمصر...، قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول: "كثيرون يقومون الذي يبقاه أهم لهم وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعاً يهماتهم ويخفيهم"^(١). وقال عبد القاهر الجرجاني: إن معنى ذلك أنه قد يكون من أخص الناس للناس في فعل ما أن يقع بقتلهم وبينه ولا يبالغون من أوقعه كمال ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيقتل ويقتل ويقتل به الأذى، أنهم يريدون قتله ولا يبالغون من كان لقتل منه، ولا يحتمل منه شيء. لهذا قيل ولرأى مريد الأخبار بذلك، فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول: (قتل الخارجي زيد). ولا يقول: (قتل زيد الخارجي) لأنه يعلم أن ليس للنفس في أن يطموا أن تقتل له زيد جندي وفلانة، فخطيئتهم ذكره، ويهمهم ويصل بمسرتهم. ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد....."^(٢). نستخلص مما سبق أن العرب كانت تبني كلامها بناء تملية مقاصد الكلام، فشكل الترتيب عنده تتوافق على دلالاتها الوظيفية.

٢ (ت ٢٥٥هـ) : الجمل

• وظيفة اللفظ في فهم المعنى :

يُبين "الجمل" أهمية اللفظ في بيان المعنى فيذكر أن البيان هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي. وينبه إلى أنه اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهذه الحجاب دون التفسير، حتى يُنسي السامع إلى حقيقة، ويهمهم على محسوسه كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل اللفظي وحده. فإلى جانب الدليل اللفظي، يمكن أن يتبع البيان لدلائل أخرى، تؤدي وظيفة التكميل وتوضيح المعنى؛ لأن مدار الأمر والفتنة التي إليها يجري للقتال

(١) مجرى الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ٢٤/١.

(٢) دلائل الإعمال، ص ١٤٨، ١٤٩.

والسامع - كما يقول "الجامع" - إنما هو الفهم والإلهام؛ ولوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك للموضع^(١).

❖ عناصر التواصل:

كما بين "الجامع" عناصر التواصل المعتمدة على العلاقات اللسانية التي تجري في عالم الشهاد، وتجمع بين المتكلم والمخاطب، وتنقل البيان إلى بلاهة، والكلام إلى رسالة مع ما تتضمنه الرسالة من إلقاء وتلقي ورموز ومعاد وحال ومقال ومقال كما تشرحه علوم اللسانيات الحديثة.

والقول في حقيقة الكلام وفي كيفية إنشائه وتطوره وعلاقته بالإنسان منذ بدء الخليقة إلى أن صار بلاهة في سلسة الكون والكلام^(٢).

❖ وسائل التواصل :

وقد حصر "الجامع" وسائل التواصل في خمسة لا تزيد ولا تنقص، هي :
اللفظ ثم الإشارة ثم العدد ثم الخط ثم النصب^(٣). وسر هذا التصنيف لا يزال لغزاً، لكن يبدو أنه قائم على النظرة الارتقائية التي تلتخص في عبارة «العالم الصغير سهل العالم الكبير» الشهيرة عنده حيث يتحد اللفظ من الإشارة والإشارة من العدد، والعدد من الخط والخط من النصب^(٤).

❖ الصوت آلة النطق :

يبين "الجامع" أهمية الصوت في التواصل بين المتكلمين، فيقول:
هو الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التتبع وبه يوجد التكليف وأن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت^(٥)، كما نجد بين دور اللسان في اللغة المنطوقة، والفرق بينه وبين

(١) جامع البيان وفتح: ٣٦ / ١.

(٢) د. محمد المسعودي، المفردات السامية في التراث العربي، وفي دراسات حديثة، ص ١٧.

(٣) جامع البيان وفتح: ٧٧ / ١.

(٤) د. محمد المسعودي، المفردات السامية في التراث العربي، وفي دراسات حديثة، ص ١٨.

(٥) جامع البيان وفتح: ٧٦ / ١.

للتقم فقول: "وقلوا للسان مقصور على التريب الحاضر، والتقم مطلق في نشأة والغائب، وهو للخبر الحائن"^(١)، مثله للتقم القاصم"^(٢).

٥- اللغة المنطوقة والمكتوبة :

ينكر "الجملة" أن الخط هو: "تصغير عن المعاني بواسطة الحروف المكتوبة". فالخط لا يختلف عن التعبير باللفظ إلا في كون اللفظ يعتمد على الصوت، والخط يعتمد على الرؤية"^(٣).

وقد بين "الجملة" الفرق بينهما مفاضلاً للكتابة على النطق بقوله: "والكتاب يقرأ بكل مكان، ويُدرس بكل زمان، واللسان لا يدعو سامعه، ولا يتجاوز به غيره"^(٤). وأهمية الخط تظهر في كونه يُمكن من نقل المعاني من جيل إلى جيل، أي: إلى من هو بعد هذا زمناً.

قد استدل "الجملة" على أهمية هذه الدلالة بالحديد من التشواهد القرآنية، التي بين من خلالها فضل الخط وأهميته. وحسبه من الأهمية حفظه كل ما أثر عن العرب التمام من القول، والأهم من هذا أن الله جعل للخط سبباً من أسباب حفظ كتابه العزيز، ومثله نبه ﷺ: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْكِمُ الْقُرْآنَ وَنُحْكِمُ لَكُمْهُ﴾ (الحجر/٩)^(٥). "فاللغة المكتوبة تتميز عن اللغة المنطوقة بعدد من الخصائص.... هي المحافظة على الاستصالات القديمة، والتخلف عن مجاراة اللغة للمنطوقة، هذا من جهة، ومن جهة الأخرى؛ فإنه لما كانت للكتابة لا تملك ما يملكه المتكلمون، من مناسبة وحركات ونغمة في الصوت توضح الكلام المنطوق فإنه لا بد لها من أن تستخدم في دقة قواعد النحو ومفردات اللغة.... فاللغة المكتوبة توضح التصيغ النحوية كما توضح فهم المفردات...."^(٦).

(١) فسان: فبالهـ.

(٢) فاصط: فبان والفتين: ٨٠/١.

(٣) د. محمد أسعد: بقاى، الفريقت السببية وفلاحة عند العرب: ط١، دار الثقافة الشامية والقمر، بيروت ١٩٨٦م، ص ٨١.

(٤) فوالجملة الجوز: تحقيق عبد السلام عازم، ط ١، طبع مصر، ديت: ٧٠/١.

(٥) قرأهم عبد الله العبدى، سطر لدلالة القرآنية في القرن الثالث الهجري على مستوى كتابة الفريدة، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، هجرية: ١٤١٠ هـ ١٩٨٩م، ص ٤٨.

(٦) لاسون وسليمان: شرح البحث في الآب والكتابة، ترجمة د. محمد طه، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٢١، ١٢٢.

٣) "ابن جني" (ت ٥٢٩٢هـ) :

وقد لاجل "ابن جني" وظيفة اللغة وعناصرها ومفهومها في تعريفه للغة إذ يقول: «لما حدا فبقها أصوات يحبر بها كل قوم عن أراضهم»^(١). وبذلك تعريف "ابن جني" يلاحظ اتساعه على عناصر محددة في تعين اللغة؛ تتمثل فيما يلي:

أ. اللغة أصوات:

يعني بها الرموز المنطوقة دون المكتوبة، وهذا يُفسر لنا أن الأول عرّفوا اللغة سماعياً قبل رؤيتها رموزاً مصورة، وبذلك "ابن جني" لصوته اللغة يتفق مع ما جاء به المحققون من تعدد اللغة على أنها رموز صوتية أو علامات رمزية ذات دلالة معينة^(٢).

ب. اللغة وسيلة تعبير:

يُحبر بها كل جماعة من الناس عن أراضهم واحتياجاتهم، وهذه وظيفة اللغة كما وضعها فريق من المحققين؛ حيث ذكر "فلورن ماير" (ت ١٩٣٩م) أن اللغة وسيلة إنسانية عبر شريزية لتوصيل الحروف والأفكار والفهم بنظم من الرموز الاصطناعية^(٣). وهناك فريق آخر يرى أن وظيفة اللغة هي للتواصل بين الفرد وأبناء بيئته؛ تكون الإنسان اجتماعياً بطبيعته، واللغات لا تنشأ إلا في أحضان المجتمع^(٤). وهناك آخرون يجمعون كل ما سبق في وظيفة اللغة بالإضافة إلى غيرها، كورها في الصلاة والدعاء والأغاني والتسليم... إلى غير ذلك^(٥).

وهذا الملحظ يبين لنا وعي القدماء بوظيفة اللغة ولربطها بالمجتمعات على الرغم من اختلاف أصواتها من مجتمع إلى آخر.

(١) ابن جني، الفصحى، تحقيق محمد علي الجيزي، ٢٢/١.

(٢) يُنظر إلى: اللغة وعلم اللغة قسماً وحقولاً، ص ٢٢.

(٣) د. جاس غليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، مذات المعرفة الجديدة، ١٩٩١م، ص ٩٣.

(٤) غنوي، اللغة، ترجمة فخر الدين، والقباس، مذات المعرفة الجديدة، ١٩٩٠م، ص ٣٢.

(٥) د. عبد فراسي، علم اللغة في كتب العربية، بيروت ١٩٧٢م، ص ٧٦.

٨. أغراض:

وهذا القلظ عد "أين جني" جامع لكل وظلظ ألفة التي ذكرها المحققون فكان موقفًا في الاختياره حيث جاء جامعًا جامعًا لتعريف ألفة ووظيفتها ومن ثم كان تعريف "أين جني" مستلزمًا من دخل ألفة وليس من خارجها^(١).

٩. أثر الملاحظة عند أين جني:

إن مشاهدة إنسان عادي الأحوال ذاتها، تمكنه من استيعاب القصد، على نحو لا يستطيع القوي المتخصص تحصيله، وذلك لما في الرقعة الاتصالية من مقابلة العين، ومشاهدة الوجود، وروية الحركات والإشارات فدلقة المقترنة بشدة الإصغاء، والكلفة بالكلام (سما يقرن معه بين موقف قراءة الشعر وموقف حضور الشعر بنشده صلبه)، وكيفية التبليغ وتحديد المتلصد والأحداث الإجازية المتكلفة وقت الكلام^(٢). وفي ذلك يقول "أين جني": "لو لا تحم أن الإنسان إذا عناه أمر، فلراد أن يُخاطب به صلبه، ويُعم تصويره له في نفسه، استمطفه ليقبل عليه فيقول له: يا فلان أين أنت، أرني وجهه، أقبل على أحدته، أما أنت حاضر بانه، فإذا أقبل عليه، وأسنى إليه، اندفع يحدثه أو يلمره أو ينهه، لو نحو ذلك. فلو كان استماع الآن منتقياً عن مقابلة العين مجزئاً عنه، لما تكلف القائل، ولا كلف صلبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه، وعلى ذلك قال:

العين تهدي الذي في نفس صلبها	من العنوة لو ود إذا كفا
------------------------------	-------------------------

فلما ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجود وجعلها دليلاً على ما في للتفوس. وعلى ذلك قالوا: "رب إشارة أبلغ من عبارة"^(٣).

١٠. تبعية البنية للوظيفة

(١) د. محمد جالس، من أسس علم اللغة، طدار اللغة العربية، ١٩٩١، ص ٢٢، ٧١، يتصرف.

(٢) د. محمد عبد الحميد، فهارس وإشارات، ص ١٥١.

(٣) فطرس، ٢١٧١، ٢١٧.

البنية بالفاظها وتراكيبها تنفي لخدمة وظيفة التواصل وأداء المعاني، وهذا ما عنه "ابن جني" بقوله: "تكلن للعرب إيماء تحلي للفاظها وتبجها وتشبها وتزخرها، غاية بالمعاني التي وراءها، وتوصلها بها إلى إدراك مطلقها"^(١)، فالعرب تنفي بكلامها على أساس من هدف تكميله. ونلني هنا بنموذج عرضة "ابن جني" يتعلق بتغير بنية الجملة وذلك بتغير رتبة المفعول به والتأكيد على وظيفته وأهميته - رغم أنهم يعتبرونه فضلة - والدلالات الوظيفية واللفظية التي يتوخاها العرب من كل هذا، فيقولون: "من أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، كضرب زيد صرا، فإذا حاتم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا: ضرب صرا زيد. فإن ازدادت حليتهم به قدموه على الفعل الناصبه فقالوا: صرا ضرب زيد. فإن تظاهرت الفاعلية به حققوه على أنه رب الجملة. وتجاوزوا به حد كونه فضلة فقالوا: صرو ضربه زيد، فجاءوا به مجيئا ينفي كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: صرو ضرب زيد، فجاءوا به مضميره ولونه ولم ينصبوه على ظاهر أمره؛ رغبة به عن صورة الفضلة، وتحميا لئلا يندل على كون غيره صاحب الجملة. ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاهاوا للعلل له ويئوه على أنه مخصوص به، وألقوا ذكر الفاعل لئلا يظهر أو مضمرا فقالوا: ضرب صرو، للملح ذكر الفاعل لئلا ينعى، واستلوا بعض الأكمال إلى المفعول دون الفاعل لئلا ينعى، وهو قولهم: أولعت بالنسيء. ولا يقولون: أولعني به كذا. وقالوا: تلج لؤاد الرجل، ولم يقولوا تلجه كذا، واستعق لونه، ولم يقولوا: لمتعه كذا، ولهذا نظائر. فرفض الفاعل هنا لئلا يعتمد المفعول به

لئلا دليل على ما قلناه فأعزله..."^(٢). يُستخلص من هذا النص أن العرب كانت تخصص بنية كلامها للوظيفة المرافعة منه.

٤) عهد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)

أ. علاقة اللفظ بالمعنى:

(١) القاموس ١/ ٢٢٠.
(٢) ابن جني، المنتجب في بيان وجوه شذوذ القراءات والإيضاح عند تبيين: د. علي شادي ليل، د. عبد العظيم التيجاني، د. عبد الفتاح يساوي، تلي، ط. القاهر، مطبع الأمل، قسنطينة، ٢٠٠٤، ص ١٠٤.

يُعرف "حد القاهر" مفهوم البيان موضعاً أنه يعني امتلاك ناصية اللغة من الإحاطة بمكوناتها، وإدراك معانيها، ونسج ذلك في سياق واحد مع وضوح جرس الأصوات وصحة النطق وبلاغة التركيب؛ فيصير بذلك متصفاً بخصائص البلاغة فيقول: "إنما هو خيرٌ واستخبرٌ، وأمرٌ ونهْيٌ، ولكل من ذلك لفظ قد وُضع له، وجُعل دليلاً عليه، فكل من حرف أوضاع لغة من اللغات، عربية كانت أو فارسية، وحرف المغزى من كل لفظ، ثم ساعده اللسان على التعلق بها، وعلى تكلمة أحراسها وحروفها فهو بينٌ في تلك اللغة، كامل الأدب، بالغ من البيان المبلغ الذي لا مزيد عليه، مثله إلى اللغة التي لا مذهب بعدها، يسمع الفصاحة والبلاغة في تلك اللغة"^(١). كما يبين "الجرجاني" الشروط الواجب توافرها في المتكلم لكي يتمكن من توصيل رسالته "أن يكون المتكلم في ذلك جهوري الصوت جاري اللسان، لا تتردده لكمة، ولا تقف به حبيسة"^(٢).

واللهجة اللغة التواصل

يشير "الجرجاني" في أكثر من موضع في كتابه "إدلائل" إلى أن وظيفة اللغة الأساسية هي نقل ما يقصده المتكلم إلى السامع، وبهذا يتم التواصل بين الطرفين، قال: "وكان مما يعلم ببديهة المعقول أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضاً ليحرف السامع عرض المتكلم ومقصوده، فينبغي أن ينظر إلى مقصود المخبر من خبره وما هو"^(٣) ويقول في موضع آخر: "وجملة الأمر أن الخبر وجميع الكلام محل ينشأها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره وينتهي بها قلبه ويرجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأهراض"^(٤).

أ. تهيئة التهيئة للتواصل:

هناك عوامل متعددة وخضع لها الكلام، منها المتكلم والمستمع والوقت وظروف الاتصال، ولكن تبقى بنوته دائماً رهينة عبقريته^(٥). من أجل ذلك دعا

(١) حد القاهر الجرجاني، أدل الإجماع، ص٦.

(٢) سابق نفسه ص٢.

(٣) أدل الإجماع، ص ١٨٨.

(٤) سابق نفسه ص١٨٧.

(٥) حد القاهر الجرجاني، رسالة في التصريف، وراء حد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، جواهر فيض القاموس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المغربية، طبع في الدار البيضاء، ١٩٧١، ص ١٠٧.

الجرجاني إلى دراسة التركيب اللغوي دراسة توضح المعاني الوظيفية، وأوجه الدلالة في العبارة، وذلك في إطار ما يتصل بالنظم من بناء وترتيب وتعليق^(١). وتتجسد علاقة البنية بالوظيفة عند "الجرجاني" فيما أسماه بمصطلح "الوجود والفروق"، وذلك بأن المتكلم يختار وجوداً وأشكالاً للتركيب التي تخدم الأغراض التي ينشدها وكل وجه يصح في مقام خاص به دون غيره. وقد تتعدد وجوه المعنى التحويي الواحد؛ والفروق هي المعاني المترتبة عن هذه الوجوه، كما أن "الجرجاني" يكون قصد بالفروق القيم الأخلاقية أو فكرة المقابلة بين المعنى والمبنى، وبين المعنى والمعنى، ولهذا طلب أن ينتقل إلى صدد التعريف والتذكير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، مؤكداً أن التعبير بكل نمط شكلي يعتبر تعبيراً عن المعنى الوظيفي لهذا النمط^(٢). يقول "الجرجاني": "لا نعلم شيئاً يتنبهه النظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في التعبير إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد منطلق، خرجت خرجت، وإن تخرج فلما خرج، فلما خرج إن خرجت، ولأننا إن خرجت خارج، وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاء زيد مسرعاً، وجاني يسرع، وجاني وهو مسرع أو هو يسرع، وجاني قد أسرع، وجاني وقد أسرع، فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويحيى به حيث ينبغي له. وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في خاص معناه... وينظر في الجمل التي تُرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل... ويصرف في التعريف والتذكير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيضع كلاً من ذلك في مكانه ويستعمله على الصفة وما ينبغي له"^(٣). فالفكرة تتمتع لكل تعبير أو بيان أو إفصاح عن مشاعر، ونحن بمد المتكلم بأنماط مختلفة من التعبير تتوافق مع أغراضه المختلفة، ويختار منها ما يخدم قصده^(٤).

(١) - فاضل مصطفى السليبي، أساس الكلام العربي من حيث أشكال والوظيفة، مكتبة المدعي، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٩.

(٢) - السليبي نفسه، ص ١٠٠، ١٠١.

(٣) - دلائل الإيماء، ص ١٣٧.

(٤) - عبد القادر صهيبي، مساهمة في التعريف بأراء عبد القادر الجرجاني في اللغة والفلاحة، ص ١١٥.

والعلم بالوجوه والفرق لذاتها لا فائدة منه، بل للزمية أن تُدرك
مواضعها، فيُصنع كلامك على الوجه الذي تقتضيه هذه المواضع، يقول
"الرجلي": (واعلم أنا لم نوجب للزمية من أجل العلم بأنفس الفرق والوجوه.
فنبسند إلى اللغة، وكذا لوجوبها للعلم بمواضعها وما ينبغي أن يُصنع فيها، فليس
الفضل للعلم بأن (الولو) للجمع، و(الفاء) للتخييل بخلاف (ثم) له بشرط
التلخيص، وإن (كنا) وإن (كذا)؛ ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت وألفت رسالة أن
تحسن التخيير، وإن تحرف لكل من ذلك موضعاً^(١). فالوظيفة التدلوية تفرض
على المتكلم أن يختار للفرض الذي يلام الوجه أو التركيب الذي يلائمه^(٢)).

٥) السلكي (ت ٦٢٦ هـ)

أ- دور المقام في توجيه بنية الخطاب

الوظائف المقصورة بالكلام هي التي تتحكم في بنيته، والكلام ظروف
تحيط بها، يجمعها ما يسمى بالمقام التخاطبي، وقد اشتهرت مع "السلكي"
مقولة (لكل مقام مقال) حيث وضع في المفاتيح مبحثاً بهذا العنوان يتناول فيه
المقام الذي يملأ أهم محددات الرسالة اللغوية، ونجده يتحدث عن اختلاف
وظائف الكلام ومقاماته؛ وهما أن ذلك بنيته اللغوية، فيقول: "لا يخفى عليك أن
مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يبين مقام لشكالية، ومقام التهنية يبين مقام
التعزية، ومقام المدح يبين مقام الذم، ومقام الترهيب يبين مقام الترهيب، ومقام
الجد في جميع ذلك يبين مقام الهزل. وكذلك مقام الكلام ابتدأه بخلاف مقام الكلام
بناءً على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السوال بخلاف مقام البناء على
الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي بخلاف مقام
الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"^(٣)؛ فبالذلات
تفرق ولكل دلالة وجه من التركيب يختص بها، وفي هذا الشأن يقول أيضاً:
"فكل كلمة مع صلاحيتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن
الكلام في باب الحسن والقول، وانحطاطه في ذلك طبقاً لمصافاة الكلام لما يليق
به، وهو الذي نسميه (مقتضى الحال) فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم،

(١) دلائل الإجمال، ص ٢٩١.

(٢) فنانس شراية السلي في السور القديرة والقيود لابن مشور، ص ٥١.

(٣) مفتاح العلوم تحقيق نجم زرزور، ٢٥، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧، ص ١٦٨.

لحسن الكلام تجريده عن مؤكيدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك،
لحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك طبقاً للمقتضى ضعفاً وقوة...^(١).

(٦) ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)

وضح "ابن خلدون" وظيفة اللغة وأصبيتها وطبيعتها، وذلك من خلال تعريفه
للغة إذ يقول: «اللغة في المتعارف عبارة المتكلم عن المقصود، وذلك العبارة
لعل لسانی (ناشئة عن التقصد لإفادة للكلام) فلا بد أن تصور ملكة متقدرة في
الضوء القابل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم»^(٢).

ويقول في موضع آخر معرفاً وظيفة اللغة بأن: «اللغات إنما هي ترجمان صا
في الضمان من تلك المعاني يزنيها بعض إلى بعض بالمشاركة في المناظرة
وللتعليم وممارسة البحث في العلوم لتحصيل ملكتها بطول الزمان على
ذلك»^(٣).

ولفهم من التعريفين السابقين إدراك "ابن خلدون" لوظيفة اللغة وكونها وسيلة
تعبير للمتكلم صا يريد أن يعبر عنه. كما أشار إلى كونها لعل لسانی قصدي،
يختلف من أمة إلى أخرى طبقاً لاساتها، كما لفت إلى كونها مشاطة.

ثانياً: المحدثون

انقسم علماء العربية المحدثون في وظيفة اللغة في التواصل إلى ثلاث
فروق: فريق يقتصر وظيفة اللغة على التواصل، وآخر ينفي اقتصار دور اللغة
على التواصل، وثالث يدرس اللغة من جانبين هما: الوظيفة والبلوة.

(١) أما الفريق الأول فمنه: "د. إبراهيم أنيس" إذ يقول معرفاً اللغة: «إن اللغة
نظام عربي أرموز صوتية يستعملها الناس في الاتصال بعضهم ببعض»^(١). وقد
تضمن هذا التعريف مع إيجازه أسوأ أربعة وهي:

(١) مفتاح العرب ص ١٦٩.

(٢) ابن خلدون، الفلسفة، تعليق د. علي عبد الوالد والي، ط ٢ دار النهضة العربية، ١٩٧٦ م، ٣/ ١٦٦١.

(٣) السابق، ص ٣، ١٦٦٠.

(٤) د. إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعقيدة، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠ م، ص ١١.

أ- إن للغة نظم من الأنظمة.

ب- عرف اجتماعي يخضع له جميع الناس.

ج- أصوات صادرة عن الجهاز الصوتي.

د- الأمر الرابع وهو المجتمع الإنساني، فاللغة - كما قلنا - كالعبة لا تثبت إلا في القرية، كذلك اللغة لا تنشأ وتترعرع إلا في ظل المجتمع الإنساني^(١).

وعندما تعرض للأمر الثالث الذي تقوم به اللغة وهو الأصوات، أشير إلى عملية التواصل اللغوي، أو كما سماها هو "الاتصال اللغوي"، إذ لا تتم العملية إلا بين طرفين متكلم وسماع، أو إرسال واستقبال^(٢).

ومنه أينما "د. تمام حسن" قد عرّف وظيفة اللغة مستملاً بمصطلح "الاتصال" فقلاً: «إننا لا نجد وسيلة للاتصال أنجح من اللغة»^(٣)، أما عندما تحدث عن الأغراض - أي الوظائف - التي تقوم بها اللغة، أورد لنا نقلاً عن "جيفرلز" قوله: "إن اللغة تخدم ثلاثة أغراض:

أ- وسيلة للاتصال.

ب- مساعد ميكانيكي للتفكير.

ج- وسيلة للتسهيل والرجوع إليها»^(٤).

ونلاحظ أن العنصر الثالث هذه فرع للعنصر الأول، لأن الإنسان إذا سجل شيئاً للرجوع إليه، وعاد به في المستقبل إلى أفكاره القديمة، فإن هذا لا يختلف كثيراً عن مفهوم العنصر الأول، وهو نقل أفكار شخص إلى آخر، حين يقرأ مذكرته الخاصة. أما من ناحية أنها مساعد ميكانيكي للتفكير، فمن المؤكد أن معرفة اللغة تساعد التفكير مساعدة جوهرية جيدة، ومن ناحية أخرى يجب ألا ننسى أن بعض المفكرين شكوا من كون اللغة التقليدية قد عطلتهم أحياناً عن الغوص في

(١) د. إبراهيم ليس، اللغة بين القرية والمدينة، ص ٢٦.

(٢) د. ريمس نور الدين، نظرية التواصل والعمليات المعينة، ص ٧.

(٣) د. تمام حسن، نتائج البحث في اللغة، ص ٩.

(٤) د. تمام حسن، نتائج البحث في اللغة، ص ٩.

الأفكار. فهي في مفرداتها وصيغها الثابتة ترغب الفكر على أن يسير على السبل المطروقة وأن يفكر كما فكر الآخرون من قبل^(١).

(٢) أما الفريق الثاني فعنه: "د. محمود السمران" وهو ممن ينفي القصور اللغوي على وظيفتها التواصلية؛ حيث إنه سمي هذه الوظيفة "للتواصل"، وذلك ما نجده عند تساؤله قائلًا: «هل عد اللغة وسيلة من وسائل التواصل يجوز أن يُعد تعريفًا صليًا للغة؟» مبيّنًا الأدلة التي يعتمد عليها في هذا الرأي وتتمثل في قوله: «إن دراسة الأنواع المختلفة للوظائف الكلامية في لغة من اللغات لا تزيد أمثال هذه التعريفات ولا توحى بها وذلك مثلاً:

- الكلام الانفرادي "المنولوج"^(٣)، وكالقراءة الانفرادية بصوت عالٍ، وككتوبين الملاحظات التي لا يريد للكاتب بها إلا نفسه، وحدث الإنسان نفسه... إلخ.
- استعمال اللغة في السلوك الجماعي كالصلاة والدعاء وغيرها.
- استعمال اللغة في المخطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية مثل: لغة التحيات ولغة التلذذ، والكلام عن حالة الطقس... إلخ.
- استعمال اللغة أحيانًا لإخفاء أفكار المتكلم على ما يتضح في لغة السبلة وفي لغة النصوص وللخارجين عن القانون^(٤).

على أن هذه المعارضة لوظيفة اللغة التواصلية مردودة عليه من أوجه جديدة:

- الوجه الأول: أن علاقة اللغة يمكن أن تكون انعكاسية "Reflexive" فالتواصل في "المنولوج" هو مناقشة مضامين أو موضوعات تشغل بال الإنسان باللغة. وذلك في علاقته مع نفسه. وهذا ما يُدعى بالحوار الداخلي، أي الحوار غير المسموع، وحينئذ يُسأل الإنسان نفسه ويبتها الشكوى^(٥).

(١) د. وليس نور الدين، نظرية التواصل والعمليات اللغوية، ص ١٢.

(٢) والمنولوج هنا من مصطلحات المسرح حيث يعمل الكاتب المسرحي على إظهار ما يلي من هذا الحوار.

(٣) د. محمود السمران، اللغة والسياسة، طدار المشرق، ص ١١٦، ص ١١٦.

(٤) د. وليس نور الدين، نظرية التواصل والعمليات اللغوية، ص ٧.

وعالماً ما تسمى هذه العملية بالتفكير، وقد بين "د. كمال بشر" اهتمامه على رأي "د. محمود السمران" مستعيناً برأي "الورد صفيح" في قوله: «إن حديث النفس أو المونولوج إنما هو صورة من صور "التواصل اللغوي"، ذلك أن للمتكلم والسامع هنا محققان في شخص واحد يمكن أن يقال عنه إنه يتصل بنفسه»^(١).

- الوجه الثاني: أن القراءة الانفرادية بصوت مسموع عاؤه، يتم فيها التلنظ بالمكتوب ليتأكد الإنسان من تمكنه من القراءة، ويختبر قدرته الصوتية وفصاحته لسمعه، فحينما نتكلم نسمع أنفسنا وسمعا الآخرين، لأن التكلم هو الاستماع إلى أنفسنا، ولأن من يتكلم يخلط نفسه أولاً، وهو أول سميع لكلامه وهو في الوقت نفسه المسموع والمختبر، فهو يستفيد ويحافظ ما كتبه بلقاء قرائه.

إنه يسمع صوته ويقبض قوة سائله الكلامية، ويطم من جراء ذلك نعمة صوته وحالته أثناء النطق وكيفية نطقه.

لتصور الحالة المضادة؛ لأنه «بالأضداد يُفهم المراد»: تصوروا معي إساقاً لا يسمع صوته، كيف يستطيع مخاطبة غيره؟ إننا نتحدث بحق - كما قال "ألفريد طوماس" "Alfred Tomatis": «لكي نعيب بأنفسنا، وحتى نعرف أنفسنا أكثر، نخفي جزءاً من مرأتنا السمعية، فكلامنا يتشكل على هذا الشكل، كما نتحدث فيها، وكما ندركه بواسطة تشكيلنا، وهذا يوجد تناقض حلقي متبادل يصلح بيننا وبين نمط تواصلنا... إن اختلار وقلبتنا والبراعة التي نستخدم بها قدرتنا الحواسية هما اللذان سيجدان نمط تشكيلنا الذي سيؤثر بدوره نمطنا في الرقابة»^(٢).

وكنك تجد الدكتور "هد لقادر الفلبي الفهري" ينفى قسم اللغة على وظيفتها التواصلية، وينتقد اللغويين في أن «اللغة أداة تواصل» وذلك في قوله: «صديقاً ليس هناك ما يمنع من تصور اللغة موضوعاً رياضياً أو اجتماعياً أو نفسياً، ولذلك تصور اللسانيات جزءاً من الرياضيات أو علم الاجتماع أو علم

(١) د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٩.

(٢) د. وليس دور هين، نظرية التواصل والعمليات المعقدة، ص ٩٠.

النفس. وزعم الوظيفيين أن اللغة - قبل كل شيء - أداة للتواصل لا يستند إلى مبرر سوى أنه يردد ما يسم به نوع من الجنس المشترك»^(١).

لقد خص "الفلسي الفهري" الوظيفيين بتحريفهم لغة على أنها "أداة تواصل" لا غير. وهذا يقتضي أن غير الوظيفيين لا يعتقدون ذلك، في حين أننا نجد من اللبنيويين اللبنيويين من يتحدث عن "التواصل اللغوي" تمييزاً له عن أنواع التواصل الأخرى الموجودة وهو المكتب الأمريكي واللساني اللبنيوي "جبرولد كاتز" J.Katz^(٢)، وذلك في حديث له عن المدرسة السلوكية التي اختصت بعض دراساتها بالتواصل اللغوي.

وهو دليل على أنه ليست المدرسة الوظيفية وحدها التي قالت إن اللغة أداة تواصل، وأضحى بذلك أن الاتجاه السلوكي نهج هو الآخر النهج نفسه^(٣). ولما قول "الفلسي الفهري" إن: «زعم الوظيفيين هذا لا يستند إلى أي مبرر»، فلا تكاد جميع المدارس تتفق معه، لأنه صار من المعلوم أن "التواصل" بشكل أهم وظيفة توصف بها اللغة^(٤).

٣) لما الفريق الثالث: وهو الذي يتوسط الرأيين لفته الدكتور: "أحمد المستوكل"، فقد ذهب إلى أن دراسة اللغة تتم من جانبين:

- جانب وظيفي.

- وجانب نحوي وظيفي.

فالأول: يؤدي إلى الاستعمال، والثاني: يؤدي إلى الصورة بمفهومها اللبنيوي، وهو في ذلك يعمل على الرد على من ادعى أن ليس اللغة وظيفة.

(١) عبد القادر فلسي فهري، مقال ملاحظات حول فكرة الفلسيا، مجلة تكامل المعرفة (مجلة جمعية الفلسفة بالمغرب)، عدد خاص بالفلسفة ج ٩، ط ١، سلسلة الفعاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥، ص ٦.

(٢) ميشال زكرياء الأسياخ، علم لغة الحديث (فراغات تهيئية، ط ٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٥، ص ٢٩.

(٣) ينظر: رأي سليم في وظيفة لغة، ص ١٨١.

(٤) د. ريمس نور الدين، نظرية التواصل وفلسفات الحديث، ص ١٤.

ولقد ذكر "أحمد المتوكل" أنه لا يمكن في نظر الوظيفيين وصف خصائص الجبريات اللغوية وصفاً ملائماً إلا إذا روعي في هذا الوصف الطبقات السبئية التي يمكن أن تستعمل فيها، في حين أنه في رأي غير الوظيفيين، من السبغ أن يتم وصف خصائص الجبريات اللغوية بمعزل تلم عن ميوقات استعمالها. ويتصور اللغويون غير الوظيفيين للكليات اللغوية على أساس أنها مجموعة من المبادئ العامة المتعلقة بالخصائص الصوتية (التركيبية، والصورية الدلالية) للسان الطبيعي يُنظر عليها الطفل، في حين أن اللغويين الوظيفيين يتصورون هذه المبادئ على أساس أنها مبادئ بين الخصائص الصوتية للصورية للسان الطبيعي ووظيفة التواصل^(١).

وهكذا تراوح اللغويون العرب بين مؤيد لتعريف اللغة بالوظيفة التواصلية، ومعارض لهذا التعريف، وبين جامع للبرين معاً، فوجدوها على أنها وسيلة اتصال من جهة ومثال بنيتها من جهة أخرى، وثالثها هو الأولى بالاعتبار^(٢).

خصائص الوظيفة التواصلية

ولما كانت الوظيفة التواصلية هي محور الأساس في اللسانيات التداولية؛ كان من الضروري تحديد مكونات هذه الفترة، التي تتركز على مشاركون في الخطاب: (المتكلم والمخاطب)؛ وذلك من خلال وسيلة لنقل الحوار تكون مكتوبة أو منطوقة، ويهدف من خلالها تحقيق هدف المتكلم من خطابه، معتمداً على مخزونه المعلوماتي، بالإضافة إلى ما يفترضه من معلومات سابقة في ذهن المخاطب، والذي طبقاً لها تتفاوت طبيعة الحوار في درجات الإفصاح والإحالة، فإذا قل للمتكلم: (قلبت الرجل أس) - أو قبلته أس). كان مفترضاً أن المخاطب يعلم من الرجل الذي يقصده للمتكلم، أما إذا قل: (قلبت الرجل الذي يبحث عن وظيفة أس)، كان المفترض أن المخاطب ليس لديه مخزون كافٍ يُمكنه من معرفة هذا الرجل؛ ومن ثم حرص المتكلم على أن يقدم عبارة

(١) - أسد الفركاني، *الخصائص الوظيفية (نموذج نظري)*، ص ١٦، ١٧.

(٢) - راجع نور الدين، *نظريات التواصل واللسانيات الحديثة*، ص ٢١.

مربوطة بقي بخرصة^(١).

إن كل فعل تواصلي لفظي، يتكون من مجموعة من العناصر المنظمة للتواصل، متوضعا فيما يلي:

أ- المرسل: هو ذلك الذي يرسل الرسالة سواء أكانت سمعية أم بصرية أم غيرها؛ ويمكن أن يكون نطقاً أو لغة،... إلخ^(٢).

ب- للمرسِل إليه: هو ذلك الذي يتلقى الرسالة، ويقوم بعملية الإلهام، وقد علق "جورج مونان" على قضية الاصطلاح، وذكر أن مصطلحي "منكم" و"ستمع" رغم حدتهما ودورهما اللغوي في فهم - من المصطلحات التي لا استعمالها، بحيث عوضا بالمرسل والمستقل وبعد ذلك عوضا بالمركب والمسلل ثم باليات والمرسل إليه^(٣).

ج- المرجع: هو ما نتحدث عنه من موضوعات العالم.

د- السُنَن: هي سقّ القواعد المشتركة بين المتكلم والمُتَلَق، والذي بدوره لا يمكن للرسالة أن تُفهم أو تُؤدك، ففلسانيون اجتماعيون عمدوا إلى اقتراح لدراسة إمكانيات الأشخاص، وتصنيفهم إلى شرائح اجتماعية ومراتب وفئات ولصناعات، وقد خص "ترانجيل" "Trugill" مثلاً دراسة في الفروق بين لغة النساء والرجال.

ورأى آخرون أنه من الواجب مراعاة مستويات الفارق السنّي، ودراسة لفرين حسب العرف والمهن وكذا الموقع الجغرافي ثم المراتب الاجتماعية ثم دراستهم حسب اختلاف الأجناس والمواقف والظروف، فليس من المعقول أن يتواصل الكبير مع الصغير - والكبير والصغير درجاته دون أن تكون هناك أي هوارق إذا لم يدر المرسل أو المستقل أو أي منهما، ما الواجب اتخاذه في مثل هذا الموقف، ومن ذلك الموقف التعليمي حيث يخاطب الكبير الصغير، فمن الضروري أن يراعي مستوى حتى يبلغه ما يريد تبليغه، ويكون التواصل

(١) د. أسد الشكر: لغتها في اللغات الفرنسية، ص ١٨ - ١٩.

(٢) د. وليم نور هين: نظرية التواصل واللغات الحديثة، ص ٢٦٥.

(٣) السليق تبة، ص ٢٩٦.

ناجحا. أو أن يكون العكس كأن يخلط الصغير الكبير فينتس معرفة أمر
بجهله^(١).

٤. الثالثة: هي التي تسمح بقول التواصل بين المرسل والمرسل إليه، وغيرها
تسلل للرسالة من نقطة معينة إلى نقطة أخرى. ولكل فئة بعد خاص حمسي
فتكون بصرية أو صوتية أو سمعية أو لمسية، أو بعد زمني (رسالة مطبوعة، أو
اسطوانة، أو مسجلة، أو صور... إلخ) أو فحطين معا، وقد ذكر "مارشال
مكه لوين" أن القنوات الاصطناعية ما هي إلا امتداد لحواسنا الإدراكية كالسمع
والبصر واللمس... إلخ^(٢).

والرسالة: هي التي تحقق التواصل، ويمكن أن تكون لسمية أو مسميائية (وإن
كانت جميع أنظمة التواصل غير اللفظية تؤوّل عن طريق اللغة، وهو ما يجعلها
أنظمة لسمية، مما يقتضي انضواء الليميائيات ضمن اللفظيات، وليس العكس
كما قال "دي سوسير"^(٣). والرسالة هي مادة التواصل مؤلفة من مضمون
الأخبار المنقولة أي من الصور الفكرية التي لنا عن الواقع أو المرجع للمادي
وكذا الفكري المجرد أو الخيالي للمنتصور.

وهذا الشكل المنسق - أي الرسالة - لا تظهر دلالته إلا إثر عملية التحليل،
فالمتقبل يبحث في الذكوة عن عناصر التنظيم الذي لغتيرت فيه الرسالة
لتكوينها ولإرسالها في شكل منظم، وهو الشكل الذي نلهم فيه.

ومثال "الفعل المسمي" أن يطلب شخص من شخص آخر أن يخبره عن الوقت
بإرساله لملكالية من الإشارات الصوتية: كم الساعة؟

وتتكون مادة الرسالة هنا من الاستفهام، والشكل المنظم المنقول هو الشكل
الصوتي للفظي، وبعد حصول الفعل المسمي - أي بعد انتهائه - وتحليله فإن
العلاقة الاجتماعية تنشأ بين المرسل والمستقبل، أي أن التواصل قد تم بين
المشاركين. ويقتضي ذلك أن المستقبل يعرف نظام المرسل، ومن ثم استطاع

(١) د. رابن دورفين، نظرية التواصل والسميات الحديثة، ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٢) السابق نفسه، ص ٣١٥.

(٣) د. جينال زكريا، الأغنية البدوية والأغاني ط ٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

الطبعة: ١٩٨٢، ص ٥٢، ٥٣.

لن يحل شكل الرسالة ويفهم مغزاه^(١).

ز- بنية الرسالة: فيشكل النظام تلك المجموعة من القواعد التي تستند في مادتها إلى اللغة المسموعة، أو للمرئية، أو لللمسية للإنسان، وقد عرّفه "أمبرطرو ليكو" بقوله: «إن للنظام هو كل نسق من الرموز يهدف - بالفاق سابق لتمثيل ونقل خبر ما من مرسل إلى مستقبل ... وبمكنتي أن أؤكد - على الأقل- حينما أوجه خطبي أو حركتي أو أي علامة مكتوبة أو مرسومة أو منطوقة لشخص ما أرحب في إعلامه أو إخباره بشيء أعرّفه من قبل، وأريد أن يعرفه هو أيضاً، فإني لستعمل سلسلة من القواعد - أنشئت في نمط ما- تصحح بها رسالتي مفهومه»^(٢).

ح- التركيب: وفيه يتم للتغلب واختيار بعض إشارات نظم من الأنظمة السيميولوجية لتركيبة رسالة من الرسائل وصياغتها في شكل ما، تبعاً لقواعد ذلك النظام السيميولوجي الذي اختاره المرسل ليتواصل مع المستقبل^(٣).

ط-التحليل: وهي عملية تعريف أو تؤول أو تفسير للإشارات أو العلامات التي تضمّنتها الرسالة تبعاً للنظام الذي أرسلت فيه أو في نظام سيميولوجي آخر، وهذا الشكل الذي يتلقاه المستقبل من الرّاجب أن يكون مفهوماً لديه حتى يتسنى للملاقة الاجتماعية أن تكون قائمة، وهي غاية التواصل، أما الاتفاق والتفاهل في النظام فهو معطى من المعطيات التي على المرسل أن يراعيه، وذلك تبعاً لما يعرفه عن مستقبله من قدرة على التواصل جملة وتفصيلاً^(٤).

ي- اللّقام (المصالح): وهكذا بعد أن كان اللّقام ملحقاً من الدراسات البنيوية، أصبح من الضروري دراسته في الأبحاث الفلسفية الاجتماعية تبعاً لـ "ماليونوسكي" والتولستويات "سابير" و"وورف" كما وجدنا أنثوغرافيين التواصل يركزون على هذا الجانب في القدرة التواصلية، وخلاصة في النموذج التفخيطي لـ "هابز" (ت١٩٦٢م). وقد نقل عنهم هذا الموقف أصعب مدرسة "بلو قلو" مؤلفين بينه وبين النظرة التفاعلية للحظة التواصل، حيث يطلقون

(١) د. روليس نور فون: نظرية التواصل واهليات المعية، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢) السابق نفسه، ص٢١٠.

(٣) السابق نفسه، ص٢١٦.

(٤) د. روليس نور فون: نظرية التواصل واهليات المعية، ص٢١٧.

عليه السياق، ويتسدون به تلك التعبيرات التي نسوقها حين نقول "هذا، والآن" الأنتروغرافية المحققة، فليس للسياق ذلك المحيط وليس أي ممكن، بل هو ممكن للتفاعل في زمن التفاعل، وقواعد دلالة هذه للتفاعلات، ويشرح لنا "جورج مونان" المقام بالمثل فقال: «إننا في المقام نشير إلى النظم الذي على الطولية كمثلين "أصطنعي هذا" ونكتبها خلافاً لذلك على النحو التالي: "أصطنعي النظم الذي على الطولية" موضوعين بذلك المقام الفائق هذا بالسياق للسياق، مما يبعد عنا سوء الفهم والفموض الذي قد يكتنف العبارة المنطوق بها... ويمكننا أن نعد من عناصر المقام تلك الصفات التطورية التي تطلق المفظوظ من تفهم، ونبر، ووقف ... إلخ».

إن المقام يصل على درء سوء الفهم وإبعاد الفموض الذي يكتنف الرسالة الشفوية، حيث يحتوي مفهوم المقام على الزمان والمكان وهوية المتكلمين ووضعهم أثناء حدوث التواصل بينهم، وقد ذكرت "فرانسواز لرمونكو" أنه إذا حُرِّمنا من هذا العنصر الفعل في التحليل، فسوف نفع في سوء الفهم وتحمل الرسالة حينئذٍ عدة احتمالات وكذا طبقات من المعنى^(١).

وتتفاعل جميع هذه العناصر في حماية الكلام فيقوم المرسل (أو المتكلم) بتوجيه رسالة إلى المرسل إليه (أو للمخاطب) وتستند هذه الرسالة إلى سياق (أو المرجع) يفهمه المرسل والمرسل إليه فهما جزءاً وتقوم على سنن (وهو ما يُعبر عنه بمصطلح اللسان لدى "سوسير") مشترك بين الطرفين جزئياً أو كلياً وتقوم بالربط بينهما قناة تواصل تسمح بربط فيزيقي، ونفسي للتواصل، والإبقاء عليه أو قطع^(٢).

والتواصل للتحقق من جميع هذه العناصر يتسم بكونه:

١. نشاط مشترك، يتمكن به الناس من تأسيس علاقاتهم أو المحافظة عليها، ويشمل الاشتراك في التواصل الاشتراك في عنصر المكان والزمان، وكذلك المعتقدات والعلاقات السابقة بين طرفيه، والغاية التي تُسير الخطاب.
٢. إنه قد يتم التواصل باللغة الطبيعية، أو بالعلامات السمعية الأخرى.

(١) ريمون لور، الفيزياء، نظرية التواصل والعلاقات الحديثة، ص ٣٢٠، ٣١٩.

(٢) ص ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.

٣. إن التواصل ليس فعلاً عشوائياً، أو حدثاً غفلاً، بل هو فعل منظم، وموجه لتحقيق أهداف معينة. وإقامة العلاقات بين الناس من أهم أهدافه، بيد أن أهدافه ليست محصورة في ذلك، بل تتجاوزها، في التعامل القوي بين الناس، إلى التلبيح، والإقناع.

٤. إن التواصل يجري وفقاً للأعراف الاجتماعية، مع أن هذه الأعراف تأتي من شخص لآخر^(١). وعليه، فقد كان من سمات هذا الاتجاه، رصد خصائص بنية اللغة الطبيعية، وربطها بوظيفتها في التواصل، والتواصل أي أن قدرة طرفي الخطاب التواصلية تكمن في معرفة القواعد العامة التي تمكنها من تحقيق إمكانية التواصل وتلويل الخطاب، ومنها القواعد التكوينية في مستوياتها التركيبية والدلالية والصوتية.

ملكات التواصل

قد أقم «ثان دايك ١٩٧٨ ص ١ - ٢» بتوضيح هذه الملكات، وتتمثل في:

(١) **الملكة التكوينية (النحوية):** «يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج ويؤول إنتاجاً وتلويلاً صحيحين عبارات لغوية ذات بنى متنوعة جداً ومحددة جداً في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة».

(٢) **الملكة المطلقية:** «يمكن مستعمل اللغة الطبيعية، من حيث كونه مزوداً بمعارف معينة، أن يشتق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ للمنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي»^(٢).

(٣) **الملكة المعرفية:** «يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يكون رصيداً من المعارف المنظمة، ويستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللغوية، كما يستطيع أن يختزلها في الشكل المطلوب، يستعملها لاستعمالها في تلويل العبارات اللغوية».

وقد أقم «دايك ١٩٨٩ و ١٩٩٧ / ٢ ٤١٠» بتصنيف هذه المعارف إلى:

(١) استراتيجيات الخطاب ص ١٠٠.
(٢) د. أحمد الشوكري: أساسيات اللغة، ص ٣٧، و د. حليمة إسمايلي طوي: أساسيات اللغة العربية في هجرات الخليل، ص ٢٠١.

أ- معارف عامة: تتعلق بمدرجات للمتخاطبين من العالم.

ب- معارف مقامية: مشتقة من عناصر المقام الذي تتم فيه عملية التواصل.

ج- معارف سبئية: يوغرها للمتخاطبين ما تم إيرادها في قطعة خطابية سابقة^(١).

د) الملكة الإبراهيمية: «يمكن مستقبل اللغة الطبيعية أن يدرك محيطه، وأن يشتق من إدراكه تلك المعارف، وأن يستعمل هذه المعارف في إنتاج العبارات اللغوية وتوليدها».

هـ) الملكة الاجتماعية: «يعرف مستقبل اللغة الطبيعية كيف ينشئ خطبا يتواصل به مع غيره في موقف تواصل محدد قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة»^(٢).

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن هذه الملكات تتضافر معاً في صلبها من حيث إنتاج الكلام وتوليده، إلا أن الملكة اللغوية تُعد أهم هذه الملكات في إنتاج الكلام، وتتفاوت أهميتها بتفاوت المخزون المعرفي لدى المتخاطبين؛ فكلما زاد المخزون المعرفي، زادت الحاجة إلى الملكة اللغوية (النحوية)، والعكس صحيح وقد قلم «المتركل» جمع هذه الملكات في فئتين:

أولاهما: أسماها (قوالب الأدوات)، وتشمل الملكة النحوية والمنطقية.

ثانيتهما: أطلق عليها (قوالب المخازن)، وتشمل الملكة المعرفية، والملكة الإبراهيمية، والملكة الاجتماعية، والواقع أن الاتصال بينهما ليس حاسماً؛ فالتقلب النحوي قد يقوم بدور الأدلة والمخزون في ذات الوقت؛ ومن ثمّ اقترح تقسيماً آخرًا لتلك القوالب، مقسماً إياها إلى ثلاثة: (المعرفي والاجتماعي، والنحوي «أدوات ومخازن»)^(٣). وتشترك هذه القوالب معاً على النحو التالي:

أ. غلباً تلقى المخاطب عبارة لغوية: (الحضر «دلائل الإعجاز» من المكتبة).

(١) د. أحمد شتركل: تشييد اللغة في السجلات الوظيفية، ص ١٩.

(٢) السابق نفسه، ص ٣٧، د. محمد إسحاق طوي: تشييد اللغة العربية في السجلات الوظيفية، ص ٢٠٢.

(٣) د. أحمد شتركل: تشييد اللغة في السجلات الوظيفية، ص ١١.

فيشكل القالب النحوي بتحليل العبارة إلى بنيتها التحتية لإدراك معناها اللغوي.

د- الاستعانة بالقالب المعرفي، المتمثل في معرفة المخاطب بأن هناك كتاب يُدعى "دلائل الإعجاز"، وكذلك يلجأ إلى القالب الإدراكي لتعديد لون العلائق، والدلائل التي طبعته مثلاً.

ج- الاستعانة بالقالبين المعرفي والإدراكي في معرفة ما تحول إليه كلمة "المكتبة" في العبارة: (أهي مكتبة للمتكلم؟ أم مكتبة مؤسسة ما؟ ...).

د- القالب المنطقي، والذي يقوم بالاشتقاق بنية تحتية نوعية تحمل القوة الإنجازية الواردة، وتوضح المراد من العبارة إنّا كان أمراً لم طلباً.

هـ- أما القالب الاجتماعي، فيتمثل في العلاقة التي تربط بين المخاطبين، من حيث كون العبارة موجهة من كبير إلى صغير أو من متساويين أو من معلم إلى متعلم ... إلخ.

في صيغة تلويل العبارات اللغوية هذه تتفاوت أهمية دور القوالب وفقاً لأنماط الخطاب^(١).

من معرّفات التواصل

١) الإطناب

ويُقصد به تلك الزيادة في الإشارات الدلالية بالمقارنة مع ما هو ضروري وكتبت نظرياً في التثقيف أو نقل رسالة ما^(٢). وقد يأخذ الإطناب أشكالاً متنوعة كمن يكون:

- تركيباً في الكلام المنطوق بالزيادة في التمايز.
- تركيباً فيما كتب.

(١) د. أحمد الشوكلا: تنسبها للغة في السجلات الوخيفية، ص ١٢ - ١٣.

(٢) د. رئيس نور الدين: نظرية التواصل والسجلات الوخيفية، ص ٢٢٨.

- حركياً حينما ترافق الحركة الكلام، وذلك مثل قولنا "هذا" لفظة الإشارة التي ترافقها الإشارة الحركية باليد أو الرأس للإشارة إلى الشيء.
- تنفيذاً وهذا واضح في التلويح الصوتي، حيث إن المتكلم قد يقصد الاستفهام في حين أن كلامه ينبئ عن الشيء استنكاراً أو تمجيداً أو سؤالا لا يجوز الاستفهام به.

وفي ذلك يقول "مارلينه": «وهكذا تفرض المتطلبات العملية للتبليغ أن يكون المعنى محشواً أي مطنباً دائماً وعلى جميع المستويات، أي يتضمن كثيراً مما هو زائد عن الزوم»^(١)، وبناءً على ذلك يعمل المرسل - لضمان تواصله مع المستقبل- على إحصار عنصر بذيل بحث به ويصوب الرسالة قدر المستطاع.

إنّ الفاعلية ماسة للحفاظ على هذا الإطنب أو الإتيان به عندما تقتضي العملية التواصلية ذلك.

٢) التشويش

نقصد به كل ما يؤثر في المراحل التي تنقل فيها الرسالة، وذلك كالصوت الخفوض أو المزج بالموسيقى أو شروذ ذهن المستقبل أو خطأ في التركيب ... إلخ^(٢).

٣) الغموض

وواضح أن الغموض في التواصل الشفوي الكلامي المنسوب للنظام الصوتي راجع لا محالة للتشويش الآتي:

- إما من المرسل الذي لم يختار النظام اللغوي الملائم لمستقبله المعروف به، وإما أن يكون قد اختار النظام اللغوي لكنه خرج عن دائرة معارف مستقبله، عندما لم يراع مستواه الثقافي أو طبيعة تكوينه أو غير ذلك من الأمور الاجتماعية.

(١) أندريه مارلينه، ميدان الصلوات المبدأ، ص ١٨٤.

(٢) د. وليس نور الدين، مشروقات التواصل والصلوات المبدأ، ص ٢٢٢.

- وإما من قلة الرسالة التواصلية التي قد بطراً عليها عنصر خارجي يعمل على تغيير ذنباتها للصوتية، كأن يتكلم المرسل عند حدوث ضجة إثر اصطدام سيارة، أو صراخ طفل، أو صباح نيك، أو نباح كلب، أو سقوط شيء، أو غير ذلك.
- وإما من المستقبل الذي قد يكون شارد للذهن عند تلقي الرسالة أو ضعف السمع، فيحتاج المرسل أن يكرر إلقاء رسالته المحدد من المرات، أو أن يرفع صوته، أو يطلب من شخص قريب من المستقبل أن يتوسط له في إبلاغه ما يريد، وإربما ينقل له هذا الوسيط تلك الرسالة، كما أرلدها وربما يعمل على تغيير ميناها فمعاها، فتكون الاستجابة ناقصة، أو معكوسة، أو تافهة مما يؤدي إلى الغموض الذي يصاب به المستقبل، ويعمل على فشل التواصل بينهما^(١).

٤) للفعل العائد (رد الفعل)

للفعل العائد ذو تأثير كبير على نجاح أو فشل التواصل الجاري بين بني البشر، مما حدا بالكتاب التداولية مثل "البرج" و"جرايم" في قضية تعامل المرسل مع المستقبل إلى التركيز على هذه المسألة بالذات.

مثلاً قال المتكلم: "أغلق الباب" (بلهجة صوفية) فلم يستجب المستمع لذلك الطلب، بل راح يلحن عليه باللوم على ما بدر منه من سوء تصرف، فقال له: "ألا تعرف من لكون حتى تخاطبني بهذه اللهجة؟" ونتم المتكلم وطلب منه الصخ عنه، واقتبس منه أن يغلأ الباب بصيغة تتم عن حسن سلوكه وحب واحترام، حين علم سمو مرتبته الاجتماعية لولي المستمع إلى الباب فأغلأها عن طيب خاطر^(٢) وهكذا اختلف رد فعل المتلقي لاختلاف طريقة تعلق الرسالة ونغمتها وملاستها.

(١) د. ريس نور الدين، نظرية التواصل والعمليات الصوتية، ص ٢٢٢، ٢٢١.
(٢) د. ريس نور الدين، نظرية التواصل والعمليات الصوتية، ص ٢٢١، ٢٢٢.

خصائص التواصل اللفظي

ومهما يكن من أمر، فإن اللغة الإنسانية تبدو فريدة بين أنظمة الاتصال المتحددة المعروفة. وينبغي لهذه اللغة أن تحوز ملامح تمييزية لا نجدها بحالها في نظام آخر. ولعل أولى المحاولات الحديثة في تطوير لقمة الملامح للتمييزية التي تسم للكلام (أي هذا النسق الفيزيقي المصنوع من اللغة الحاصل بإنتاج أصوات لغوية) هي محاولة "هوكيت" (١٩٥٨م) التي وصلت بتلك الملامح إلى ستة عشر ملساً. وقد أحسن "سازمان" عرضها على النحو التالي:

١. القلة الصوتية السمية:

يشيع بين القاص استعمال القلة الصوتية السمية في الاتصال. ولاستعمال الجهاز الصوتي في الاتصال ميزة مهمة هي أن بقوة الجسم تتمتع بحرية لفظي من ممارسة للشغلات الجماعية المتحددة الأخرى^(١).

٢. النقل المذاع والاستقبال الموجّه:

وذلك أن أصوات الكلام تتحرك خارجة من مصدرها الأصلي في جميع الاتجاهات. ولا يحتاج المرسل أو المستقبل إلى أن يروى أحدهما الآخر، من أجل التواصل. ويمكن الاستقبال بالأنف من دون حاجة إلى تحديد مصدر الأصوات^(٢).

٣. الزوال السريع:

وذلك أن أصوات الكلام تُسمع في مدى محدد جداً. وهي تُسمع فقط في الوقت الذي تُنتج فيه. وبعد ذلك، تفقد على نحو لا يمكن رؤيته. (على العكس من ذلك، تبقى الكتابة نسبياً؛ فبعض المدونات المكتوبة قد يُحتفظ بها لوقت طويل).

٤. قابلية التغيير:

(١) محمد عبد الجبار والإشارة ص ٢١.

(٢) سافير لسان ص ٢١.

وذلك أن للكلمات الإنسانية - من الناحية النظرية على الأقل- مقدرة على نطق ما يقوله الآخرون (إذا كانت اللغة المستعملة مألوفة بالطبع).

٥. الاسترجاع الكامل:

وذلك أن متكلمي أية لغة يسمعون -هم أنفسهم- ما يقولون. ومن أجل ذلك، لهم قدرون على مراجعة رسائلهم، وإعمال أية تصويغات يرونها ضرورية أو مناسبة، على الفور.

٦. التفصيل:

وذلك أن الكلام الإنساني، لا يؤدي وظيفة أخرى غير الاتصال.

٧. الدلالة:

وذلك أن اللغة الإنسانية تعرف الصلة المحكمة بين الحد الوهمي من المعانيات والجمل الممكنة، وبين المعارف المستقلة اختلافاً واسعاً، والتي يتحدث حولها الناس^(١).

٨. العرقية:

لنبحث هناك علاقة داخلية أصلية بين شكل وحدة من اللغة ذات معنى (الكلمة مثلاً) وبين المفهوم الذي تحمله هذه الوحدة.

٩. التمايز الفردي:

وذلك أن الرسائل في اللغات الإنسانية، لا تتكون من أصوات متصلة متداخلة (كالتلفاز)، ولكنها جُذِعت في حصة و تمايز فردي، من حيث إنها شرائح تمايز بعضها من بعض تمايزاً فردياً؛ للفرق بين الجملتين الاستهلكتين:

(١) د. محمد السيد، المعركة والافتراق ص ٢٢

- هل ملك قطعة من اللحم؟

- هل ملك قطعة من اللحم؟

يقضي صورتين متمايزتين في موضع بعينه من الجملتين، أحدهما يُكتب وينطق (ل) والآخر (ف).

١٠. الإزالة:

وذلك أن الناس يستطيعون أن يتكلموا (أو يكتبوا) عن شيء ما بعيد في زمانه ومكانه عن الموضع الذي يحدث فيه الاتصال^(١).

١١. الإثنية:

وذلك أن الناس قادرون على حمل تقريرات وإخباريات كاملة جديدة، يفهمها عنهم سامعهم.

١٢. شاعية التتمط:

وذلك أن أصغر الوحدات الدلالية من اللغة كالوحدات في العبارة: استمد شري القاسم، التي تُصنع من أصوات مميزة للغة، تدخل في عديد من الكلمات التي لا تقبل أن تنقسم إلى أجزاء أصغر، نحو: سق، رأى، فرق... إلخ. وبني هذا أن عددًا محددًا من الوحدات اللغوية من نوع بعينه، يمكنه أن يصنع عددًا واسعًا من الوحدات على مستوى آخر.

١٣. لبث التثاقلي (أو نقل التقاليد المرعية):

وذلك أن للمرء لا يورث لغة بلقها يورث تكوينيًا فالأطفال يتعلمون اللغة من الوالدين أو من الآخرين الذين يتحدثون إليهم أو معهم. وللتكلم بلغة بعينها، هو - من أجل ذلك - جزء من السلوك الثقافي الشامل عند الإنسان فسلوكه يُكتسب من خلال التعلم.

(١) د. محمد عبد، العبارة والإشارة ص ٢٣.

١٤. للمراوغة:

وذلك أن ما يمكن أن يقره المرء، قد يبدو خطأً تاماً كان يؤكد أحدهم أن القمر من جن أخضر!^(١).

١٥. الإنعكاسية:

وذلك أن الناس يستملون اللغة على يمكنهم ذلك. لمناسبة اللغة أو التواصل بوجه عام، على نحو ما يفعل المرء في الفصل أو في مقهى فلتز.

١٦. إمكانية التخطئ:

وذلك أن المتكلمين بالغة لغة يمكنهم تعلم لغة ثانية أو لغات متعددة، بالإضافة إلى لغتهم الأم^(٢).

(١) د. محمد العيد، العبارة والإشراك، ص ٢٤.

(٢) السايك نفسه، ص ٢٥.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- د. إبراهيم أنيس: اللغة بين التسمية والعلمية، ط دار المعارف، مصر، ١٩٧٠م.
- ٢- د. إبراهيم عبد الله الفلصدي: معالم الدلالة اللغوية في القرن الثالث الهجري على مستوى للكفة المفردة، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.
- ٣- د. أحمد حسني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤م.
- ٤- د. أحمد دراج: الاتجاهات المعاصرة في الدراسات اللسانية، مكتبة الأدب، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٥- د. أحمد عزوز: المدارس اللسانية، دار الأديب، وهران، ٢٠٠٥م.
- ٦- د. أحمد عفيفي:
 - الإحالة في نحو النص، مجلة دار العلوم، عدد خاص بعنوان الحرية بين نحو الجملة ونحو النص، ٢٠٠٥م.
 - ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- ٧- أحمد بن فارس:
 - الصحاحي في لغة اللغة، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٩١٠م.
 - مغيبات اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- ٨- د. أحمد المتوكل:
 - لقاء جديدة في نظرية النمو الوظيفي منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٣م.
 - دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ط دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
 - أساسيات اللغة في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠١م.
 - اللسانيات الوظيفية، محفل نظري، منشورات عكاظ للرباط، ١٩٨٩م.
 - الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.
- ٩- د. أحمد مختار صر: علم الدلالة، ط٥، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ١٠- د. أحمد نعيم الكراهن: علم الدلالة بين النظر والتطبيق، ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.
- ١١- د. الأثرر الزناد: نمج نص، بحث في ما يكون به الملقوط نساً، ط١،

- المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م.
- ١٢- ابن أبي الأصبع المصري: تحرير التعبير، تحقيق: د. حفي محمد شرف، ط المجلس الأعلى للثنون الإسلامية، ديت.
- ١٣- الأمدى: الأحكام في أصول الأحكام، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ديت.
- ١٤- أن بول، وجاك موشلار: للتداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ترجمة د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، ومراجعة: د. لطيف زيتوني، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ١٥- أندريه مارتينه: مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة د. أحمد الحمرو، ١٩٨٥م.
- ١٦- أندريه مارتينه وهنرييت فلتير: حوار اللغات، ترجمة د. نادر سراج، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٧م.
- ١٧- باتريك شارف، ودومنيك منقو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيوي، وحمادي صمود، ومراجعة: صلاح الدين قشريف، ط١، دار سينقرا، المركز الوطني، تونس، ٢٠٠٨م.
- ١٨- برنيل مافروج: مدخل إلى اللسانيات، ترجمة السيد عبد الظاهر، مراجعة وتقديم: صبري التلهي، ط١، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م.
- ١٩- بريجيت بارثشت: مناهج البحث اللغوي من هومان بول حتى ناصوم تشومسكي، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار، ٢٠٠٤م.
- ٢٠- البيهسكي رمزي منير: معجم المصطلحات اللغوية، ط١، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.
- ٢١- أبو البقاء الفلوي: الكلمات، تحقيق: عنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٢٢- د. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ط١، العدد في الطبع، ٢٠٠٦م.
- ٢٣- بول فابريكسستان بيلبون: مدخل إلى الأسنوية، ترجمة: طلال وهبة، المغرب، ١٩٩٦م.
- ٢٤- بيتر رايندوتز: بحث نظرية فعل الكلام والدراسات الأدبية، ترجمة: محمد السعيد القن، منشور ضمن كتاب من الشكليات إلى ما بعد الليبوية، إشراف: د. جابر عصفور، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ٢٥- بيير جيرو: قسيماء، ترجمة أنطوان أبو زيد، ط١، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.
- ٢٦- د. تمام حسان:
- البيان في روائع القرن، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.
 - اللغة بين المعيارية والوصفية، ط دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ديت.
 - اللغة العربية معناها ومبناها، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
 - مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٠هـ، ١٩٥٤م.

٢٧- الجليل:

- للبيان والتبيين: تحقيق أ. عبد السلام محمد هارون، ط٧، لفتحي، القاهرة، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- القناع في أخلاق الملوك، تحقيق: أ. أحمد زكي باشا، ط مكتبة المتنبى، بغداد، طبعة بالأوفست، د.ت.
- الحيوان، تحقيق أ. عبد السلام محمد هارون، ط الطبى، مصر، د.ت.
- ٢٨- جاكوبسون، مونان، ميهكي، هارماس وآخرون: التواصل نظريات ومقاربات، ترجمة: عز الدين الخطابي وزهور حوثي، ط النجاح للجديد، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م.
- ٢٩- جيب براون، ج بول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزاوي، ود. منير الزركي، ط جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.
- ٣٠- جرهارد هيلش: تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة: د. سعيد حسن بحوري، مكتبة زهران الشرق، القاهرة، د.ت.
- ٣١- جري سامسون: مدارس اللسانيات - التساق والتطور، ترجمة: د. محمد زيد كبة، ط جامعة الملك سعود، ١٤١٧هـ.
- ٣٢- جمعة سود يوسف: سوكولوجية اللغة والمرضى العقلي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م.
- ٣٣- ابن جني:
- الخصائص، تحقيق أ. محمد علي الفهارس، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: د. طي التجدي ناصف، ود. عبد الحليم الشجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل شامي، ط القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية، ٢٠٠٤م.
- ٣٤- جورج مولونييه: دراسة الأسلوب والبحث ونحوها الفن الأدبي، ترجمة: د. بسم بركة، مجلة الفكر العربي، معهد الإتهام للعربي، بيروت، ع ٩٤، لسنة ١٩٩٨م.
- ٣٥- جورج مونان: علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة: د. نجيب هزوي، وزارة للتعليم العالي، ط٢، سوريا، د.ت.
- ٣٦- جون إي جوزيف، ناهل لفا، توابت جي تيلر: أعلام الفكر اللغوي، ترجمة: د. أحمد شاكر الكلبسي، ط١، دار الكتاب الجديد، طرابلس، ٢٠٠٦م.
- ٣٧- جون جوزيف: اللغة والهوية، ترجمة: عبد النور خرفلي، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٧م.
- ٣٨- جون سرفوني: اللسانيات والتداولية، ترجمة حمو الحاج ذهبي، بحث

- شبكة المعلومات، منتدى التواصل العلمي، دت.
- ٢٩- جون سورل: الفن واللغة والمجتمع؛ الفلسفة في العالم الفوقي، ترجمة: سعيد الفاتمي، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ٤٠- جبران دنوئال وجورجيل بطشوي: التمثيل السيميوطي للنص الشعري، ترجمة عبد الرحمن بو علي، مطبعة المعارف الجديدة، ط١، ١٩٩٤م.
- ٤١- جيلاني دلاش: منخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد بصلان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢م.
- ٤٢- د. حفيظ إسماعيلي علوي: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، عالم الفكر، ج٢٤، م٣٣، أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٤م.
- ٤٣- الخطاب العربي: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، تحقيق: زكريا صورات، دار عالم الكتب ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- ٤٤- د. حسي خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة، طدار للتعرفه الجمعيه، ١٩٩٩م.
- ٤٥- الرزقي (الإمام فخر الدين):
 - للحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، مكتبة نزار مصطفى البازسكة المكرمة، الرياض، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- نهاية الإيجاز في دراية الإيجاز، تحقيق د. بكري شوخ أمين، طدار العلم للملئين، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٤٦- د. ربيع نور الدين: نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، ط١، مطبعة سليم، فاس، ٢٠٠٧م.
- ٤٧- ابن رشد الألملي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ط٢، مطبعة الخاتمي، القاهرة ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- ٤٨- الرضي: شرح الكافية، تحقيق: يوسف حسن صر، منشورات جامعة قار يونس، ١٩٧٨م.
- ٤٩- روبرت دي بوجراند: للنص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ط عالم للكتب، القاهرة ١٩٩٨م.
- ٥٠- رونالد إبلوار: منخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التربية والتعليم العالي، الجمهورية العربية السورية، ١٩٨٠م.
- ٥١- زتسيسلاف واورزنيك: منخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ترجمة: د. سعيد بحوري، ط مؤسسة المفكر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ٥٢- الزمشري: الكشف عن حقائق هوامض التنزيل وحيون الأكلويل في وجوه لتكوين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ٥٣- د. سامية الدريدي: للمجاء في الشعر العربي القديم، ط١، عالم للكتب

- الحديث، إريد، الأردن، ٢٠٠٨م.
- ٥٤- السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ضمن شروح للتلخيص للقرطبي، ط دار الفادي، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٥٥- د. سعد مصطوح: في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، ط٢، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ٥٦- د. محمد يحيوي: علم لغة النص للمفاهيم والاتجاهات، لشركة المصرية العلمية للنشر، ط١، لوندون، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ٥٦- السبكي (أبو يعقوب بن أبي بكر): مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زوزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- ٥٧- سليم بها عمر وبقي عمري: للتأليف العلة للمبرة (علم التراكيب)، الجزائر، ١٩٩٠م.
- ٥٨- المصنفين العلمي: قدر المصنف في علوم للكتب المكتون، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، ط دار القلم، دمشق، د.ت.
- ٥٩- سيويو: للكتاب، تحقيق أ. عبد السلام محمد شارون، ط٣، الخاتمي، القاهرة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- ٦٠- د. سيد أحمد عبد الظاهر: لتصور للتفوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة العلمية، إسكندرية، ١٩٩٥م.
- ٦١- السيد سابق: فقه السنة، ط دار الريان للتراث، ١٩٩٠م.
- ٦٢- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط ١٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- ٦٣- السيوطي:
- الأشباه والنظائر، ط دارة المعارف العلمية، ١٣٥٩هـ.
 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه د. محمد أحمد جاد النولي، ود. علي محمد الجبالي، ود. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الحرم للتراث، د.ت.
- ٦٠- الشافعي: الموافقات في أصول الشريعة، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
- ٦١- الشوكلي: إرشاد للتحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عتلة، ط١، دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
- ٦١- د. صابر الحباشة: التداولية والمجاج (مداخل ونصوص)، ط١، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م.
- ٦٢- صاحب أبو جاسح: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، ط١، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- ٦٣- د. صبيح إبراهيم الفلي: علم اللغة النفسي بين النظرية والتطبيق، ط دار بناء، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- ٦٤- د. صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة لكسغورد، ط دار التنوير، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٦٥- د. صلاح فضل: بلاغة الخطب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
- ٦٦- طارق هشام الطبطبائي: نظرية الأعمال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.
- ٦٧- د. طاهر سليمان حمودة: دراسة المعنى عند الأصوليين، ط الدار العلمية، د.ت.
- ٦٨- الطاهر شرف: المنهج الوظيفي في تفسير التمرير والتنوير لابن عثور "صورة للثورة نموذجاً"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية الأنساب، ٢٠٠٥، ٢٠٠٦م.
- ٦٩- الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد الصمن القرني، ط١، دار هجر، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- ٧٠- د. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر لعلقي، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.
- ٧١- د. هيد الله إبراهيم ود. عواد علي ود. سعيد القاسمي: معرفة الآخر (مدخل إلى المداخل النقدية الحديثة)، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٦م.
- ٧٢- ابن هيد ربه الأتلمسي (أحمد بن محمد): المقد للقريد، تحقيق: د. مفيد محمد قبيصة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.
- ٧٣- د. عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم التفسيرات الحديث، مجلة التفسيرات، الجزائر، المجلد الثاني، العدد ١، ١٩٧٢م.
- ٧٤- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، ط٢، دار النهضة المصرية، ١٩٧٩م.
- ٧٥- د. هيد السلام هشور: عندما نتواصل بغير، الحرقا الشرق، ٢٠٠٦م.
- ١٠٢- أ. هيد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ط٢، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ١٩٨١م.
- ١٠٣- عبد العزيز الكنتلي: المدينة، حقله وقدم له: د. جميل صليبا، ط مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت.
- ١٠٣- د. عبد القادر القاسمي القهري: مقال ملاحظات حول الكتابة الفلسفية، مجلة تكامل المعرفة (مجلة جمعية الفلاسفة بالمغرب)، عدد خاص بالفلسفات، ج ٩، ط ١، مطبعة للنجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥م.
- ١٠٤- د. عبد القادر المهيري ود. محمد الشايب: أهم المدارس الفلسفية، ط٢، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ١٩٩٠م.

- ١٠٥- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: أ. محمود محمد شاكر، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- ١٠٦- د. عبد المجيد جحلة: مدخل إلى الدلالة الحديثة، ط دار توفيق للنشر، المغرب، ٢٠٠٠م.
- ١٠٧- د. عبد الهادي بن قلندر الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
- ١٠٨- د. عبده الراجحي:
- فقه اللغة في الكتب العربية، ط بيروت، ١٩٧٢م.
- النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية، ضمن: تمام حسان رائد لغويًا، إعداد وإشراف: عبد الرحمن حسن العارف، ط١، علم الكتاب، القاهرة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- ١٠٩- عثمان بن طلق: البراجمية وعلم التركيب بالاستقراء إلى أمثلة عربية، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، للجمعية التونسية، تونس، د.ت.
- ١١٠- د. علي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، ط شركة أبي الهول للنشر، د.ت.
- ١١١- د. عسر أوكسان: اللغة والخطاب، لفرقة الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠١م.
- ١١٢- الفزالي: المستصفى من علم الأصول، ومعه كتاب قولتج الرحمت العلامة: عبد الطي محمد بن نظام الدين الأنصاري، بشرح مسلم الثبوت للإمام محمد الله بن عبد الشكور، ط١، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٢٢هـ.
- ١١٣- اللارابي (أبو نصر): كتاب الحروف، حققه وقدم له: محسن مهدي، بيروت، دار المشرق، ط٢، ١٩٩٠م.
- ١١٤- د. فاضل مصطفى السلي: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الختجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ١١٥- د. فاطمة الطيب بركة: النظرية الأمسية عند رومان جاكوبسون، دراسة ونصوص، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣م.
- ١١٦- فرانسواز لومنيكو: المقاربة للدولوية، ترجمة د. سميد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، ١٩٨٦م.
- ١١٧- فرديناند دي سوسور: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة د. يوسف هازي، ود. مجيد النصر، دار للنص للنقاة، لبنان، ١٩٨٤م.
- ١١٨- فندروس: اللغة، ترجمة د. محمد الدواخلي ود. محمد القصاص، ط لبنان العربي، القاهرة، ١٩٥٠م.

- ١١٩ - قوللجالح هاننه ويوتر فبهلجور: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: د. فلاح بن شبيب المعجمي، ط. جامعة للملك سعود، ١٩٩٦م.
- ١٢٠ - فويليب بلاتشويه: للتداولية من أوستن إلى جوفمان، ترجمة: د. صابر الحبيشة، دار الحوار، سوريا، ٢٠٠٧م.
- ١٢١ - اللقرافي:
- الأسنية في إدراكه للثنية، تحقيق ودراصة: د. مساعد بن قاسم الفلاح، ط١، مكتبة الحرمين، الرياض، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.
- الفخيرة، تحقيق: محمد حجي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.
- ١٢٢ - د. فتور صمران: العهد التداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، رسالة دكتوراه، كلية اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨م.
- ١٢٣ - اللقروني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتطبيق: د. عبد المنعم خفاجي، ط. المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٢م.
- ١٢٤ - ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد): إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، المكتبة التجارية، ١٩٥٥م.
- ١٢٥ - كاترين فوك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة: د. المنصف عاشور، ديران للمطبوعات للجمعية الجزائرية، ١٩٨٤م.
- ١٢٦ - كلر - ديتر بوننتج: المدخل إلى علم اللغة، ترجمة وتطبيق: د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ١٢٧ - كلاوس بريكر: التحول اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية واللغويات)، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٣٢٥ هـ، ٢٠٠٥م.
- ١٢٨ - د. كمال بشر: دراسات في علم اللغة، ط. دار المعارف، مصر، القسم ١، دت.
- ١٢٩ - لاتسون ومليه: منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة: د. محمد مفدور، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.
- ١٣٠ - لويومير تولوزل: بنوية مدرسة براغ، ترجمة: حسام نايل، منشور ضمن كتاب من الشكليات إلى ما بعد البنوية، إشراف: د. جابر عصفور، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ١٣١ - للمارودي (أبو الحسن علي بن محمد): أدب الدنيا والدين، تحقيق: ياسين محمد السوالم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥م.
- ١٣٢ - الميرد: المختضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى

- للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
- ١٣٣- د. محمد حبيل: من أسس علم اللغة، ط ١ دار الثقافة العربية، ١٩٩٦م.
- ١٣٤- د. محمد حسن عبد العزيز:
- مبحث كيف تُنجز الأشياء بالكلمات؟ ط كلية دار العلوم، ع ١٨، ١٩٩٦م.
 - مبحث كيف تُنجز الأشياء بالكلمات؟ ط كلية دار العلوم، ع ١٩، ١٩٩٦م.
- ١٣٥- د. محمد الحناش: مبحث الأسس المعرفية لمنظومة الإبداع (مقاربة لاساقية تدلوية)، مجلة للتواصل اللساني، م ١٠، ع ٢، ٢٠٠١م.
- ١٣٦- د. محمد الصغير بناني:
- المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ط دار للمكة، الجزائر، ٢٠٠١م.
 - للتطبيقات اللسانية والفلاحة عند العرب، ط ١، دار العدالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
- ١٣٧- د. محمد صلاح الدين الشربل: مبحث تقديم علم للاتجاه للبراهماتي، أهم المدارس اللسانية، د. عبد القادر المهور، ود. محمد الشليب، ط ٢، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ١٩٩٠م.
- ١٣٨- الشيخ محمد الطاهر بن عثوري: التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت.
- ١٣٩- د. محمد العيد:
- العبارة والإشارة، ط ٢، مكتبة الأدب، ٢٠٠٧م.
 - النص والغطف والاتصال، ط الأكاديمية القلمية للكتاب الجامعي، ٢٠٠٥م.
- ١٤٠- د. محمد محمد أبو موسى: دلالات التركيب دراسة بلاغية، ط مكتبة وهبة، د.ت.
- ١٤١- د. محمد محمد هوتس: بحث أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، الكويت، مجلة عالم الفكر، ع ١، م ٢٢، ٢٠٠٢م.
- ١٤٢- د. محمود أحمد نحلة:
- لفتاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
 - علم اللغة النظامي، مدخل إلى النظرية اللغوية عند هالداي، ط ٢، مكتبي الفكر، ٢٠٠١م.
- ١٤٣- د. محمود المسمران: اللغة والمجتمع، ط دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.
- ١٤٤- د. محمود سليمان بالوت: فقه اللغة وعلم اللغة نصوص ودراسات، دار المعرفة للجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٤م.
- ١٤٥- د. مسعود صحراوي: التدلوية عند الطماة العرب، ط دار للطلبة، بيروت، د.ت.

١١٦- ميلم في (صحيفة)، تحقيق: عبد الرزاق محمود الرقيب، ط١، المركز الثقافي اللبناني، دت.

١٤٧- د. مهشل زكريا؛

- الأسفنة علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ط٢، للمؤسسة للجمعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

- الأسفنة علم اللغة الحديث (قراءات تمهيدية، ط٢، للمؤسسة للجمعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م.

١٤٨- د. مكيول إبراهيم: القيد التداولي عند سيبويه، عالم الفكر، ج١، م٢٣، ٢٠٠١م.

١٤٩- د. منظر عيش: السبغيات والدلالة "الكلمة"، ط١، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٦م.

١٥٠- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٥١- د. نغمة رمضان:

- المنعصر عبر النغمة للتواصل بين القدماء والمحدثين، مجلة اللغة والترجمة، عدد خاص لمنعيات المؤتمر الدولي الثالث لكلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠٠٦م.

- أصول في فروع اللغة، ط١، دار الفوائد، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

- اللغة وعلم اللغة قديماً وحديثاً، ط١، دار الفوائد لطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٠م.

١٥٢- ابن النجار النحوي: مختصر التحرير شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزلة حماد، ط٢، مكتبة المبيكان، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١٥٣- د. نضال بوقرة: المدارس اللغوية المعاصرة، مكتبة الأدباء، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٥٤- د. نهال الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر النحوي الحديث، بيروت، ١٩٨٠م.

١٥٥- النحوي: المجموع شرح المهذب، طبعة كاملة معها تكملة للسبكي وقسيمي، دار الفكر، دت.

١٥٦- هريوت بركلي: مقدمة إلى علم الدلالة الأسفني، ترجمة: تاسم مقداد، ج١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠م.

١٥٧- ابن هشام الأسفري: معنى النبي، تحقيق: الشيخ محمد محيي الدين، ط١، مكتبة الثقافة، دت.

١٥٨- د. يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ونوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث، ١٩٨٩م.

159- Halliday, M.A.K. & R. Hassan: Cohesion in English, London: Longman, 1976.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المتقدمة:	٥
الباب الأول: الاتجاه التداولي.	٧
الفصل الأول: تاريخ التداولية وأهم أعلامها.	٩
مفهوم للتداولية.	٩
نشأة التداولية وتاريخها.	١٠
خصائص التداولية.	١٤
صلة للتداولية بالمعلوم الأخرى.	١٥
أنواع للتداوليات ودرجاتها.	٢٠
من مهام التداولية.	٢١
أعلام للتداولية.	٢٢
وظيفة التداولية.	٣٨
الفصل الثاني: الأفعال للكلامية .	٤١
الأفعال الكلامية.	٤١
دور "أوستن" في نظرية الأفعال الكلامية.	٤١
دور "سبرل" في نظرية الأفعال الكلامية.	٤٧
دور "ليتش" في نظرية الأفعال الكلامية.	٥٥
خصائص الأفعال للكلامية.	٥٧
الأفعال للكلامية المباشرة وغير المباشرة.	٥٨
عند المتحدثين.	٥٨
عند المستمعين.	٦٤
الفصل الثالث: عناصر التداولية.	٧٩
أولاً: الاستزاد للحواري.	٧٩
نشأته.	٧٩
تسميته.	٧٩
أنواعه.	٨٠
شروطه.	٨١
خولصه.	٨٤
ثانياً: الإشاريات.	٨٦

٨٦	مفهومها.
٨٩	أنواعها.
٩٦	خصائصها.
٩٨	ثلاثا: الافتراض السابق.
٩٨	مفهومه.
٩٨	أنواعه.
١٠٠	خصائصه.
١٠١	العوامل المؤثرة في الافتراض السابق.
١٠٣	أهميته.
١٠٤	ربعا: للحجاج.
١٠٤	مفهومه.
١٠٨	تاريخ الحجاج.
١١١	أنواعه.
١١٣	للمسلم الحجاجي والقوة الحجاجية.
١١٦	المبادئ الحجاجية.
١١٦	للعوامل الحجاجية والروابط الحجاجية.
١١٩	العلاقات الحجاجية.
١٢١	خصائص الحجاج.
١٢١	هدف للحجاج.
١٢٣	للفصل الرابع: معايير تصنيف استراتيجيات الخطب.
١٢٣	معايير العلاقة بين طرفي الخطب.
١٢٤	مبادئ للخطب.
١٢٥	مبدأ التلاعب.
١٢٨	مبدأ التلويذ.
١٢٨	مبدأ التصديق.
١٣٠	مبدأ الوجه.
١٣٦	مبدأ التلاعب الأكسي مع معيار التلابة.
١٤٠	مبدأ التصد.
١٥٥	للباب الثاني: الاتجاه الوظيفي:
١٥٧	للفصل الأول: مفهوم الوظيفة وأهم أعلامها.

١٥٧	مفهوم الوظيفة.
١٥٨	لولا: مدرسة براغ.
١٦٢	ثقفا: المدرسة الفرنسية.
١٧٥	ثقفا: المدرسة الإنجليزية.
١٧٧	رأبما: المدرسة الهولندية.
١٧٩	خاصا: المدرسة الأمريكية.
١٨٢	الفصل الثاني: تصنيف الوظائف الشغوية.
١٨٣	للمناسر للوظيفية.
١٨٣	١) المعنى الوظيفي للكلمة.
١٨٧	٢) المعنى الوظيفي للجملة.
١٩٠	تصنيف الوظائف الشغوية.
١٩١	١. تصنيف مائتوسكي.
١٩٢	٢. تصنيف كارل بومر.
١٩٢	٣. تصنيف شانون/ ويفر.
١٩٣	٤. تصنيف ديسموند موريس.
١٩٣	٥. تصنيف لوتشر.
١٩٤	٦. تصنيف كوستاف جلام.
١٩٥	٧. تصنيف بوبر.
١٩٦	٨. تصنيف جاكوبسون.
٢٠٠	٩. تصنيف هاليداي.
٢٠٤	مبادئ الاتجاه الوظيفي.
٢٠٥	خصائص الاتجاه الوظيفي.
٢٠٥	أهمية الاتجاه الوظيفي.
٢٠٩	للفصل الثالث: الوظيفة التواصلية وأهم عناصرها.
٢٠٩	مفهوم التواصل.
٢١٠	كيفية إنشاء للتواصل.
٢١١	شكل التواصل للفظي.
٢١٢	قنوات التواصل للفظي.
٢١٣	من ملاحظ للوظيفة التواصلية عند العرب.
٢١٣	لولا: للقضاء.
٢٢٥	ثقفا: المحدثون.

٢٣٠	عناصر الوظيفة التواصلية.
٢٣٥	ملكات التواصل.
٢٣٧	من معوقات التواصل (التشويش - الإغراق).
٢٤٠	خصائص التواصل الفعّال.
٢٤٥	قائمة المصادر والمراجع.
٢٥٥	فهرست للموضوعات.